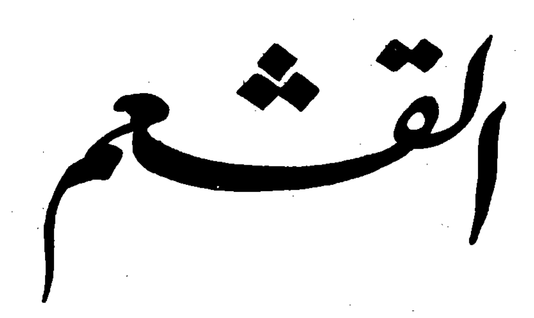


من كبريات القبائل العربية

دراسة تاريخية - اجتماعية - أدبية

تأليف

الدكتور علي شواخ اسحاق الشعيبي

الطبعة الأولى

١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م

دار المعارف للطباعة


بسم الله الرحمن الرحيم





تمهيد

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه الى يوم الدين ،
أما بعـد فقد كنت عزمت عـلى كتابة بحث عن بني شيبان في العصر الحديث ، بطونهم ، وأفخاذهم وأماكن تواجدهم ، وأسمائهم الحديثة ، ولكنني عدلت عن هذه الفكرة لسبب أو لآخر ثم شاء لي الله أن أعيش في هذا البلد المسلم الطيب (المملكة العربية السعودية) وأن أرى كيف يحافظ الناس فيه على دينهم وأخلاقهم وقيمهم •

ثم تشرفت بمعرفة آل قشعم ، وتعمقت صلتي بهم ، فخطر لي أن أبحث في تاريخ هذه القبيلة العربية بحثاً تاريخياً يعتمد التوثيق والتعليق ، والتحليل والتعليل ، فتوكلت على الله ، واشتغلت به ثلاثة أعوام كانت عسيرة وشاقة وصعبة ، خرجت منها بقناعة مفادها أن الكتابة في تاريخ قبيلة ما أو أسرة ما ، أمر صعب جداً ، لأنها في كثـير من الأحيان تكون معلقة لا تستند عـلى أدلة تاريخية أو أواصر نسبية متصلة محفوظة معلومة ، ولا يستطيع الباحث في هذا الموضوع تجنب مافي صدور الناس الذين يكتب عنهم ، لأن الناس أمناء على انسابهم •

وهناك عدة أمور لابد من توضيحها في هذا المقام، وهي :

١ ـ لا يستطيع كـل انسان أن يكتب في هـذا الميدان ، إن لم يكن مدركاً لقضايا النسب ، عالماً للعادات والتقاليـد ، متجنباً ظـلال المحابين اذا

أحبوا انساناً ما ، أو قبيلة ما أعطوها الكثير ، ورفعوا من قدرها على حساب غـيرها من القبائـل ، ومتجنباً ظن المبغضين الذين إذا كـرهوا نفثوا السم الزعاف ووضعوا من قدر الناس •

وكل هذه الأمور ممكنة الحصول ، إذا لم يكن الباحث في هذا الميدان صاحب دين يردعه عن المغالاة اذا أحب ، وعن مجافاة الصواب إذا كره ••• لا بد للباحث في هذا الميدان من تمثل قول رسول الله ﷺ : (لعن الله من بدّل نسبه ، وان دق) ، ولا بد له أن يستفيد من هذا الحديث وأن يجعله دستوراً له ، يخشى لعنة الله إن هو بدّل نسب القوم الذين يكتب عنهم •

٢ ـ على الباحث في هذا الميدان أن يأخذ مقولة القبيلة أو العائلة التي يكتب عنها بعين الاعتبار لأن هذا أمر مهم من جهتين ، الجهة الأولى أن الناس أمناء على أنسابهـم يتوارثونها عن الآباء والأجـداد ، وهم أدرى بأنسابهم ، والثانية أنهـم يقدمون للباحث بداية الخيط كما يقـال ، أي أنهم يضعون اقدامه على أول الطريق الذي يؤدي الى الجذور فيبدأ رحلة التأويل •

٣ ـ وعلى هذا الأساس فإن أموراً خطيرة وكبيرة قد يقع فيها الباحث فيبني بحثه من أفكار وهمية ومغالطات تاريخية •

٤ ـ اذا لم يكن الباحث من جنس القوم الذين يكتب عنهم كأن يكون أوربياً يكتب عن قبيلة عربية أو أوربية تكتب عن قبيلة أو قبائل عربية ، تنزل في بيت من البيوت ، لا ذمة ولا دين ولا أخلاق له ، فإنها تقع تحت تأثير المقولات التي تسمعها من هذا البيت الذي ليس له دين يردعه أو أخلاق تمنعه عن الدس والكذب ، وعندها ستجعل الباحثة من أهل هذا البيت وذويه قمة في العراقة والأصالة والمروءة والشهامة مع أنه قد يكون بعيداً كل البعد عن هـذه القيم ، إلا أنهـا ، وهي أوربية لا تدرك القيم الاسلامية ولا العربية فتراهم قريبين من قومها مشابهين لهم في الأخلاق والعادات ، فتجـد تطابقاً نفسياً يستجيب لما يملى عليها ، فتقع في أخطاء البحث العلمي •

ومن هنا كان ضرورياً على الباحث أن يكون من جنس القوم ، يعرف مداخلهم ومخارجهم ، بعيداً كل البعد عن المؤثرات المتعددة ، ورجلا يدرك نفسية بعض الرجال ممن يحاولون بناء عز لهم ولأقوامهم ، لا يستند على قيمة واحدة من القيم الاسلامية أو مكارم الأخلاق العربية .

٥ ـ على الباحث أن يتجنب كذب الأفاكين ودس الخراصين ، وهؤلاء لهم مواصفات كثيرة أهمها أن يكون واحدهم وحيداً ضمن مجتمع فيه عدة قبائل وعشائر ، فيحاول الطعن في أنسابها والتقليل من شأنها ليظهر على حسابها .

٦ ـ على الباحث أن يتجنب الوقوع في الأخطاء التي تسببها التسميات أحياناً . والعرب قوم مولعون بالأسماء المرتبطة بالطبيعة الجغرافية والديموغرافية من حولهم . فالشيخ لورانس الشعلان ، سمي على لورانس الانجليزي المعروف ، وعجمي السعدون سمي بهذا الاسم لأنه ولد في بلاد العجم في اليوم الأول الذي وصل فيه السعدون مرحلين من البصرة قبل أن يعودوا إليها .

وجدي اسحاق مثلا ، وهو والد أبي ، سماه أبوه صالح ، هو وأخوته على أسماء الأنبياء ، فهم محمد ، واسماعيل ، وابراهيم ، وخليل ، واسحاق ؛ ومن أولاد عمهم موسى وعيسى لأنه كان يعيش في الرها ، حيث البيئة الديموغرافية المليئة بهذه الأسماء المنبعثة أصلا من ديرة كان يعيش فيها نبي الله ابراهيم في مرحلة زمنية بعيدة ، بينما نجد أسماءهم قبل سكناهم في الرها هي حمد ، وحسين ، وحسن ، وناصر ، وعلي ؛ وكاسب ... الى آخر هذه الاسماء العربية .

فلا الشيخ لورانس انجليزياً ولا الشيخ عجمي ايرانياً ولا والد أبي سريانياً وكل واحد من هؤلاء له أرومته العربية الأصيلة .

فالشيخ لورانس الشعلان عربي أصيل منْ أرومة المجد والعز قبيلة عنزة العربية ، والشيخ عجمي السعدون من منبت الأصل الثابت والفرع النابت ، ابن الاشراف ، أصحاب الرياسة ... والكياسة . وجدي هو اسحاق بن صالح ابن حمد بن حسين بن علي (الملقب بشاهين) بن حسين بن اسماعيل بن ناصر ابن حمدان بن علي بن غانم بن هلال بن كاسب ، من (آل شعيبي) بطن من بطون البو سرايا العرب الشيبانيين أصحاب ذي قار .

وكان بودي أن أكتب عنهم كما ذكرت ولكني تركت هذا الأمر لغيري واكتفيت بدراسة آل قشعم عينة تاريخية عن القبائل العربية المعاصرة ، فقدمت هذا البحث المتواضع ، وأنا وجل من الله ، خشية ألا أصيب كبد الحقيقة ، فإن توصلت الى نتائج صحيحة ، وواقعية ، مبنية على الحقائق التاريخية والبراهين العلمية ، فهذا من الله وحده ، ولا إله إلا هو ، وإن لم افلح ، فهذا مني ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ورحم الله القائل :

فإن رأيت عيباً فسدّ الخللا — فجلَّ من لا عيبَ فيه وعلا

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

كتبه :

علي بن شواخ بن اسحاق الشعيبي

في الرياض ، العاصمة الزاهرة

المقدمة

قال الله تعالى :

« يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء ، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ، ان الله كان عليكم رقيبا » [1].

وقد ورد في صريح القرآن الكريم بأن الانسانية كلها أمة واحدة ، كما قرر أن الناس كانوا أمة واحدة ، ثم اختلفوا لاختلاف الأهواء ، فأرسل الله النبيين ، قال تعالى :

« كان الناس أمة واحدة ، فبعث الله النبيين مبشّرين ومنذرين ، وأنزل معهم الكتاب بالحق، ليحكمُ بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعدِ ما جاءتهم البينات بغياً بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم » [2].

وقد خلق الله الناس شعوباً وقبائل للتعارف ، ولا شك أن المعرفة تجر المودة ، وتولد الإخاء ، قال تعالى :

« يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليمٌ خبير » [3]

---

(١) النساء : ١

(٢) البقرة : ٢١٢ .

(٣) الحجرات : ٤٩ .

هذا التعاون يجعل كل فريق منتفعاً بخير ما عند الفريق الآخر وتكون خيرات الأرض كلها لابن هذه الأرض .

والناس جميعاً مخلوقون من نفس واحدة ، قال تعالى : « هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ... » (1) .

وقد كان الاسلام حرباً على كل تمييز ان كان باللون ، أو بالعنصر والجنس ومن طريف ما يروى عن محاربة الاسلام للتمييز بشكليه وتقديم الاسلام على كل شيء ما قرره عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه حيث قدّم المؤمن ذا السبق في الاسلام على غيره ، ولو كان هذا ملوناً ... فقد استأذن عليه بلال الحبشي ، وأبو سفيان القرشي ، فدخل الآذن يقول بالباب أبو سفيان وبلال ، فغضب الفاروق لتقديم اسم أبي سفيان على بلال ، وقال لآذنه : قل بالباب بلال وأبو سفيان . وأدخل بلالاً أولاً ، وطأطأ لها القرشي، لأنه مبدأ من مبادىء الايمان .

وقد جاء الاسلام فحارب العصبية القومية والاقليمية ، ليكون العدل هو السائد ولكي تكون المودة بين الناس وفي كل بقاع المعمورة ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ليس منا من دعا الى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية » فالنبي صلى الله عليه وسلم بريء من كل تعصب إقليمي أو قبلي .

ولكن هل من العصبية القبلية أن يحب الانسان قومه وعشيرته ... ؟ في الحقيقة أن الجواب لا ، لأنه من الواجب على المرء أن يحب قومه وعشيرته والعصبية التي نهى الاسلام عنها هي التي تعين على ظلم

---

(1) الأعراف : ١٨٩

الآخرين ، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن ينصر الرجل قومه وهم ظالمون .

وقد حلّ هذه المسألةأبي بن كعب رضي الله عنه ، حين سأل النبي عليه السلام ، أمن العصبية أن يحب الرجل قومه ؟ فقال النبي « لا ، ولكن من العصبية أن ينصر الرجل قومه على الظلم » [1] .

وقد شبه النبي صلى الله عليه وسلم من ينصر قومه على الظلم بجمل يتردى في ركية من النار ، فقال : « مثل الذي يعين قومه على الظلم مثل البعير المتردي في الركي ، فهو ينزع بذنبه » .

منذ البداية لابد من تحديد الهدف من تأليف هذا الكتاب ، بل الأهداف التي يمكن اجمالها بالآتي :

١ ـ في البداية كان الأمر مجرد اعجاب بخصال حميدة وقيم عربية أصيلة رأيتها متمثلة في آل ثويني حمولة القشعم يمثلهم آل (العقل) وهم شيوخ القشعم في العصر الحديث عبد اللطيف بن عقل ابن جاسر بن عقل الثويني القشعم ، وأخوه عبد الرزاق .

---

(١) وفي رواية (عن عبادة بن كثير الشامي (من أهل فلسطين) عن امرأة منهم يقال لها فسيلة أنها قالت :

سمعت أبي يقول : سألت رسول الله ﷺ : فقلت : « يا رسول الله ، أمن العصبية أن يحبّ الرجل قومه ؟ قال : لا ؛ ولكن من العصبية أن ينصر الرجل قومه على الظلم » وفي رواية : أن يعينهم على الظلم ، (ابن خياط في الطبقات : ١٢٣ ـ ١٢٤) .

وفي مجلسهم سمعت لأول مرة أنهم الذين يقال لهم أولاد قطر السما وأنهم من الضياغم ••• وربما قيل أنهم بقايا آل المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة • فخطرت بذهني فكرة البحث عن أصل هذه التسمية ،والتحقق من الصلة التاريخية معتمداً المراجع والكتب الموثوقة محللاً أحاديث المجالس التي قد لا تمشي مع حقائق الكتب ، وربما مشت معها على نحو ما •••

٢ ــ في خضم المتاهات الحديثة ، وتحت ضغط الثمن الباهظ الذي يدفعه الناس في زماننا لشكليات المدنية الحديثة ، أو التي تسمى هكذا على الاقل • رأيت آل القشعم عرباً مسلمين مخلصين لدينهم وتراثهم ، وعاداتهم وتقاليدهم العربية الأصيلة ، ورأيتهم يفتخرون باتتمائهم الى البلد العربي المسلم الذي يعتز بالقيم الاسلامية ، والعادات العربية الأصيلة التي كانت من مكارم الأخلاق ، والمتمشية مع تعاليم ديننا الحنيف ••• في وسط الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية في أعظم عصور ازدهارها الحضاري والمدني ، وفي وقت قطعت فيه المملكة أشواطاً عظيمة لا يحصيها كتاب ولا يسجلها قلم ••• ظلت الأصالة العربية الاسلامية شامخة، ماثلة للعيان، حية في الاعمال، والأمثال تحكي أعمال الاجداد وأفعال الأمجاد •

في وسط الرياض وفي أطرافها ، وفي حواضرها ، وبواديها يقوم بعض وجوه القوم باعتماد بيوت الشعر الكبيرة المروبعة ، والمخومسة ، والمسودسة ، والمسوبعة •• أو الخيم بحللها الجديدة ومحتوياتها المخضرمة ، بالقهوة العربية وقرقعة الفناجين ، وتحميص القهوة ، والنجر، والناقة معقولة في براح البيت ، والمراكي والسلامات العربية والتحيات معسولة تحمل أواصر المودة والجفان ، والحكايات والأحاديث النبوية

والروايات الشعبية وبطولات العرب وأمجاد الأجداد، وقراءة كتب التاريخ القديمة والحديثة وأفعال العرب المجيدة في سبيل توحيد الكلمة ونشر دعوة الأمان، وشد القبائل إلى التراث من جديد هي من يوميات السامرين وصلب أحاديث المتكلمين.. العاملين يومهم، السامرين ليلهم... وفي هذه البيوت كل وسائل الحضارة الحديثة مما يخطر على القلب، أو تراه العين وتسمع به الأذن.

وعمود أحاديثهم النثرية والشعرية في هذه البيوت القائمة تحكي قصة الأجداد وملحمة الجهاد التي قادها الملك عبد العزيز في سبيل انتزاع الناس من ضيق الجاهلية ، وجهل العصبية ، الى سعة الاسلام وحب الوئام .

وأوقات جلوسهم اختلفت عن الماضين ، فهم قوم نشيطون عاملون في الصباح تجدهم في أعمالهم ، ودوائرهم ، وبعد صلاة العصر تجدهم بدأوا يستعدون لاستقبال الضيوف والزوار وهم يتفقدون ضيوفهم النازلين عندهم دائماً،وقد رأيت بعض ضيوف القشعم شهوراً عديدة بل رأيت واحداً منهم ضافهم عدة سنوات حتى صار واحداً منهم وما زال ...

يتفقدونهم في الصباح وعند الظهيرة وفي المساء ويوصون أولادهم، أو العاملين عندهم على خدمة بيوتهم الكبيرة وعلى العناية بهم وتلبية حاجاتهم .

واذا جاء المساء .. جاءت أحاديث العشيات الماتعة بما تحمله من أوراق الليل ... فهذه ورقة تتحدث عن آية قرآنية ، وتلك أخرى تشرح حديثاً نبوياً ، وثالثة تحمل خبراً علمياً ، ورابعة ورقة حية يحكيها شاهد عيان لما رأى في احدى زياراته لأوروبا أو آسيا أو أمريكا ...

ورأيت في مجالس القشعم ــ وهي عيّنة من مثيلاتها من المجالس العربية الأخرى ــ رايت الرجال المتواضعين يتكئون على الآرائك ، وعلى رؤوسهم العقل العربية ، وعلى أكتافهم العباءات ، وهم يحللون ظاهرة من الظواهر الاجتماعيــة ، أو التربوية ، أو النفسية ، أو الحضارية ، وربما دار الحديث بالانجليزية الى جانب العربية ، اذا كان في المجلس أحد الضيوف الأوروبيين ، أو الأمريكان أو الناطقين بالانجليزية ...

يتحدث الواحد منهم ثم ينصت الجميع ، ويعود الحديث الى آخر وثالث ، ورابع ، والغريب الجالس يعجب من ثقافة هؤلاء القوم .. ثم يستبين الأمور بعد هذا ، فيسمع بأن ذلك الذي كان على يمين الشيخ دكتور في كذا ، وذلك الذي كان أمامه يحمل ماجستيراً في كذا ، وأبو العباءة السوداء أستاذ في علم كذا .. وكلهم في الأصل كانوا رعاة للإبل أو الغنم ، وربما ما زال بعضهــم يربّيها ، ويضع عليهــا من يرعاها ، ويشرف عليها .

فتعجب مما ترى ، ويعود بك التاريخ الى مسيرة الاجداد يوم انطلقوا من الجزيرة يحملون راية الاسلام الى الــدنيا شرقاً وغرباً ، يحملون في صدورهم نور الهداية الربانية .

٣ ــ ولكن هل يستطيع المرء وهو يبحث في تاريخ قوم أحبّهم وأحبّوه أن يكون منصفاً ؟

لقد كان هذا السؤال يلحّ عليّ دائماً ، وكنت أخشى أن أقع تحت تأثير الاعجاب الذاتي ، وحيــاء المودة والمحبة .. ولكني كنت أضــع أمامي موقف يوم القيامة ، وكأنّ صوتاً يصيح بي يا علي بن فلان ماذا أردت بكتابك عن القوم القشعم ؟ ... وكان هذا يقلقني ويخيفني . ولذا فقد وضعت نصب عينيّ أن أتقي الله في كل كلمة أكتبها ، فإني إذ أموت لن ينفعني آل القشعم أو غيرهم .. وهذه الفكرة الملحّة

جعلتني أجد سبباً آخر للكتابة في هذا الموضوع ، يتمثل بما جاء في الحديث الشريف الذي ورد في مسند الإمام أحمد رحمه الله تعالى ، وهو قوله عليه الصلاة والسلام « تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم ، فإن صلة الرحم محبة في الأهل ، مثراة في المال ، منسأة في الأهل ، مرضاة للرب » .

وعلى هذا فالدراسة بحث في أنساب القشعم تاريخهم ، جذورهم العربية القديمة ، أصلهم ، منابتهم الأولى ، رحلتهم في أرض الجزيرة العربية ، وانتشار جزء كبير في عمان ، ولبنان ، وسورية ، والعراق ، ومصر ، والكويت والأردن وبقاء قسم منهم في اليمن ، وحديث عن كثرتهم الضاربة في العراق والسعودية والكويت .. بحث في تاريخهم القديم وتاريخهم الحديث ، مجتمعهم وعاداتهم وتقاليدهم ...

وهي بهذا دراسة تاريخية خرجت من إطار الذاتية ، الى عالم البحث العلمي يميزها صفاء الباحث واستقلال البحث .

ولكن هل يستطيع الباحث أن يتتبع قبيلة عربية معاصرة ويسير معها في أعماق التاريخ ليتحسس الجذور البعيدة لهذه القبيلة ، دون أن يأخذ البحث مساراً آخر ، ودون أن يضع الفروع على أصل آخر ، والعياذ بالله ؟ هذا السؤال أيضاً وراء البحث ، يحثني على متابعة دافع علمي أحاول فيه قدر المستطاع تتبع جذور هذه القبيلة بالمنهج العلمي الى أن أصل فيها الى الأعماق البعيدة جداً بحثاً الى نهاية القدرة ...

ومنذ البداية وجدت نفسي أمام قبيلة كبيرة ، وجل أخبارها ضائعة في بطون الكتب ، بل تكاد تكون معدومة ، وأغلب أخبارها من أحاديث الدواوين والمجالس ونحن في الرقة من البلاد الشامية لدينا مثل " طيب " في هذا المقام ، يقول : « حكي القرايا ما يطب السرايا »

حكايا القرى لا تصل الى القصور صحيحة ، فلا يأخذون بها ، والأمر واحد فأحاديث المجالس في هذا الجانب أغلبها شفوي ، يروى بالتناقل التي تلحقها الاضافات غالباً ، ولا تعطي الباحث صورة تاريخية علمية يرتاح اليها • وعلى هذا فالذي يبحث في كتابي هـذا عن أصول هـذه القبيلة المروية برواية شفوية فإنه لن يجد فيه ما يبل غليله أو يشفيه •

وهيهات هيهات ، فلن نعتمـد إلا البحث والتقصي والتنقيب والشاهد والمثال ، والتوثيق •

ولكن هذا لا ينفي المقارنة أحياناً بين الروايات الشفوية المعتمدة للقيل والقـال وبين ما تحويه الكتب من كنوز في علـم التاريخ والأنساب • ومن الصعوبات التي وجدتها في هذا البحث قلة المصادر المكتوبة •••

وأذكر يوماً تحدثت فيه مـع الدكتور الأديب والباحث الأستاذ العراقي يوسف عز الدين،سألته فيه عن كتاب (مطالع السعود في أخبار الوالي داوود) فقال الأستاذ الدكتور انه يملك نسختين مخطوطتين في بيته في بغداد ولا سبيل إليهما الآن • وحين سألني : لماذا تريد الوقوف على الكتاب ؟ أخبرته ببحثي عن جذور وأخبار آل قشعـم ، فقـال : سيكون بحثك شيقاً لأنك تبحث عن شيء مجهول ونادر الأخبار •

وجلست الى شيخ أدباء المملكة العربية السعودية الأستاذ الباحث حمد الجاسر في بيته وسألته عن القوم وعن أخبارهم ، فذكر لي نُتَفاً منها ، وتحدثنا عما جاء في القاموس المحيط من القول بأن قشعم هو لقب القبيلة ربيعة ، أو هو لقب أطلق على ربيعة ، واستغرب الجاسر ، فقـام الى مكتبته ، وجاء بالقاموس فقرأه ، ثم قال : أعتقد أن هذا خطـأ من شارح القاموس الزبيدي ••• ثم وقفت على حديث الرسول صلى الله

عليه وسلم : « الحمد لله الذي جاء بك من ربيعة لقشعم » [1] فاعتقدت أنهم المقصودون بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم • ثم وقفت على الرجز الذي قاله طرفة بن العبد البكري [2] :

والجوز من ربيعة القشعم [3]

وعلى قول العجاج [4] :

إذ زعمت ربيعة القشعم [5]

فاعتقدت أن هذه الشواهد تقوي ظني بأنهم المقصودون ، وعدت الى الشيخ حمد الجاسر وتباحثنا في أمرهم ثم اتفقنا على قلة أخبارهم ، وندرتها في التاريخ فشكرته ثم خرجت ، وقد ازددت اصراراً على البحث ومتابعته ، وعدت الى الشيخ مرة أخرى ، واستفدت منه كثيراً أطال الله بقاءه• وجلست الى الأستاذ السعودي الباحث أحمد حسين شرف الدين،

---

(١) انظر حياة الصحابة ، للكاندهلوي : ج ٣/٣٢١ ، بيروت ، دار المعرفة، لا تاريخ •

(٢) طرفة ، هو طرفة بن العبد بن سفيان البكري الوائلي نحو (٨٦ ــ ٦٠ ق ــ هـ ٥٣٨ م شاعر جاهلي من الطبقة الأولى ، ولد في بادية البحرين ، وتنقل في بقاع نجد ، واتصل بالملك عمرو بن هند فجعله من ندمائه ، فبلغ الملك أنه هجاه ، فأرسل الى المكعبر عامله في البحرين ، فقتله في قصة معروفة •

(٣) لسان العرب ج ١٥/ مادة قشعم •

(٤) العجاج ، هو عبد الله بن رؤبة بن العبد بن صخر السعدي التميمي ، راجز مجيد من الشعراء ، ولد في الجاهلية ، ثم أسلم وعاش الى أيام الوليد بن عبد الملك ، له ديوان شعر مطبوع •

(٥) لسان العرب ج/ ١٥ مادة قشعم •

أمين مكتبة المخطوطات في جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض.
وله مجموعة كتب قيمة في تاريخ اليمن القديم واهتمامات كبيرة في هذا الجانب •

فتداولنا بالحديث ذكر القشعم وأخبار هذه القبيلة ، وما يعرفه عنها ، فلم تكن معلوماته لتزيد شيئاً عن سابقيه • ولكنني استفدت منه فائدة طيبة يعرفها الرجل عن حرف الميم في نهاية كل كلمه يمانية قديمة وأنها اشارة أو علامة الجمع فتكون كلمة قشعم على رأيه جمعاً مفرده (قشع) وضرب على ذلك أمثلة أخرى كقولهم : بكلم ، وحشدم ، ومثلها قشعم •

وتحدثنا عن النقوش القديمة فذكرت له ما جاء في أحد النقوش من ذكر كلمة قشمم ، وربما كانت مصحفة عن قشعم أو قشعم مصحفة عن قشمم ، فكان رأيه أن أسماء القبائل العربية التي خرجت من اليمن تغيّرت ، وضرب على ذلك مثلاً كلمة (طي) اسم القبيلة المعروفة ، وقال بأن النصوص السبئية القديمة لا تذكر اسم طي ، مما يدل على أن هذا الاسم اكتسبته القبيلة في هجرتها الى الشمال ، واتفقنا على أن الاسم لا يعلل ، وعلى ندرة أخبار هذه القبيلة • ثم شكرته وخرجت مصراً على المتابعة ، الى أن يسّر الله وسهّل •

وخلاصة ما توصلت اليه من بحوث قرأتها ، وكتب اطلعت عليها ، ولقاءات قمت بها ، انتشرت على مدار ثلاث سنوات ، وجدت نفسي أمام قبيلة عربية عريقة وكبيرة تغيب أخبارها ، وتحضر ، شكلت يوماً ما إمارة عربية غير معلنة في بادية العراق والشام وقد عظم شأنها حتى خوطب شيخها بالأمير ، ثم بشيخ العراقيين ، ثم بالملك •

وما زال شيوخ العرب يطلقون على ابن قشعم لفظ (شيخ الشيوخ)

بن قشعم ، وقد سمعت هـذا من ابن عجـل الشمّري ، وسمعته من العرب في الكويت ، وسمعته من سالم ابن طواله — رحمـه الله — في الرياض ، وسمعته من كثير من البدو ، والبدو المتحضرين ...

وإذا كان أبو عبـد الرحمن بن عقيـل الظاهري في بحثه عن (آل الجربا) زعماء شمّر ورؤوس الجبل قد ذكر أن أبعد ذكر وجده لهم هو عام ١١٠٠ هـ وعام ١١٠٣ هـ عن وفاة اثنين منهم ، وأنهم قد رحلوا من نجد سنة ١٢٠٥ هـ بعـد هزيمتهم أمـام ابن سعود فبنوا زعامتهم في العراق وسورية [1] . اذا كان هـذا أقدم ذكر لآل الجربا وقف عليه الباحث ، فإن ذكر القشعم أبعـد من دلك بكثير .. فهو ذكر يعود الى أيام الملك الظاهر برقوق ، في نهاية القرن الثامن ٧٩٥ هـ .

وكان ظهوراً واضحاً فيه تنصيب أمير ، وتولي إمارة العرب بدلاً من الأمـير نُعَيْر سنة (٧٩٥ هـ) وتاريخ متصـل منذ ذلك الوقت الى الآن ...

ومع ذلك فإن كثيراً من أفراد هذه القبيلة — مع الأسف — لجهلهم بمكانة قبيلتهم ولانتشارهم في عديد من البلدان ، قد تسمّوا بأسماء قبائل أخرى ، لا أريد أن أقول : إنها أدنى مستوى منهم أو أعلى ، الى آخر ما يقال في مثل هـذه الحالة ، ولكنني أريد أن أذكّرهم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل : « كُفْرٌ بالله تبرؤٌ من نسبٍ ، وإن دقّ ، وكفر بالله ادّعاء الى نسب لا يعرف » .

وأذكّرهم بحديثه الآخر عليه الصـلاة والسلام ، القائل : « من

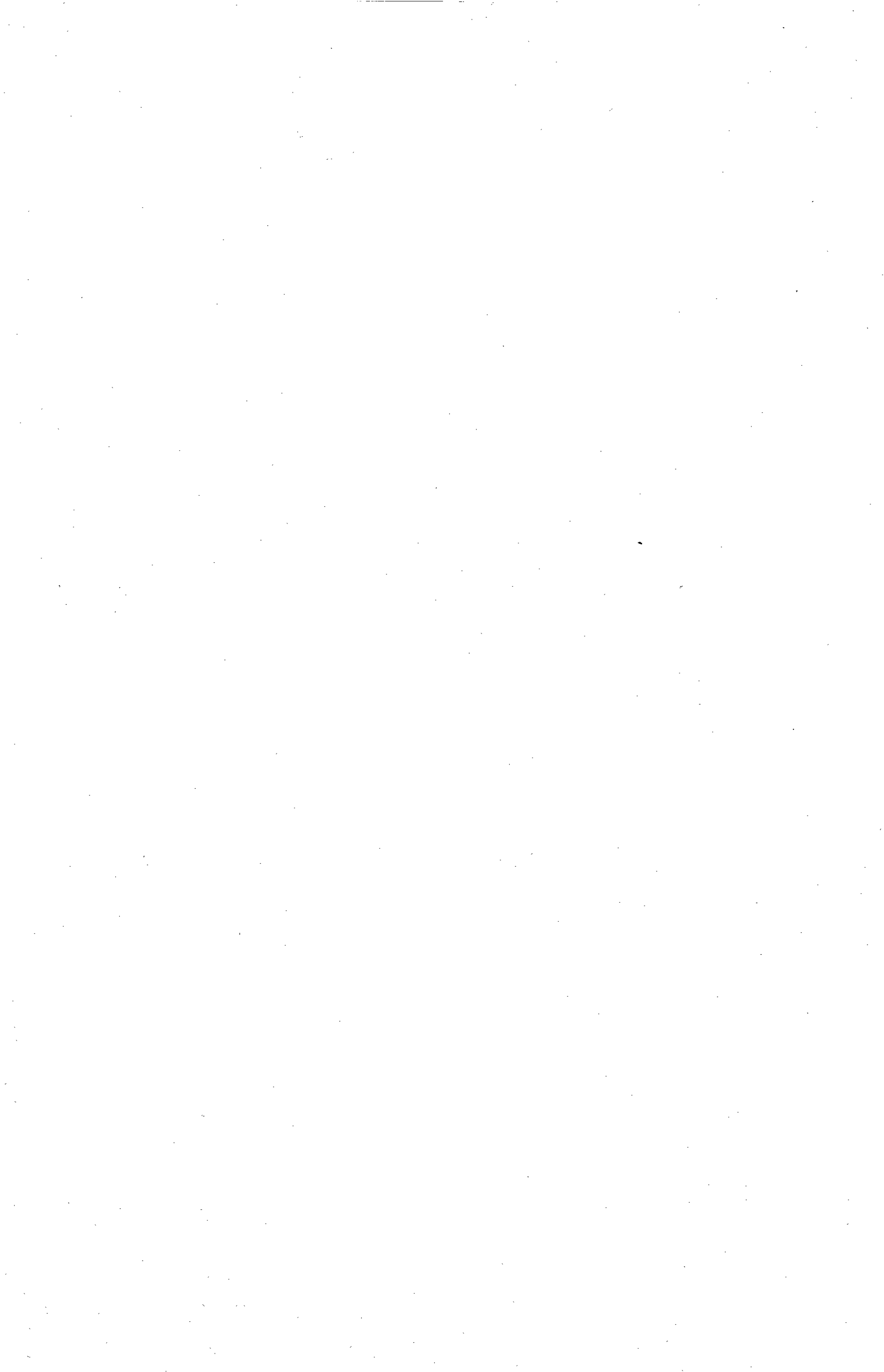
---

(١) آل الجربا في التاريـخ والأدب ص ٧٢ ، الرياض ، دار اليمامـة ١٤٠٣ هـ — ١٩٨٣ م .

ادّعى الى غير أبيه أو انتمى الى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً » •

ومن أجل الاخلاص للبحث ، وإعادة الحق الى نصابه كانت هذه الأحاديث النبوية لأقول كلمة الى كل القشاعمة الذين انسلخوا وتسموا بأسماء قبائل أخرى غير قبيلتهم الأم • عليكم أن تعودوا الى الأصل ولي عليكم حجتان ، الأولى متمثلة بحديثي رسول الله صلى الله عليه وسلم السابقين • والثانية : ان تاريخكم مشرّف وزاهر ، وهو فخر للبلاد التي أنتم فيها إذا التزمتم بكل ما يرضي الله ، حمّالين للأمانة ، آمرين بالمعروف ، ناهين عن المنكر ، واصلين الأرحام ، كافلين الأيتام ، مطيعين لأولي الأمر من المسلمين ، وهم سيفخرون بكم يحبونكم كما تحبونهم ، ويحفظون لكم حقوقكم كما تحفظون لهم العهد والبيعة •

موقف الإسلام من العصبية القبلية



يسقط الاسلام جميع الفوارق ، ويرتفع عنده ميزان واحد بقيمة واحدة ، ميزان يعرف به فضل الناس : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » والكريم حقاً هو الكريم عند الله . وهو يزنكم عن علم وخبرة بالقيم والموازين : « إن الله عليم خبير » .

وهكذا تتوارى جميع أسباب النزاع والخصومات في الأرض ، وترخص جميع القيم التي يتكالب عليها الناس . ويظهر سبب واضح للألفة والتعاون : ألوهية الله للجميع ، وخلقهم من أصل واحد . كما يرتفع لواء واحد يتسابق الجميع ليقفوا تحته : لواء التقوى في ظل الله . وهذا هو اللواء الذي رفعه الاسلام لينقذ البشرية من عقابيل العصبية للجنس ، والعصبية للأرض ، والعصبية للقبيلة ، والعصبية للبيت ، وكلها من الجاهلية واليها ، تتزيا بشتى الأزياء ، وتسمى بشتى الأسماء وكلها جاهلية عارية من الاسلام !

وقد حارب الاسلام هذه العصبية الجاهلية في كل صورها وأشكالها ، ليقيم نظامه الانساني العالمي في ظل راية واحدة : راية الله .

وكل راية غير راية (لا إله إلا الله محمد رسول الله) زائفة لا يعرفها الاسلام .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كلكم بنو آدم ، وآدم خلق من تراب ، ولينتهين قوم يفخرون بآبائهم ، أو ليكونن أهون على

الله تعالى من الجعلان » [1] .

وقال صلى الله عليه وسلم عن العصبية : « دعوها فإنها منتنة » ؟ ؟
وهذه هي القاعدة التي يقوم عليها المجتمع الاسلامي ، المجتمع الانساني العالمي ، الذي تحاول البشرية في خيالها المحلق أن تحقق لوناً من ألوانه، فتخفق لأنها لا تسلك إليه الطريق الواحد الواصل المستقيم .. الطريق الى اللـــه .

وفي واقع الحال فإن مسألة العصبية في الاسلام دقيقة وتحتاج الي توضيح المقصود بالعصبية تماماً ، وهي مسألة ـ كما نراها ـ شبيهة بالنظرة الاسلامية الي الشعر ، فالشعرلا يستطيع المرء أن يحكـم عـلى تحليله أو تحريمه إلا اذا وقف على نوعه . وهكذا شأن العصبية ... وقد مر بنا قول أبي بن كعب رضي الله عنه،حين سأل النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له : « أمن العصبية أن يحب الرجل قومه ؟ » فقال النبي : « لا ، ولكن من العصبية أن ينصر الرجل قومه على الظلم » [2] .

وفي العصـر الحديث رأينا صورة اســلامية طيبة قادهـا الملك عبـد العزيز آل سعود رحمـه الله تجلت في صهر العصبية القبلية في الاسلام ، وجعـل القبائل العربية تتبني رايـة الاسلام بدلا من راية العصبية القبلية، فعلا مقام الدين ، ومكّن الله للامام في الارض حـين أقام دولة الاسلام في بيئة تعتبر مهد القبلية العربية منذ أقدم العصور ،

---

(١) رواه أبو بكر البزار في مسنده من حديث حذيفة .
(٢) رواه مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله .

وما كان غـيره لينجح في هـذا ؛ ولكنه حين تمسك بصلب العقيـدة الصحيحة نجح وأفلح لأن الله يريد هذا ، ولأن النصوص كلها تؤكد أن العصبية التي نهى عنها الاسلام تلك التي تعين على ظلم الآخرين .

وقد كان الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يتحدث عن القبائل ، ويفضل بعضها على بعض ، ومقياسه الالتزام بدين الاسلام ، فالقبيلة التي تلتزم بأوامر الاسلام ، وتجتنب نواهيه تلك قبيلة مبجلة في ميزان الاسلام مقدمة على غيرها ، وفي صحيح مسلم مجموعة أحاديث طيبة تلقي ضوءاً على موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من هذه المسألة في جانب إيجابي لها .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله اصطفى من ولـد اسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم » (١) .

وفي صحيح مسلم باب اسمه من فضائل الأنصار رضي الله تعالى عنهم ، جاء فيه « عن جابر بن عبد الله قال فينا نزلت : « إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما » بنو سلمـة وبنو حارثة . وما نحب أنها تنزل لقول الله عز وجل « والله وليهما » .

وعن زيد بن أرقم ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار ، وأبناء أبناء الأنصار .

وعن أنس بن مالك عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خـير دور الأنصار بنو النجـار ، ثم بنو عبد الأشهل ، ثم بنو

---

(١) صحيح مسلم ج ٧/٥٨ .

الحارث بن الخزرج ، ثم بنو ساعدة وفي كل دور الأنصار خير ، فقال سعد : ما أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا قد فضّل علينا ، فقيل : قد فضّلكم على كثير .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو لبعض القبائل ، فقد حدّث أبو ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : غفار غفر الله لها ، وأسلم سالمها الله .

وفي صحيح مسلم أيضاً باب : من فضائل غفار وأسلم وجهينة وأشجع ومزينة وتميم ، ودوس وطيء .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قريش والأنصار ومزينة وجهينة وأسلم وغفار وأشجع موالي ليس لهم مولى دون الله ورسوله » [1] .

وفيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أسلم وغفار ومزينة ومن كان من جهينة أو جهينة خير من بني تميم وبني عامر والحليفين أسد وغطفان » .

وفيه « والذي نفس محمد بيده لغفار وأسلم ومزينة ومن كان من جهينة أو قال جهينة ومن كان من مزينة خير عند الله يوم القيامة من أسد وطيء وغطفان » .

وفيه : « ان أول صدقة بيضت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجوه أصحابه (أي أفرحتهم وأسرّتهم) صدقة طيء » وفيه بيان فضيلة لطيّ . والله أعلم [2] .

---

(1) صحيح مسلم ج ٧/١٧٨ .

(2) حواشي صحيح مسلم : ج ٧/١٨٠ .

وعندما يقتتل شخصان مسلمان من قبيلتين مسلمتين ، واجب كل قبيلة أن تنصر صاحبها ، لكن عـلي طريقة النصر الاسلامي ، وهي أن تأخذ على يده ان كان ظالماً ، أو تنصره إن كان مظلوماً ، كما في حديث صحيح مسلم أيضاً :

« اقتتـل غلامان غـــلام من المهاجرين وغـــلام من الأنصار فنادى المهاجر أو المهاجرون يا للمهاجرين ، ونادى الأنصاري يا للأنصار، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « ما هذا دعوى الجاهلية ! قالوا : لا ، يا رسول الله إلا أن غلامين اقتتلا فكسع أحدهما الآخر ، قال : فلا بأس ولينصر الرجل أخاه ظالماً أو مظلوماً ، إن كان ظالماً فلينهه فإنه له نصر ، وإن كان مظلوماً فلينصره » [1] .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يحث على تعلم الأنساب ما يصلون به الأرحام ، فقد روى أنس بن عياض عن عبد الملك بن عيسى الثقفي عن عبد الله بن يزيد مولى المنبعث عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم فإن صلة الرحم محبة في الأهل مثراة في المال منسأة في الأجل » [2] .

كما حث عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه على تعلم الأنساب ، وعدم التفريط بها ، فقال : تعلموا أنسابكم تصلوا أرحامكم ولا تكونوا كنبط السواد إذا سئل أحدهم ممن أنت ؟ قال : من قرية كذا ، فوالله انه ليكون بين الرجل وبين أخيه الشيء لو يعلم الـذي بينه وبينه من دخلة الرحم لردعه ذلك عن انتهاكه .

---

(١) صحيح مسلم : ج ١٩/٨ .

(٢) ابن عبد البر النمري القرطبي ت ٤٦٣ هـ ، القصد والاسم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجـم ، وأول من تكلـم بالعربية من الأمـم ص : ٤٢ . النجف ، المطبعة الحيدرية .

كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحذر الناس المتبرئين من أنسابهم وإن صَغُرَت ، وكذلك يحذرهم الادعاء الى نسب لا يعرف ، قال : « كُفْرٌ بالله تبرؤ من نسب وإن دق ، وكفر بالله ادعاء الى نسب لا يعرف » .

وروي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه مثله . وقال صلى الله عليه وسلم : « من ادعى الى غير أبيه وانتهى الى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلا » (١) .

ذكر أن الأشعث بن قيس قال : قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد كندة فقلت : ألستم منا يا رسول الله ؟ فقال : لا . نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفوا أمنا ولا ننتفي من أبينا » (٢) .

وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يحرص على أمور العشيرة فيولّي على العشيرة (٣) ، وكان الرجل إذا أسلم يؤمره على قومه (٤) .

وقد ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل عشيرة أو قوم راية أو لواء (٥) أو رايتين (٦) ، أو راية ولواء (٧) ، أو لواءين (٨) . وكان

---

(١) المصدر السابق ص : ٤٣ .

(٢) ابن عبد البر ، المصدر السابق : ص ٦٦ ـ ٦٧ .

(٣) ابن حجر / الاصابة في حياة الصحابة ج ٥٥٩/١ .

(٤) البخاري ، تاريخ ج ٢٧٧/٣ .

(٥) انظر النووي تهذيب الاسماء واللغات : ج ٢٠٣/١ ، وابن الأثير في أسد الغابة : ج ٦١/١ .

(٦) ابن حجر ، الاصابة : ج ٤٤٦/٣ .

(٧) المصدر السابق ٢٦/٣ ـ ٢٧ و ج ٥٦٥/٤

(٨) المصدر السابق ج ١٦٤/١ ـ ٢٤٧ ، ج ٥٦٥/٣ .

لكل عشيرة شعار في الحرب ينادون به ، وقد بعث الرسول صلى الله عليه وسلم طلحة في سرية من عشرة ، فقال : شعاركم « ياعشرة » [1] .

وكان الرسول قد أسند أمر جباية الصدقات الى العشيرة وكان شعار قادة العشائر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته .. » .

وكانت العشيرة تختار سيدها ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يشترط لهذا السيد أن يكون مسلماً كريماً [2] .

وفي واقـع الحال فإن موقف الاسلام من العصبية القبلية مسألة دقيقة تشبه عندي موقفه من الشعر . فالإسلام حارب نوعاً معيناً من الشعر ، ورفضه رفضاً قطعياً . ذلك هو الشعر الماجن الفاجر الذي يثير الفتن والثارات بين القبائل ويشيع الرذيلة في المجتمعات ، ويحمل المعاني المناقضة للمعاني الإسلامية ، ولكن الشعر الذي يصدر عن شاعر مسلم مؤمن يسخّر موهبته ومواقفـه وكلماته لخـدمة الدعوة الاسلامية ، ولنشر الفضيلة ومكارم الأخلاق والألفة والإخاء والتعاون في المجتمعات هذا شعر غـير محرّم وهو سلاح ذو حـدين فعّال في المعركة التي يخوضها الاسلام ضد أعدائه .

والعصبية القبلية سلاح ذو حدين كذلك ، فهي إن سخّرت لخدمة القبيلة ومناصرة أفرادها والوقوف الى جانبهـم في ظلمهـم للآخرين ، وعدوانهم على الناس وعدم ردعهم ، أو كف أذاهم عن الناس ، وعدم محاربتهم في المجـال النفسي ، أو الكلامي ، أو الفعـلي ، بل الوقوف

(١) انظر الطبقات لابن سعد ج ٣/٢١٩ .

(٢) المصدر السابق .

معهم ومباركة كل أعمالهم العدوانية المخالفة للشرع الاسلامي .. هي إن كانت كذلك محرمة ومنبوذة ويحاربها الاسلام محاربة شديدة ؛ وفاعلها ، ومؤيده ، ومناصرها ، كل أولئك يموتون ميتة جاهلية ، إن لم يتداركوا أنفسهم بالتوبة .

وهي إن كانت وحدة على الخير والمحبة مسخرة لخدمة الاسلام وما يرضي الله ، تأخذ على يد الظالم من أفرادها ، وتنصر المظلوم ؛ وتتمثل بحب الله أولاً ثم الرسول ، ثم الأهل والقبيلة فهي مقبولة لا شك في هذا شريطة ألا تسخّر للشر إطلاقاً .

ويلفت نظري كتاب ألّف أصله الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى ، وتوسع فيه علاّمة العراق محمود شكري الآلوسي ، واسمه « مسائل الجاهلية التي خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية » [1] .

ومن هذه المسائل المسألة (الحادية والثمانون) الفخر بالأحساب (والثانية والثمانون) الطعن في الأنساب . ودليل بطلانها حديث رواه البخاري ومسلم ، واللفظ لمسلم بسنده الى أبي مالك الأشعري أن النبي صلى الله عليه وسلم حدّثه ، قال : « أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن : الفخر في الأحساب ، والطعن في الأنساب ، والاستسقاء بالنجوم ، والناحية ، أو قال النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ، ودرع من جرب » .

والفخر في الأحساب ، افتخارهم بمفاخر الآباء والطعن في الأنساب

---

(١) القاهرة ، المطبعة السلفية ١٣٩٧ هـ .

إدخالهم العيب في أنساب الناس تحقيراً لآبائهم وتفضيلاً لآباء أنفسهم على آباء غيرهم .

وقد استرسل الشيخ الآلوسي رحمه الله في شرح هذا الحديث حتى قال : « وورثتهم اليوم طائفة من هذه الأمة تجاوزوا فيها أسلافهم، وزادوا في الطنبور نغمات ، فتراهم يفتخرون بمزايا آبائهم ، وهم بمراحل عنهم ، فهذا يقول : كان جدي الشيخ الفلاني ، وهذا يقول : جدي العالم الرباني ، الى غير ذلك . وكذلك الطعن في الأنساب ، فهذا يقول : إن آباء فلان لم يكونوا من العترة الطاهرة ، وذاك يقول : إن آباء فلان لم يكونوا من ذوي الأحساب الباهرة وكذلك الاستسقاء ... الخ »[1] .

فهذا مما أبطله الاسلام ودفعه دفعاً قوياً .

ولا بد لي في نهاية هذه الفقرة من ذكر فقرة جاءت في كتاب كتبه النبي صلى الله عليه وسلم الى بني الحارث بن كعب ــ بعد أن ولي وفدهم عمرو بن حزم الأنصاري ليفقههم في الدين ، ويعلمهم السنة ، ويأخذ منهم صدقاتهم ــ قال في كتابه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا بيان من الله ورسوله (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) . عقد من محمد النبي رسول الله لعمرو ابن حزم ، حين بعثه الى اليمن ، أمره بتقوى الله في أمره كله ف (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) ... ومما جاء في هذا العقد النبوي الى عمرو بن حزم أن :

---

(١) المصدر السابق ص : ٨٩ .

ينهي – إذا كان بين الناس هيج [١] – عن الدعاء إلى القبائل والعشائر ، وليكن دعاؤهم الى الله وحده لا شريك له ، فمن لم يدع الى الله ، ودعا الى القبائل والعشائر فليقطّعوا بالسيف حتى يكون دعاؤهم الى الله وحده لا شريك له ، ويأمر الناس بإسباغ الوضوء : وجوههم وأيديهم الى المرافق ، وأرجلهم الى الكعبين ، ويمسحون برؤوسهم كما أمرهم الله عزّ وجل ...) الى آخر العقد النبوي الذي اقتصرنا فيه على بيان موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من الذين يدعون الى القبائل ويحاربون الله ورسوله إنها دعوة مرفوضة ممقوتة يحاربها الاسلام ، ولكن الذين يتمسكون بكتاب الله وسنة نبيه ويحثون قبائلهم على التمسك بالاسلام وينشرون بينهم القيم الخيّرة الطيبة ، ويحبون قومهم لا تثريب عليهم ، و لاحزن ، وهم في نعمة من الله .

عن عبادة بن كثير الشامي (من أهل فلسطين) ، عن امرأة منهم يقال لها فسيلة ، أنها قالت :

سمعت أبي يقول : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقلتُ : يا رسول الله ، أمن العصبية أن يحبّ الرّجلُ قومه » قال : « لا ، ولكن من العصبية أن يَنْصُر الرجل قومه على الظلم » . وفي رواية : أن أحد الصحابة سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمن العصبية أن يحب الرجل قومه ؟ قال : لا ، ولكن من العصبية أن يعينهم على الظلم [٢] .

---

(١) ثورة .

(٢) ابن خياط : الطبقات ١٢٣ – ١٢٤ .



جمهرة اللغة لابن دريد ت ٣٢١ هـ .

تهذيب اللغة لأبي منصور ، الأزهري ت ٣٧٠ هـ .

أساس البلاغة للزمخشري ت : ٥٣٨ هـ .

لسان العرب لابن منظور ت : ٧٥٠ هـ .

تاج العروس من جواهر القاموس:للزبيدي ت: ١٢٠٥ هـ.

معجم متن اللغة للشيخ محمد رضا.



قشعم في اللغـــة

لا بد للبحث من مسارات يسير فيها ، ويعتـــد بعضها بعضاً في الأهمية،وفي الترتيب كي تكون النتائج التي يصل إليها الباحث سليمة • ونحن هنا نستعرض كلمة قشعم في المعجمات والقواميس اللغوية ، فهي وإن كانت تعطينا مسميات كثيرة ومتعددة لكنها ترشدنا كذلك الى شيء مهم جداً لا بأس من ذكره أولاً ، هذا الشيء يلفت النظر ، وهو أن القبائل التي سميت بأسماء الحيوانات ، هي من أقدم القبائل العربية ، وهي تعود الى عصور قديمة جداً ، مثـل بني كلب ، وبني أسد ، بني نمير ، بني ثعلبة ، بني قشعم أو آل قشعم•••••ولنقف على عدة قواميس ونرى المسميات المتعددة التي يشير إليها هذا الاسم وما يشتق منه •

أولاً : كتاب جمهرة اللغة لابن دريد ت ٣٢١ هـ :

القشعم المسنّ، وهو اسم من أسماء النسر ، والقشعم أيضاً اسم من أسماء الأسد ، قال أبو بكر : إنما ثقّل العجاج القشعم اضطراراً ، فقـــال :

إذ زعمت ربيعةُ القشعَمُ

وكان ربيعة بن نزار يسمى القشعم ، وأم قشعم الحرب ، والداهية والقشعوم، والقرشوم الصغير الجسم وربما سمّي به القراد، والقرشوم ضرب من النبت ، وزعموا أنه شجرة تحمل البق •

فابن دريد يختصر الموضوع ويراها تعني .

- المسنّ •
- من أسماء النسر •
- من أسماء الأسد •
- ربيعة القشعم •
- ربيعة بن نزار •
- الحرب ، والداهية •
- الصغير الجسم •
- القـــــراد •

ويزيد على المعاني السابقة أنه شجرة تحمل البق •

ثانياً : تهذيب اللغة ، لأبي منصور الأزهري ت (٣٧٠ هـ) (قال) ثعلب ، عن ابن الأعرابي : القشعم ، النّسر المسن ، والقشعم الموت •

وقال الليث : القشعم هو المسنّ من النسور والرخم لطول عمره •

والشيخ الكبير يقال له : قشعم القاف مفتوحة والميم خفيفة ، فإذا ثقلت الميم كسرت القاف ، وكذلك بناء الرباعي المنبسط إذا ثقّل آخره وكسر أوله ، وأنشد :

إذ زعمت ربيعة القِشْعَمّ

فتهذيب اللغة يرى القشعم :

- الصغير الجسم •

ـ القـــراد .

ـ المسنّ من الرجال والنسور .

ـ الضخم المسن .

ـ الحرب ، أو المنيّة .

ـ الضبع .

ـ الشيخ الكبير .

اختلف عن المعـاني السابقة التي جـاءت في لسان العرب وتاج العروس بإضافة :

ـ الموت .

وذكر ربيعة القشعم ولكن دون أن يذكر أنه لقب ربيعة بن نزار .

ثالثاً : أساس البلاغة « مادة قشع » .

يستعرض الزمخشري بعض المعاني السابقة ، ويضيف شطر بيت من الشعر :

« وطارت به أم قشعم »

أي المنية . وهكـذا لا نجـد جديداً فيما ذهب إليه الزمخشري في أساسه من المعاني التي تحتملها اللفظة .

رابعاً : لسان العرب « مادة قشعم » .

القشعوم الصغـير الجسم ، وبه سمي القـراد ، وهو القرشوم

والقرشام ، والقشعم والقشعام المسنّ من الرجال والنسور والرخم لطول عمره ، وهو صفة والانثى قشعم ، قال الشاعر :

تركت أباك قد أطْلى ومالَتْ عليه القشعمان من النّسور

وقيل هو الضخم المسنّ من كل شيء ، قال أبو زيد : « كل شيء يكون ضخماً فهو قشعم ، وأنشد :

وَقِصَعٌ تُكْسى ثمالاً قَشْعَما »

والثمال الرغوة .

وأم قشعم الحرب ، وقيل المنيّة ، وقيل الضبع ، وقيل العنكبوت وقيل الذّلّة ، وبكلٍّ فسّر قول زهير [1] :

فشد ولم يُفْزِع بيوتاً كثيرة لدى حيث ألقت رحلها أم قشعم

(وقال) الأزهري : الشيخ الكبير يقال له قشعم القاف مفتوحة والميم خفيفة ، فإذا ثقلت الميم كسرت القاف ، وكذلك بناء الرباعي المنبسط إذا ثقل آخره كسر أوله ، وأنشد العجاج :

إذ زعمت ربيعة القِشْعَمّ

قال ابن سيده : القِشعَمُ مثل القَشْعَم ، وقشعم من أسماء الأسد وكان ربيعة بن نزار يسمى القشعم ، قال طرفة :

والجوز من ربيعة القَشْعَمّ

(١) المقصود زهير بن أبي سلمى الشاعر الجاهلي من أصحاب المعلقات .

أراد القشعم ، فوقف وألقى حركة الميم على العين كما قالوا : البَكِرَة ، ثم أوقعوه على القبيلة .

شدد ضرورة ، وأجرى الوصل مجرى الوقف . وهكذا فلسان العرب يرى القشعم :

- الصغير الجسم .
- القراد .
- المسنّ من الرجال والنسور .
- الضخم المسنّ من كل شيء .
- الحرب ، أو المنيّة .
- الضبع
- الشيخ الكبير .
- الأسد .
- ربيعة بن نزار . (ابن سيده) .

قال : وتكنى الحرب أم قشعم ، والضبع أم قشعم . وقال أبو عبيد في القَشْعَم والقِشْعَم نحواً مما قال الليث . وكذلك قال شمر . قال : وقال أبو عمرو ، وأم قشعم هي المنية أو هي كنية الحرب أيضاً ، وقال زهير :

لدى حيث ألقت رحلها أم قشعم

وقال أبو زيد : كل شيء يكون ضخماً فهو قشعم ، وأنشد :

وقِصَعَ يُكْسي ثُمالاً قَشْعَماً

والثمال : الرغوة .

وقال ابن دريد : القُشْعوم : الصغير الجسم ، وبه سمي القراد ، وهو القرشوم والقرشام .

خامساً : كتاب تاج العروس من جواهر القاموس . (للزبيدي) .

القشعم كجعفر المسنّ من الرجال والنسور ، كما في الصحاح ، زاد غيره والرخم لطول عمره ، وهو صفة ، وقيل هو الضخم المسن من كل شيء ، وأيضاً الأسد لضخامته ، وأيضاً لقب ربيعة بن نزار ، أبي قبيلة ، ثم أوقعوه على القبيلة ، وهم القشاعمة .

وهو قشعـــمٌ كأردبٌ لقّب به لضخامته . وأم قشعم الحرب . وقيل المنية والداهية كما في الصحاح وبه فُسِّر قول زهير :

« لدى حيث ألقت رحلها أم قشعم »

وأم قشعم من كنى الضبع وبه فسّر قول زهـــير أيضاً ، وأيضاً قرية النّمل والقُشْعُمان بالضم .

وفي الصحاح مثـــل الثعلبان والعقربان ، وذكر غيره فيه الفتح ، ومثله القشعام كقرطاس ، النّسر الذكر العظيم ، وفي الصحاح : العظيم الذكر من النسور ، والقشعامة بالكسر الفخ ، يوضع للصيد والقشعوم كزنبور الصغير الجسم الضاوي القميء ، وأيضاً القراد لصغر جسمه .

ومما يستدرك عليه القشعمٌ كأردبٌ الضخم والمسن من كل شيء

والقشعوم المسنّ من الرجال والنسور ، وأم قشعم الذلة وبه فسّر بيت زهير أيضاً •

وفي همع الهوامع : القشعام العنكبوت • مما جاء على فعلان غير المضاعف وذكره في المزهر أيضاً •

فتاج العروس يرى القشعم :

- الصغير الجسم الضاوي القميء •
- القـــراد •
- المسن من الرجال والنّسور ، والعظيم الذكر من النسور •
- الضخم المسنّ •
- الحرب ، أو المنية والداهية •
- الضبع •
- الأسد لضخامته •
- ربيعة بن نزار ، أبو القبيلة •

ومما زاده تاج العروس على لسان العرب :

- العنكبوت •
- قرية النّمل •
- الذلة •

واشترك معه في بقية المعاني والصفات بما فيها لقب ربيعة بن نزار ، على القبيلة •

سادساً : معجم متن اللغة للعلامة الشيخ محمد رضا .

قال العلامة الشيخ : القشاعمة : بنو ربيعة بن نزار ، ولقبه قَشْعَمْ وقِشْعَمْ الى جانب صفات أخرى .

والجديد في كلام محمد رضا تفصيله القول (القشاعمة : بنو ربيعة بن نزار) ويلفت النظر هنا أنه يستخدم لفظ الجمع القشاعمة تحت تأثير البيئة العراقية ، فالمؤلف عراقي والقشاعمة كثر في العراق ، لكن اللفظة تنطق بالجيم ، فيقولون لهم الجشاعمة . وفي العراق جزء كبير من قبائل ربيعة مع ما قرأه الشيخ في المعجمات اللغوية فسار على أثر الأقدمين ، وقال بأنهم بنو ربيعة بن نزار دون تحقيق أو تعليق .

ولا جديد فيما قاله الشيخ .

ومن خلال استعراض معاني هذه الكلمة في المعجمات يمكن للباحث أن يصل الى وضوح في الرؤية .

وما يلفت النظر فيها كلها إقرارها بأن ربيعة بن نزار هو المعني بلقب القشعم ، فالقشعم في لسان العرب لقب ربيعة بن نزار ، وفي تاج العروس لقب ربيعة بن نزار ، وفي جمهرة اللغة لقب ربيعة بن نزار ، وقولهم ربيعة القشعم الى جانب قولهم لقب ربيعة بن نزار فهل ربيعة القشعم غير ربيعة بن نزار ؟! . وأما صاحب تهذيب اللغة فإنه لا يذكر لقب ربيعة بن نزار ، وإنما يشير الى أنه (ربيعة القشعم) ...

كذلك من خلال الاستعراض السابق لمعاني اللفظة يتبين معنا أن القشعم هو الأسد ، فإذا تذكرنا قولهم : ربيعة القشعم بإضافة القشعم الى ربيعة صار المعنى ربيعة أسد ، وهذا يضعنا أمام قولهم السابق وهو ربيعة بن نزار .

فهل ربيعة أسد هي ربيعة نزار ؟!..

ربما ساعدنا على الإجابة البحث عن كل قبيلة سميت ربيعة عند العرب في الجاهلية ••• وربما ساعدنا على الإجابة أيضاً حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحمد لله الذي جاء بك من ربيعة القشعم » ؛ وربما ساعدنا على الإجابة أيضاً ما عرف عن القشاعمة منذ القدم أنهم قحطانيون وليسوا عدنانيين • ولكن لنبدأ بالحديث عن القبائل التي سميت ربيعة في حياة العرب الجاهليين •

— ربيعة بن نزار الجد الجاهلي القديم ، ومن نسله بنو أسد ، وعنزه ، ووائل ، والدايل ، وآخرون غيرهم •

— ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، وهو جدّ جاهلي قديم من العدنانية ، بنوه يعرفون بربيعة الكبرى • وربيعة الجوع •

— ربيعة بن نصر اللخمي ، وهو الذي خلف « أب كرب سعد » ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويسنات وأعرابها ، وكان حكمه قد انتهى سنة ٤٣٠ م ويروي الأخباريون أنه قد رأى رؤيا هالته • فسار بأهله الى العراق وأقام بالحيرة وحكم فيها •

ومن عقبه كان « النعمان بن المنذر » [١] ملك الحيرة • ثم عاد الملك الى « حسان بن تبان بن أب كرب » وبعض الباحثين قد جعل العرش بعد وفاة « أب كرب أسعد » لشقيقه « ور وأمر أيمن » (٤١٥ — ٤٢٥ م) ، ثم الى ابن أخيه شرحبيل يعفر وعلى أية حال فليس قصدنا أن نتوسع بأخبار ملوك وأقيال اليمن هنا ، وإنما ذهبنا

(١) ابن الأثير : ج ٤١٨/١ — ٤٢٠ ، صبح الأعشى ج ٢٣/٥ •

الى ذكر ربيعة بن نصر اللخمي علـى أنه جد للعرب اللخميين ، ومنهم بنو ماء السماء .

ـ ربيعة طي ، وهو جد إسلامي متأخر من سلالة سلسلة بن غَنْم ابن ثوب بن معن من طيء ، من القحطانية [1] .

ويتضح معنا جواب السؤال المعلق واضحاً فربيعة أسد غير موجودة ، بل على العكس فأسد من أبناء ربيعة بن نزار ، ويعود سؤال آخر مرة أخرى ماذا عنى الشعراء بقولهم (ربيعة القشعم) ؟ وماذا يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : (الحمد لله الذي جاء بك من من ربيعة القشعم) ، ولمن قال الرسول عليه الصلاة والسلام ذلك ؟ لا بد من الانتقال الى الفقرة التالية للإجابة عن هذه الأسئلة ونحن نبحث في الجذور .

---

(١) انظر نهاية الأرب ٢٤١ ، اللباب ٢ : ١٨٠ و ج ٣ : ٨٠٧ ، وكتاب الأعلام : ج ٣/١٦٤ .

الجذور التاريخيّة



الجـــذور التاريخية

لا يمكن للباحث أن يهتدي الى جذور قبيلة ما من القبائل العربية إعتماداً على المعنى اللغوي للاسم الذي تحمله القبيلة فقط ، ولكن هذا لا يمنع أن يستفيد الباحث من القرائن التي تشير اليها التسميات الى جانب الجذور .

وحيث نبحث في الجـذور التاريخية القديمة للقشعم ، لا بد من الاستفادة من الاسم الحاضر الذي تحمله القبيلة ، وما يقال عن هذا الاسم ، وعن أصل القبيلة ، ثم بعد هذا لا بد من مناقشة الجذور على ضوء المعطيات التاريخية .

وعلى كل حال فالحاضر هو امتداد للماضي ، ونستطيع أن نبدد الظلمة التي تحيط بالانتماء الحديث من خلال نور الماضي الذي يبدد ظلمة الحاضر ، وأحياناً نستطيع أن نستفيد من معطيات الحاضر لتبديد ظلمة تحيط بأصل قديم ، وهكذا لا بد للنور من تيارين سالب وموجب، فبينهما تكون الاضاءة .

يعرف القشعم اليوم بأولاد قطر السماء ، ومرّة بماء السماء ، كما يعدون ضمن قبائل شمّر [1] فهم معدودون من قبائل الجعفر من عبده

(١) انظر التاج : مادة شمر في مستدركاته على القاموس المحيط ، واللباب ٢ : ٢٨ والاكليل ٢ : ١٧٣ وانظر : ديكون في كتابه عرب الصحراء ص : ٥٧٤ . (والمعتقد أن شمّر مجموع مشكل من قبائل طي) .

ومعلوم أن عبده وسنجارة وأسلم وتومان تشكل بطون شمر ، وآل القشعم من الجعفر من عبدة . ولكن هل هذا صحيح ؟ ...

هذا هو المعروف المشهور ... وشمّر ، جد جاهلي ينسب اليه الشمريون واسمه شمر بن جذيمة بن ثعلبة بن سلامان ، من طيء .

وهم بطون كثيرة في البلاد العربية السعودية تجتمع في ثلاث قبائل: سنجارة وأسلم ، وعبدة . وهناك شمر الجربا : منازلها بين بغداد والموصل (على الضفة الشمالية من الفرات) تابعة للعراق [١] ، وهناك تومان .

وكل قبيلة من القبائل التي ذكرت بطون وأفخاذ . ويقسم الباحث العراقي عباس العزاوي فروع عبدة من شمر فيذكر (اليحيا) ثم يعددهم ، ويذكر (الدغيرات) ثم يعددهم ، ثم يذكر (الجعفر) ويعددهم بالترتيب فيراهم :

أولا : العلي ، (الذين حكموا قبل ابن رشيد) .

ثانياً : الخليل ، (ومنهم ابن رشيد) .

ثالثاً : القشعم ، أو القشاعمة كما ذكرهم . ثم بعد ذلك يذكر آل احيمر وآل ربة والعطون ، والعبيدات [٢] .

ويذكر العزاوي القشعم في كتابه الرابع من عشائر العراق (أهل الأرياف) وهو يعدد عشائر الأجود : آل غزي ، والجواريين ، وبنو زيد

---

(١) المصادر السابقة .

(٢) عباس العزاوي : عشائر العراق القديمة البدوية الحاضرة ص : ٢٢٠ ، بغداد ١٣٥٦ هـ ـ ١٩٣٧ م .

والجشعم ، وبنو رجاب ... [1] . والجدير ذكره هنا أن لفظة قشعم تنطق بالجيم مرة وبالكاف مرة وذلك في العراق وسوريا وبالقاف كذلك فيقال لهم : القشعم ، والجشعم والكشعم .

القشعم وبنو لام :

يذهب الباحث العراقي المؤرخ عباس العزاوي ــ رحمه الله ــ الى أن القشعم يعودون الى بني لام الطائيين [2] ، وذلك في كتابه السابق ذكره. ولكنه مع الأسف لا يشير الى المصدر الذي أخذ منه هذا الكلام، وهذه مسألة كبيرة فلا يجوز له أو لغيره من الباحثين أن يرفع نسب قوم الى قبيلة معيّنة دون أن يحقق في هــذه المسألة ، أو دون أن يذكــر المصدر الذي أخذ منه عــلى الأقــل . وقد ناقشت الأستاذ الدكتور يوسف عز الدين في شخص العزاوي ، وكيف كان يكتب دون أن يشير الى المصادر التي أخذ منها ، فقال الأستاذ الدكتور يوسف : ان هــذا مما يؤخذ على العزاوي ، رحمة الله عليه .

والمهم هنا أن أمامي مساراً ينسب القشعم الى بني لام فمن هم بنو لام هؤلاء ؟ هناك عدة قبائل عرفت بهذا الاسم ...

فهناك بنو لام الغامدية من حضر غامد (قبيلة غامد) وهم أخوة لبني عمــر وبني كبــير ، والحمزان ، والظافر ، والرمادة ، والزكلة ، والفرزعة [3] . وهناك بنو لام من العوامر من بني شهر من الحجرة في

---

(١) ص : ١٠٥ من الكتاب المذكور طبع بغــداد ، شركة التجارة والطباعة ١٣٧٥ هـ ــ ١٩٥٦ م .

(٢) عشائر العراق ٣٢٠/ أهل الارياف ، بغداد ١٣٧٤ هـ ــ ١٩٥٥ م ص ٢٢٨ و ص ٢٣٤ وسنأتي على تفصيل ما ذكره إن شاء الله .

(٣) حمد الجاسر،معجم قبائل المملكة العربية السعودية القسم الثاني:٦٨٩.

السراة [1] • وهناك بنو لام من طيء : ولم يبق في نجد أحد من باديتهم التي نزحت الى العراق في القرن الحادي عشر الهجري ، أما في الحاضر فمنتشرون في نجد والاحساء [2] •

ولام هذا هو الذي عناه العزاوي حين نسب القشعم اليهم وهو لام بن عمرو بن طريف ، من طيء : جد جاهلي كانت منازل بنيه في بعض أطراف المدينة • ومنهم من دخل في أمرة آل ربيعة من عرب الشام [3] •

وجاء في أنساب العرب ص ١٦٣ للأستاذ سمير قطب : ومن بطون بني لام آل ظفير من المغيرة ، ومــن بطونهم الضمرة وآل عسكر الذين منهم عسكر الخرج ، والسوطة بطن من ظفير منهم •

السوطة الذين في عتيبة ، وآل ضويحي بطن ، والرياسة مشهورة في آل سويط وآل ضويحي • والسعدية بطن من ظفير ، وأما السعدي فهم من آل عاصم [4] •

وقال القلقشندي في (الصبح) عن بني لام : « بنو لام بطن في القحطانيين » ثم قال : هم بنو لام بن عمرو بني طريف • ثم رفع نسبهم

---

(١) المصدر السابق نفسه •

(٢) المصدر السابق نفسه •

(٣) انظر أخبارهم في الكتب التالية : نهاية الأرب : ٣٥٨ ، السبائك ٥٧ ، جمهرة الأنساب : ١٧٦ ، التاج ٩ : ٥٤ ، وانظر ما كتبه **Emileauble** في كتابه بغداد **Baqdad** ص : ١٠١ •

(٤) سمير عبد الرزاق القطب ، أنساب العرب ص ١٦٤ ، دار مكتبة البيان ، دار القاموس الحديث ــ بيروت ، ١٣٨٩ هـ ــ ١٩٦٩ م •

الى طيء ، وقد ذكر الحمداني أن بني لام داخلون في أمرة آل ربيعة في عرب الشام • وهم ثلاثة بطون : كثير ، ومغير ، وفضل •

آل مغير : كانوا في القرن التاسع والعاشر في عالية نجد يرأسهم عجل بن حنيتم ، وسكنوا وادي الشعرى ، وهناك قصر أثري في بلد الشعرى لابن حنيتم •

وأما آل كثير وآل فضل ، فيرأسهم ابن عرّوج ومساكنهم في أسافل نجد • ومن بقايا ذرية عجيل والشخيل ، آل الشخيل الذين نزحوا الى جهات الاحساء •

ومن أفخاذهم : آل سليم وجدهم الأكبر موسى الذي انتقل من الاحساء واستوطن مرات في بلدان الوشم ولا تزال ذريته فيها •

وقد كان لبني لام شوكة في القرن العاشر وأواخر القرن التاسع ، تقول احدى نساء هذه القبيلة من قصيدة شعبية :

مش من العار من بجيش يهيفي
يتلون ابن عروج مقدم بني لام

يا ما انقطع بساقته من عسيفي
ومن فاطر تقلط على الهجن قدام

ومن بطون بني لام :

الكثران ، منهم قوم في الرياض ، وبعضهم في خريف نعام والمزاحمية • ومنهم آل ثاقب في ضرما والمزاحمية والعجاجات في القصيم وضرماء والاحساء وحريملا •

ومنهم آل دعيج سكان مرات • يقال أن جدهم(مانع بن سليمان) قد وفد الى الديار المصرية سنة ثلاث وستمائة هجرية ، والنسبة اليهم دعيجي • ومنهم الشيخ حمد بن علي بن دعيج وكان قاضياً في الوشم • وقد تفرع من ذريته خمسة أفخاذ ، هم : آل عبد الرحمن ، آل عبد الله ، آل دعيج ، آل علي ، آل محمد •

ومنهم آل منصور ، وآل مسند في ثرمدا ، آل محطب في الزبير ، آل برخيل ، آل شهوا في سدير ، آل زامل في جلاجل [1] •

وبحدثنا ابن خلدون عن بني لام وعن شيء من تاريخهم في الجاهلية أثناء حديثه عن طي • قال : « وأما بنو طي بن أدد فكانوا باليمن وخرجوا منه على أثر الأزد الى الحجاز ونزلوا سميراً وفيد في جوار بني أسد ، ثم غلبوهم على أجا وسلمى وهما جبلان من بلادهم ، فاستقروا فيها وافترقوا لأول الاسلام في الفتوحات •

قال ابن سعد : ومنهم في بلادهم الآن أمم كثيرة ملأوا السهل والجبل حجازاً وشاماً وعراقاً ، يعني قبائل طيء ، وهؤلاء هم أصحاب الدولة في العرب لهذا العهد في العراق والشام ومصر ، منهم سنبس والثعالب بطنان مشهوران ومعهم بحتر •• ومنهم زبيد بن معن بن ثقل ، وهم في برية سنجار •• قال ابن سعيد : ومنهم بنو لام بن ثعلبة منازلهم في المدينة الى الجبلين، وينزلون في أكثر أوقاتهم في مدينة يثرب•

(ينقل ابن خلدون عن ابن حزم قوله) ، قال ابن حزم :

لام بن طريف بن عمرو بن ثمامة بن مالك بن جدعا ، وبجهة

---

(1) انظر المصدر السابق •

بنيامين والشام بنو صخر ، ومن بطونهم غزية ... وهم في طريق الحاج بين العراق ونجد ... » [1] .

ومن هذا النص أريد أن أستنتج شيئاً واضحاً لا يحتاج الى دليل ، وهو أن منازل بني لام كانت قريبة من المدينة وجبلي أجا وسلمى ، وأنهم كانوا على الطريق ما بين الحيرة والمدينة وأنهم صالوا وجالوا مدة طويلة من الزمن .

ولا شك أنه قد كانت لبني لام مكانة كبيرة في الجاهلية ، وهذه المكانة متعددة الاشكال والجوانب ، فمنها المكانة الدينية ، والمكانة الحربية ، والمكانة الاجتماعية .

ففي الجاهلية كانت قبور السادات والأشراف ، وخاصة قبول كبار سادات القبائل تزار ، ويذبح عندها [2] ، ويحلف بها [3] ، ويلجأ اليها طلباً للأمان والسلامة ، فلا يستطيع أحد التحرش بمن التجأ الى القبر ولاذ به .

وقد كان لحارثة اللامي أبي أوس بن حارثة ، الرجل المشهور قبر يحلف به ، ويذبح عنده ، ويلجأ اليه طالب الأمان (وهذا كله من شرك الجاهلية) وقد ظل هذا زمناً طويلاً ، قال بشر بن أبي حازم الأسدي في معرض هجاء أوس بن حارثة اللامي :

---

(١) تاريخ ابن خلدون : مج ٢/٥٢٩ ـ ٥٣٠ .

(٢) وهذا والعياذ بالله من الشرك الذي أبطله الاسلام ، وهو من أخطر وأكبر الذنوب .

(٣) وهذا شرك أيضاً لقوله ﷺ : (من حلف بغير الله فقد أشرك) .

جعلتـــم قبر حارثـــة بن لأم إلهـــاً تحلفـــون به فجورا (١)

وكان النعمان بن المنذر قد جعـــل لبني لام من طي ربـــع الطريق طعمـــــة لهم ، والطعمـــــة هي المأكلة وهي في مصطلحـــات القبائل زكاة تأخذها القبيلة القوية من القبائل الأخرى • (فقبلية قشعم مثلاً التي هي أصل بحثنا كانت تأخذ الزكاة من قبائل غزية كلها في العراق)) •

المهم أن النعمان جعل لهم حق الطريق يجبون من المارة جبايتهم فيأخذونها لهم ، ولا يعطونها للملك ، لأنه كان قد تنازل عن حقه فيها اليهم وكان من عادة الملوك ، التنازل عن حق جباية الاتاوة عن بعض الارض أو الطرق لسادات القبائل ، تأليفاً لقلوبهم وإسكاتاً لألسنتهم ، ولأنهم يعلمون أن نفوذهم على تلك الارض أو تلك القبائل لم يكن ثابتاً قوياً،بل كان بالاسم فقط،وأنهم لايتمكنون من أخذ جبايتها،لذلك كانوا يتظاهرون أمام الناس بالتنازل عن حقهم في تلك الضرائب •

وقد اشتهر أمر بني لام في الجاهلية ، وظهر فيهم كثير من الفرسان ومن أشهرهم كنديّ بن حارثة بن لام بن عمرو بن طريف بن عمرو بن ثمامة بن مالك بن جَدْعا بن ذُهْل بن رومان بن جنـــدب بن خارجة ابن سعد بن فطرة بن طيء » (٢)

ويوم الرّدة كان لبني لام موقف خاص وعجيب •

فإنه حـــين ارتد طليحة الأسدي ، وادّعى النبوة ، وجـــه النبي صلى الله عليه وسلم ضرار بن الأزور الى عماله على بني أسد •

---

(١) انظر : ديوان ابن بشر ص : ٩١ •

(٢) أدب الخواص : ص ١٤١ •

ثم جاء الخبر بموت النبي صلى الله عليه وسلم ، فاستطار أمر طليحة ، وأقبل ذو الخمار بن عوف الجذمي الأسدي ، وأرسل اليه ثمامة بن أوس بن لأم الطائي : إن معي من جديلة خمسمائة ، فإن دهمكم أمر فنحن بالقَرْدُودَةِ والأنسر دُوَيْنَ الرّمل .

وأرسل اليه مهلهل بن زيد : إن معي حد الغوث ، فإن دهمكم أمر فنحن بالاكتاف بحيال فيد . وانما تحدبت طيء على ذي الخمار بن عوف ، أنه كان بين أسد وغطفان وطيء حلف في الجاهلية ، فلما كان قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم اجتمعت غطفان وأسد على طيء ، فأزاحوها عن دارها في الجاهلية . غَوْثها وجديلتها ، فكره ذلك عوف ، فقطع ما بينه وبين غطفان ، وتتابع الحيان على الجلاء ، وأرسل عوف الى الحيين من طيء ، فأعاد حلفهم وقام بنصرتهم ، فرجعوا الى دورهم ، واشتد ذلك على غطفان ، فقال : ما أعرف حدود غطفان منذ انقطع ما بيننا وبين بني أسد ، وإني لمجدد الحلف الذي كان بيننا في القديم ومتابع طليحة ..

والله لأن نتّبع نبيا من الحليفين أحب الينا من أن نتبع نبياً من قريش ! ..

وقد مات محمد ، وبقي طليحة ، فطابقوه على رأيه ، ففعل وفعلوا . فلما جاء اجتمعت غطفان على المطابقة لطليحة فهرب ضرار وقضاعيّ وسنان ، ومن كان قام بشيء من أمر النبي في بني أسد .

وقدمت وفود بني أسد وغطفان وهوازن وطيء الى أبي بكر ، فعرضوا الصلاة على أن يعفوا من الزكاة ، فأبى ، وأبوا ، فردّهم ، وأجلهم يوماً وليلة ، فتطايروا الى عشائرهم ... [1] .

(١) تاريخ الطبري : ج ٣/٢٥٧ ــ ٢٥٨ .

وكان من أمر ردة طيء ثم عودتها الى الاسلام ، أن طليحة الأسدي أرسل الى جديلة والغوث أن ينضموا اليه فتعجل إليه أناس من الحيين كما ذكرنا ، فخرج اليهم خالد بن الوليد ، الى أجاء ، وقدم عليهم عديُّ بن حاتم ، فعاد إسلامهم الى خالد ، وارتحل نحو الأنسر يريد جديلة ، فقال له عدي : إن طيئاً كالطائر ، وإن جديلة أحد جناحي طيء ، فأجلني أياماً لعل الله أن ينتقذ جديلة كما انتقذ الغوث ، ففعل ، فأتاهم عديّ ، فلم يزل بهم حتى بايعوه فجاء بإسلامهم ولحق بالمسلمين منهم ألف راكب ... [1] .

والجود في طيء يضرب به المثل ، فيقال : (جود طيء) وذلك لكون حاتم وأوس بن حارثة بن لأم منهم ، وهما آيتان في الجود والكرم ، قال أبو تمام الطائي :

لكلٌّ من بني حواء عذْرٌ
ولا عذْرٌ لطائيٍّ لئيم

ويروى أن أوساً وحاتماً وفدا على عمرو بن هند ، فدعا أوساً ، وقال له : أنت أفضل أم حاتم ؟ فقال : أبيت اللعن . لو ملكني حاتم وولدي ولحمتي لوهبنا في غداة واحدة .

ثم دعا حاتماً ، فقال له : أنت أفضل أم أوس ؟

فقال : أبيت اللعن ! إنما ذُكِرْتُ بأوس ، ولأحد ولده أفضل مني ، فقال عمرو :

« والله ما أدري أيكما أفضل . وما منكما إلا سيد كريم » .

---

(1) تاريخ الطبري : ج ٣/٢٥٤ .

ومن محاسن أوس أن النعمان بن المنذر دعا بحلة نفيسة ، وعنده وفود العرب من كل حيّ ، وفيهم أوس ، فقال لهم ، احضروا غداً ، فإني ملبس هذه الحلة أكرمكم فحضر القوم إلا أوساً ، فقيل له : لم تتخلف ؟ فقال : إن كان المراد غيري فأجمل الأشياء بي ألا أكون حاضراً، وإن كنت المراد فسأطلب ، فلما جلس النعمان ولم ير أوساً ، قال : اذهبوا الى أوس ، فقولوا له : احضر آمناً مما خفت ، فحضر فألبس الحلة ، فحسده قوم من أهله ، فقالوا للحطيئة : أهجه ، ولك ثلاثمئة ناقة ، فقال : كيف أهجو من لا أرى في بيتي أثاثاً ولا مالاً إلا من عنده . ثم قال :

كيف الهجاء وما تنفك صالحة

من آل لأم بظهر الغيب تأتيني ! (١)

فقال لهم بشر بن أبي خازم : أنا أهجوه لكم ، وفعل فأخذ الابل ، فأغار أوس عليها واكتسحها وطلبه ، فجعل لا يستجير حياً من أحياء العرب إلا قالوا له : « قد أجرناك من الجن والإنس إلا من أوس » .

فكان في هجائه إياه ذكر أمه ، فلم يلبث إلا يسيراً حتى أتى به أسيراً ، فدخل أوس الى أمه واستشارها في أمره ، فقالت : أرى أن ترد عليه ماله ، وتعفو عنه وتحبوه ، وأفعل أنا مثل ذلك ، فإنه لا يغسل هجاءه إلا مدحه ، فأخبره بما قالت ، فقال : لا جرم . والله لا مدحت أحداً حتى أموت غيرك ، ففيه يقول :

الى أوس بن حارثة بن لأم

ليقضي حاجتي فيمن قضاها

(١) انظر ديوان الحطيئة : ص ٨٣ .

وما وطيء الثرى مثـــلُ ابنِ سُعْدَى

ولا لبس النّعـــــال ولا احتـــذاها (١)

وقد امتلأت كتب الأدب والتاريخ بأخبار أوس بن حارثة بن لأم هذا ، وحفلت بذكره كتب المعمرين ، وذكروا له مواقف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مما يدل أنه كان علماً كبيراً وفذاً بين أقرانه من سادات العرب في الجاهلية وصدر الاسلام .

ففي تاريخ المظفري أتى أوس بن حارثة بن لام الطائي الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : ابسط يدك . قال : على ماذا ؟ قال : على أن أشهد أن لا إله إلا الله غير شاك ، وأنك رسول الله غير مرتاب ، وعلى أن أضرب بهذا ــ وأشار الى سيفه ــ من أمرتني ، فقال : أحسنت بارك الله عليك .

وابنه خريم بن أوس صاحبُ النبيّ صلى الله عليه وسلم .

ولعل أوساً عمّر الى أن أدرك الاسلام . قال ابن حجر : ثم رأيت في جمهرة ابن الكلبي أن أوس بن حارثة عاش مئتي سنة . وذكر أبو مخنف لوط بن يحيى في كتاب المعمرين (للسجستاني ص ٤٦) أن أوس ابن حارثة المذكور عاش مئتي سنة حتى هرم ، وذهب سمعه وعقله ، وكان سيد قومه ، فرحل بنوه وتركوه في عرضهم حتى هلك فيها ضيعة ، فهم يسبّون بذلك الى اليوم ، وفي ذلك يقول الاسحم بن الحارث بن طريف بن عمرو بن ثمامة بن مالك بن جدعاء الطائي :

أتاني من المحلّـــة أن أوساً   على لحمـــان مات من الهزال

(١) الثعالبي النيسابوري ، ثمار القلوب ص : ١١٨ القاهرة ، دار نهضة مصر ١٣٨٤ هـ ــ ١٩٦٥ م .

تحمّـــل أهله واستودعوه كساءً من نسيج الصوف البالي

وهذا يدل على أنه مات في الجاهلية [1] .

وكان لأوس هذا أخ كبـير المقام والشأن اسمه سعد بن حارثة ابن لأم، وكان الملك النعمان قد أصهر الأخوين معاً (سعد وأوس)،فقد تزوج فرعة ابنة سعد بن حارثة بن لأم ، كما تزوج زينب ابنة أوس بن حارثة بن لأم .

واعتقادي أن هذا الزواج ، أو هذه الصلة بين النعمان وبين بني لأم هي التي جعلت بعض الباحثين يعتقدون أن القشعم من بني لأم . والقشاعمة في بوادي العراق قرب الحلة والناصرية ، وكربلاء والكوفة ، معروفون بأنهم أولاد قطر السما ، وحكايات شعبية أخرى تذهب الى أنهم أولاد النعمان بن المنذر ويبدو أنهذه المفاهيم الشعبية قد انتشرت، واختلطت على أذهان بعض الباحثين ، ووجه هذا الخلط سببه المفهوم الشعبي أنهم أولاد قطر السما أو ماء السما من بني لأم هكذا اجتزاء دون دليل وربما ألقى لنا الضوء عـلى هــذا المفهوم الشعبي ما جاء في تاريخ الطبري أثناء الحديث عن طلب كسرى للنعمان . وخوف النعمان من القتل جعله يستعد ويتوقع لقاء كسرى ، حتى أتاه كتابه : أن أقبل فإن للملك اليك حاجة ، فانطلق حتى أتاه كتابه فحمل سلاحه ، وما قوي عليه ، ثم لحق بجبلي طيء .

وكانت فرعة ابنة سعد بن حارثة بن لأم عنــده ، وقد ولدت له رجلاً وامرأة (وهي المسماة بماء السماء) واليها ينسب ولدها المنذر ابن ماء السماء ، وقد سميت بماء السماء تشبيهاً بها في الحسن والصفاء

---

(1) ابن حجر ، الاصابة ج ١ : ١٤٧ .

والطهارة وفي رواية أن أمـه من النمر بن قاسط ، وأبوهـا عوف بن جشم) [1] • وكانت أيضاً عنـده زينب ابنة أوس بن حارثـة ، فأراد النعمان طيئاً على أن يدخلوه بين الجبلين ويمنعوه • فأبوا ذلك عليه ، وقالوا : لولا صهرك لقاتلناك ، فإنه لا حاجـة لنا في معاداة كسرى ، ولا طاقة لنا به [2] •

ولنا عـلى المفاهيم الشعبية السائدة في بوادي العراق تعاليق ، وكذلك على النص الذي أورده الطبري •

فمن تعليقنا على المفاهيم الشعبية أنها لا تملك صلة الوصل الى ماء السماء أم المنذر بعد هذه العقود الطويلة من السنـين • ومنها أنه لو كانت هناك قرائن وأدلة على صلتهم بماء السماء المعنية هنا لكانوا أولاد المنذر بن ماء السماء ، وهو المنـذر بن امرىء القيس ابن النعمان بن امرىء القيس بن عدي • ومنها أنهم يكونون في عداد المناذرة بل من سلالتهم وليسوا من سلالة بني لأم •

وأما تعليقنا على نص الطبري فهو يخص بني لام ، فموقفهم من النعمان ليس مشرفاً ، كما أنه مخجل وشتان بين موقفهم وموقف بني شيبان ••• وعلى كل حال فليس المجال هنا مجالاً لتحديد جذور آل القشعم وحصرهم في بني لام أو بني المنذر والمجال تتبع تاريخي لبني لام ، بل لبعض أخبارهم التاريخية باعتبار أنهم القوم الذين نسب اليهم بعض الباحثين قبيلة قشعم •

---

(1) انظر ثمار القلوب : ص ٥٦٢ •

(2) انظـر تاريخ الطبري ج ٢/٢٠٥ ، والاغـاني ج ٢/١٢٣ طبعة الهيئة المصرية العامة ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠ م •

من أخبار بني لام في القرون الوسطى :

تظهر أخبار بني لام منذ القرنين الخامس والسادس ضمن حلفاء آل فضل ويتبين لدى الباحث أن الفضول من بني لام حلفاء لآل فضل ، تابعون لامارتهم ، وليسوا من ذريتهم ولكنهم يجتمعون في طيء [١] .

وقد كانوا معهم ضمن إمارتهم المنتشرة من مدينة حمص غرب سورية ، الى أقصى الشرق الشمالي ، وهو (قلعة جعبر ، على الفرات ٤٥ كيلا غرب مدينة الرقة ثم تمتد جنوباً الى رحبة مالك بن طوق في الميادين) ٤٥ كيلاً شرق مدينة دير الزور ، ويستمر الامتداد جنوباً وفق تعرجات نهر الفرات .

ويتحدث ابن فضل الله العمري القرشي (٧٠٠/٧٤٩ هـ) في كتابه مسالك الابصار عن بني لام ويعدهم مع من بعد في إمرة آل مرا ، وهم :

حارثة ، والحاضر ، ولام ، وسعيدة ، ومدلج ، وغزير ، وبنو صخر ، وزُبَيْد حوران ، وهم : زبيد صرخد ، وبنو غني ، وبنو عز . ويأتيهم من البريّة :

آل ظفير ، والمفارجة ، وآل سلطان ، وآل غُزّي ، وآل برجس ، والخرسان وآل المغيرة ، وآل أبي الفضيل ، والرزاق ، وبنو حسين الشرفا ، ومطير ، وخثعم ، وعدوان ، وعنزة [٢] .

وفي المصدر ذاته يتحدث عن شمّر ولام ، فيقول عنهم :

---

(١) أنظر : أخلاف آل فضل ومساكنهم ، مجلة العرب (حمد الجاسر) ج ١٢/١١ ، س ١٨ ، ١٤٠٤ هـ ، ص ١٠٣٦ . بقلم أبي عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري .

(٢) المصدر السابق ص : ٧٧١ .

من عرب الحجاز ، وديارهم جبلا طي • ويقول : وظفير من بني لام، ومنزلهم الطعن ، قبالة المدينة المنورة [1] •

وفي القرن الثامن اشتدت شوكة بني لام في نجد، ودخلت تحت سيطرتها كثير من القبائل العربية • والقسم الذي كان يعيش في نجد من قبيلة بني خالد دخل تحت سيطرة قبيلة بني لام من الفضول عند اشتداد شوكة هؤلاء وقوتهم واتساع نفوذهم في القرن الثامن الهجري ، وما قبله بيسير ، ذلك أننا نجد ابن فضل الله العمري في كتابه « مسالك الأبصار» وهو يتحدث عن القبائل التي تنضاف الى آل فضل يعد منهم من بني خالد آل جناح والضبيات من مياس والجبور والدعم والقرشة وآل مُنَيْخِر وآل بشوت والمعامرة والعَلَجَات •

غير أن بني خالد هؤلاء مالبثوا أن سيطروا على وسط نجد وشرق الجزيرة ، فنجد الشاعر العامي جَعَيْثِن اليزيدي من أهل الجزعة قرب المصانع وهو يرثي مقرن بن أجود بن زامل ، وهذا من الجبور من بني خالد ، فيقول :

و (نجـد) رعـا ربعي زاهي فلاتهـا
على الرغم من سادات (لام) و (خالد)

وسادات (حجر) من (يزيد) و (مزيد)
قـد اقتادهم قـود الغـلا بالقلايـد

(و) يظهر أن امتداد نفوذ بني خالد في عنيزة كان بعد القـرن

---

(١) المصدر السابق ص : ٧٨٠ •

التاسع الهجري بزمن يسير ، ذلك آننا نجد أن النفوذ في هذه البلدة في أول القرن التاسع لقبيلة (لام) ، كما يفهم من خبر أورده مؤرخ مكة العلامة تقي الدين الحسني الفاسي ، قال : (في سنة ٨٢٢ هـ توجه العلامة •• ابن الجزري من شيراز مريدا للحج فعرض له بنو لام بقرب عنيزة فتهبوا مامعه من التحف التي استصحبها هديـة لأعيان أهـل الحرمين ، فتأخر بعنيزة لتحصيل كتبه وترقيع حالـه ، فلما ظفر بكتبه توجه قاصدا للمدينة النبوية ، فنهبه بعض بني حسن أيضاً ، وتوصل الي المدينة المنورة في شهر صفر ٨٢٣ هـ) [١] •

وحين جاء القرن العاشر كان بنو لام في نجد قد هاجروا الى العراق• ولم تكن شوكتهم قد ضعفت أو لانت الى وقت متأخر ، وفي العصـر الحديث كانت قبائل بني لام ملاذا لكثير من الثائرين •

« فعندما ثار محمد الكهية ــ في العراق ــ لاذ بقبيلة بني لام وصار هذا الذي ثار على الوالي بنظر بعض الشعراء من أعداء الله ، بل انه لاينسب الى حام ولاسام بل ان الذي سمّاه محمدا قد أخطأ وأثم لأنه وضع اسم النبي في شخص ثائر عم نحسه (بابل) ومضى هـذا الشؤم قبائل بني لام ، فقد قال التميمي :

لايدعـى العليـــاء مـن لـــم يكـن
ينســـب في ســــام ولاحــــام
ان الــــذي ســـماه في زعمـــه
محمــــــدا راح بـــآثــــام

(١) ص : ٥٨٠ بتصرف يسير • مجلة العرب حمد الجاسر ج ٦ م ٥

فنحســــــه عـــــمّ علـى بــابــــل

وشـــــؤمــه خصــ بنـــي لام [1]

ويلاحظ من هذه الأخبار الخاصة ببني لام ، أنه لاذكر للقشعم بينهم ، بل أنهم مازالوا معروفين بهذا الاسم في العصر الحديث حيث يتواجدون في العراق ، وعربستان •

ولا نجد صلة للقشعم تربطهم بها اطلاقاً ، اللهم الا أنهم جميعا من طي •••••

وبعد أن استعرضنا ملخصاً لتاريخ بني لام منذ الجاهلية ، لابد أن ننتقل الى بني ماء السماء لنقوم بتلخيص تاريخ هذه القبيلة أيضاً •

وحين ننتقل الى الحديث عن بني ماء السماء ، فاننا نفعل هذا راجين أن نطابق بين ما سمعته من العرب والبدو ، وكتب التاريخ فأحاديث الدواوين كلّها تجمع على أن القشاعمة هم أولاد قطر السما ، وكثير منهم كانوا يقولون لي القشاعمة أولاد ماء السماء ، ولن نستبق الاحداث أو نسرع بكشف الجذور ، ولنترك هذا الى التاريخ والقرائن والأدلة ، ولكن لابد من استعراض للقبائل والأسر التي عرفت باسم ماء السماء ، لنرى هل للقشعم صلة نسب بهم ، أم أنها تسمية متشابهة •

بنو ماء السماء :

منذ البداية أشير الى أن أكثر من رجل عرف بهذا اللقب شأنهم في هذا شأني اللقب المعروف (امــرؤ القيس) ، ونستعرض فيما يلي ماوقفنا عليه ممن عرف بهذا اللقب ، ويمكن أن يكون له صلة ببحثنا من قريب أو بعيد •

---

(1) الدكتور يوسف عز الدين ، الشعر العراقي أهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر ، مكتبة الدراسات الأدبية ، القاهرة : ص ٧٣ •

ماء السماء :

عامر بن حارثة بن الغطريف الأزدي من يعرب : أمـير غساني ، يلقب بماء السماء ، لجوده • هاجـر من اليمن ، وسكن بادية الشام • وبنوه يعرفون ببني ماء السماء من الأزد [١] •

وقد ولد لعامر بن حارثة كثـير من الأولاد منهم عمرو المعروف بـ (مزيقياء) وولد لعمرو هـذا ولد اسمه حارثة ، وولد لحارثة ولد اسمه ربيعة • فهو ربيعـة بن حارثة بن عمرو (مزيقياء) بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن ثعلبة بن امرىء القيس بن مازن [٢] •

ولحارثة بن عمرو (مزيقياء) ولد اسمه أفصى ولأفصى ولد اسمه أسلم • وهو أسلم خزاعـة • ومن أبناء أسلم هـذا مالك ونعمان كانا طليقـين لرسول الله صـلى الله عليه وسلم يوم أحـد ، قتلا فدفنا في قبر واحد •

ومنهم جرهد بن رزاح ، الذي قال له الرسول صلى الله عليه وسلم: « يا جرهد إن الفخذ من العورة » [٣] ومنهم الأكوع ، وبنوه : أُهْبان وسلمة صحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعامر الشاعر استشهد يوم خيبر [٤] •

---

(١) انظر تاريخ سني ملـوك الأرض : ٧٧ ، وجمهرة الأنساب : ٣١١ ، والأعلام ج ٤ : ١٦ •

(٢) الايناس ص : ١٠٩ ـ ١١٠ •

(٣) الايناس بعلم الأنساب ص :٦٦ ـ ٦٧ •

(٤) المصدر السابق نفسه •

ومن سلالة مـاء السماء الأوس والخزرج وهما أخوان من أبناء حارثة بن ثعلبـة العنقاء بن عمرو (مزيقياء) بن عامر مـاء السماء بن حارثـة الغطريف ابن امرىء القيس البطريق بن ثعلبـة بن مازن بن الأزد [1]، الذي ينتهي نسبه الى يعرب بن قحطان .

وقد كانت لبني ماء السماء في الجاهلية مكانة عظيمة عند العرب وغـيرهم، إلا أن العرب كانوا يعتقـدون فيهم اعتقاداً غريباً يذكرنا بنظرية الدم الأزرق، فقد ذكر ابن دريد في كتابه الاشتقاق أثناء حديثه عن داء الكلب أن « الكلب داء يصيب الناس والإبل شبيه بالجنون، وكانت العرب في الجاهلية إذا أصاب الرجل الكلب، قطروا له دم رجل من بني مـاء السماء، وهو عامر بن ثعلبـة الأزدي، فيسقى، فكان يشفى منه، قال الشاعر :

(دماؤهم من الكلب شفـاء) [2]

وكان الصحابي الشاعر حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه يفتخر بمكانة بني ماء المزن (ماء السماء) . ويرى شرفهم يعلو على كل مرتقى، وأن فروعهم انتشرت في كل مكان ولعله قصد الشام والعراق واليمن والحجاز فعمم وهم يسامون كل نجم محلقون مثله ويزيدون، وكان يفتخر بالغساسنة والمناذرة بآن واحد لأنهم جميعاً أولاد عمرو بن عامر مزيقياء، وفيهم يقول :

ألـم ترنا أولاد عمـرو بن عـامر

لنا شرف يعلـو عـلى كـل مرتقى

---

(١) ابن الأثير ١/٦٥٥، اللسان ٤/١٨، العقد الفريد ٣/١٦ ـ ١٥٩ .

(٢) الاشتقاق لابن دريد ص : ١٤ وانظر في بني ماء السماء : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٨ : ٤٠٨ .

رسا في قرار الأرض ، ثـم سمت لـه

فـروع تسامي كـل نجـم محلّق

الى أن يقول :

كجفنـة والقمقـام عمـرو بن عامر

وأولاد مـاء المـزن وابني عرّق

وحارثـة الغطريف أو كابن منـذر

ومثـل أبي قـابوس رب الخورنق (١)

وكان حسان بن ثابت غالبـاً ما يفتخر باليمـن أصـل الغساسنة والمناذرة ، يقول :

لمن الـدار أقفـرت بمعـان

بين أعـلى اليرمـوك والصمـان

أشهـرنا فإن ملـكك بالشـا

م الى الروم فخـر كـل يمـاني (٢)

وهكذا يظهر لنا أن ماء السماء هو عمرو بن عامر بن حارثة بن الغطريف الأزدي • المعروف بمزيقيـاء ، ليس له عقب أو ذرية تعرف بالقشعم •

(١) المفصل ج ١ : ٤٩١ •

(٢) مروج الذهب : ج ٢/ ٣١ •

ماء السماء :

المنذر بن ماء السماء ينسب الى أمه ، وكانت تسمى ماء السماء تشبيهاً بها في الحسن والصفاء والطهارة ، وهو المنذر بن امرىء القيس ابن النعمان بن امرىء القيس بن عدي ، وأمّه من النّمر بن قاسط ، وأبوها عوف بن جشم [1] .

والمنذر بن امرىء القيس هذا ـ والمعروف باسم المنذر بن ماء السماء ، ويسميه المؤرخون الاغريق بابن الشقيقة ، فيقال له عندهم المندرس أو زاكيكس .

وليس هو ابن الشقيقة ، وإنما جده الأكبر النعمان الأول الأعور هو ابن الشقيقة كما سيمر ، ولكن اصطلح على تسمية أبناء هذه الأسرة من ملوك العراق بعد النعمان الأول بلقب « بني الشقيقة » كما قيل لهم بعد المنذر بن ماء السماء هذا : « بنو ماء السماء » [2] .

روى حمزة الأصفهاني في (تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء) هذا الخبر :

« وقد وقع الخلط من أن للنعمان هذا ابناً اسمه المنذر بن النعمان، وأمه هند بنت زيد مناة حكم الحيرة ٤٤ سنة من سنة ٤٣١ م حتى حكمها أخ للمنذر نفسه أي ابن للنعمان الأعور اسمه امرؤ القيس وهو

---

(١) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، لأبي منصور ، عبد الملك بن محمد الثعالبي النيسابوري ، القاهرة ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٥ م .

(٢) انظر ص : ٥٩ ، من ديوان المثقب العبدي تحقيق حسن كامل الصيرفي ، القاهرة ١٩٧١ .

ثالث من تسمى بهذا الاسم في هــذه الأسرة ، وقد حكم الحيرة سبعة أعوام ثم خلفــه ابنه المعروف بالمنــذر بن ماء السماء نسبة الى أمه ، واسمها مارية ، وقيل مارية بنت عوف بن جشم بن هلال بن ربيعة بن زيد مناة بن عامر الضحيان بن الخزرج بن تيم الله بن النمر بن قاسط . ويقال : بل هي أخت كليب ومهلهل » [1] .

وذكر المفضّل الضّبي في كتاب « أمثال العرب » [2] أن المنذر ابن ماء السماء لما هلك « ترك عمراً وقابوساً وحساناً وأمهم هند بنت الحارث بن آكل المرار الكنــدي ، والأسود بن المنذر وأمه امرأة من تيم الرباب ، وعمراً الأصغر وأمه أمامة ، وبنين غيرهم لعلات » .

وقد ظل اللقبان « بنو الشقيقة » و « بنو ماء السماء » يطلقان على اللخميين ملوك العراق بعد النعمان الأكبر ابن الشقيقة ، وبعد المنذر ابن ماء السماء » [3] . وقد قال المثقب العبدي في المنذر بن ماء السماء من قصيدة في ديوانه [4] :

باحيريٌّ الــدَّمِ مُــرٌّ طعمـــه

يُبْرِىءُ الكلبَ [5] إذا عَضَّ وَهَرّ

---

(١) انظر المصدر السابق ص : ١٧١ .

(٢) أمثال العرب ، للمفضّل الضبي : ص/٦٨ عن المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق : ص/٦٠ .

(٤) المصدر السابق ص/٥٧

(٥) الكلب : مرض معد ينتقل فيروسه في اللعاب بالعض من الفصيلة الكلبية الى الانسان وغيره .

قال ابن دريد في كتابه الاشتقاق ص ٢٠ : وكانت العرب في الجاهلية إذا أصاب الرجل الكلب قطروا له دم رجل من بني ماء السماء. وهو عامر بن ثعلبة الأزدي .. فيسقى فكان يشفى منه . قال الشاعر أبو البرج القاسم بن حنبل المرّي :

بناة مكارم وأساة كلم   دماؤهم من الكلب الشفاء

وقد ذكر ذلك الجاحظ أيضاً في الحيوان ، وجاء في اللسان ضمن مادة كلب [١] .

رهط ماء السماء :

أي قبيلة ماء السماء أم المنذر و « هم جماعة قيس بن بشر من بني هلال بن النمر بن قاسط » [٢] .

والحقيقة أني لم أجد رابطاً بين القشعم ، وبين من تلقب بماء السماء من العرب السابق ذكرهم ، وهو في رأينا لقب يدل على كثرتهم وتسابقهم الى القتال مزناً مزناً .

قشم وقشمم وقشعم :

ورد هذا الاسم (قشم وقشمم) في الكتابات القتبانية ، ولعلها تحريف (قشعم) . وتحدثنا تلك الكتابات عن ملكين أخوين من ملوك

---

(١) انظر ديوان المثقب العبدي ص : ٧٠ ـ ٧١ . وانظر الحيوان للجاحظ ج ٢/٥ ـ ٧ .

(٢) وقد قال القلقشندي عن المناذرة آل نصر ويظن من نسله بنو نصر النازلون في البشر الشرقي من أسيوط بالديار المصرية ، نهاية الأرب : ٣٤٦

سبأ وذو زيدان حاربا حمير وتمكنا من سحق عصيانها ، ثم أنزلا خسائر فادحة بقوات (كرب ايل) وبكتائب حمير المحاربة التي كانت معه .

وقاما بمهاجمة « قبيلة قشمم قشم » هكذا ورد . ولعل الأولى قشعم [١] وقشم قبيلة ، أو عشيرة كانت منازلها جنوب ردمان وغرب (مضحيم) وعاد الملك (شرح يحضب) من ملوك سبأ وذو زيدان ، فقاد جيشه لغزو القسم الشرقي من أرض (قشمم) (قشم) فتمكن منه ، وافتتح مدينة (ايضم) ، وكل الأماكن الواقعة في هذه المنطقة من (قشمم) ، ثم عاد الجيش الى معسكراته في مدينة (لفض) [٢] .

كما ورد ذكر هذه القبيلة في نص آخر مؤرخ ، أرّخه (فرعن يزل بن ذرغ) و (يعجف) رئيس قبيلتي (قشمم) (قشم) و (مضحيم) ، (مضحي) ، وذلك عند بنائهما صهريجين يخزنان فيهما المياه لإسقاء أرضين لهما مغروسة بالكروم ، وذلك حوالي سنة ٢٧٦ بعد الميلاد [٣] .

وعلى كل حال فإنني لا أملك دليلاً على أن قشمم هي قشعم . فمسألة الأنساب والتأكيد لها ، مسألة دقيقة جداً ، بل إن الإخباريين في الأنساب اختلفوا اختلافاً بيّناً ، ولم يتفقوا إلا في القليل من أسماء الملوك والأمراء ، وإن كان الأمر مختلفاً بالنسبة إلى قريش [٤] .

---

(١) انظر ص ٥٠ من ديوان المتلمس الضبعي ، تحقيق حسن كامل الصيرفي ، القاهرة، طبع معهد مخطوطات جامعة الدول العربية ١٣٩٠هـ-١٩٧٠ م .

(٢) انظر المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام : ج ٢/٤٣١ .

(٣) المصدر السابق نفسه : ٥٣٦ .

(٤) انظر د. محمد بيومي مهران ، دراسات في تاريخ الادب القديم ص:٥٧ .

وقد حددنا المعنى اللغوي لكلمة (قشعم) وأصولها ، ورأينا كيف انفقت فيها آراء المفسرين وكيف جاءت في الحـديث النبوي • ورأينا زيادة بعضهم على بعض ، وقولهم بأن (قشعم) هو لقب ربيعة بن نزار ، وقول محمد رضا : القشاعمة بنو ربيعة بن نزار ، ولكن هل هؤلاء هم أصحاب بحثنا ؟ لنقف عند الحديث النبوي لأنه واضح •

قشعم في الحديث النبوي :

جـاء في الحديث النبوي قول الرسول عليه الصـلاة والسلام ، يخاطب رجلاً يقال له بشير بن الخصاصية ، قال : (الحمد لله الذي جاء بك من ربيعـة القشعم حتى أسلمت على يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم) •

وأصل الحديث جاء في المنتخب (١) : (أخرج أبو نعيم عن بشير ابن الخصاصية قال : (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحمد لله الذ يجاء بك من ربيعة القشعم حتى أسلمت على يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت يا رسول الله ادع الله أن يميتني قبلك • قال : لست أدعو بهذا لأحد) •

وبشير بن الخصاصية هذا صحابي جليـل معروف مشهور ، وكان قد سكن البصرة • وله أحاديث كثيرة يرويها عن الرسول صلى الله عليه وسلم منها ، قال : قلت يا رسول الله : إن لنا جيرناً لا يدعون لنا شاذة ولا فاذة إلا أخذوها ، فإذا قدرنا لهم على أي شيء أخذناه ؟ فقال : أدِّ الأمانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك (٢) •

---

(١) حياة الصحابة ، للكاندهلوي ج ٣/٣٣١ •

(٢) رواه أحمد •

وجاء في الأدب المفرد (باب زحم) حدثنا سليمان بن حرب قال : حدثنا الأسود بن شيبان ، قال : حدثنا خالد بن سمير قال حدثنا بشير بن نهيك قال : أتي النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما اسمك ؟ قال : زحم ، قال : بل أنت بشير .

فبينما أنا أماشي النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا ابن الخصاصية ، ما أصبحت تنقم على الله ؟ أصبحت تماشي رسول الله صلى الله عليه وسلم . قلت : بأبي أنت وأمي ، ما أنقم على الله شيئاً ، كل خير قد أصبت ، فأتى على قبور المشركين ، فقال : « لقد سبق هؤلاء خيراً كثيراً [1] ، فإذا رجل عليه سبتيتان يمشي بين القبور ، فقال : يا صاحب السبتيتين . ألق سبتيتيك ، فخلع نعليه .

وحدث عبيد الله بن أياد عن أبيه ، قال : سمعت ليلى امرأة بشير تحدث عن بشير بن الخصاصية ، وكان اسمه زحم فسماه النبي صلى الله عليه وسلم بشيراً [2] .

كما ورد ذكره في سنن أبي داوود (كتاب الجنائز) ، وباب المشي في الحذاء بين القبور . والنسائي في (كتاب الجنائز) و (باب كراهية المشي بين القبور في النعال السبتية) . وأحمد وابن ماجه .

ولكن من أي القبائل بشير بن الخصاصية ؟

جاء في الإصابة ، بشير بن الخُصاصية : بمعجمة مفتوحة وصادين مهملتين بعد الثانية مثناة تحتية مخففة ، وخطّأ صاحب القاموس من

---

(١) في الاصل خير كثير .

(٢) البخاري ، الادب المفرد ص : ٣٦٤ ، وزارة العدل في الامارات ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .

شددها ، هو ابن معيد ، ويقال ابن منـذر (وفي الاستيعاب) يزيد ، وفي رواية يدير ، وفي التقريب وهوامش الاستيعاب : زيد •

هو بشير بن معبد ، وبقال ابن نذير بن معبد بن شراحيل بن سبع ، ابن ضاري (وفي التهذيب ضباب بدل ضاري) بن سدوس بن شيبان بن ذهل السدوسي المعروف بابن الخصاصية ، بفتح المعجمة وتخفيف المهملة • وهي (أي أمه أو جدته) منسوبة الى خصاصة ، واسمه ألاءة ابن عمرو بن كعب بن الحـارث بن الغطريف الأصغر ابن عبد الله بن عامر بن الغطريف (في الاشتقـاق : ٥١٣) عامر هو الغطريف الأكبر الأزدي (وهو مـاء السماء) ، وهي أم جـد بشير الأعلى ضباري ابن سدوس •

حرر ذلك الـدمياطي عن ابن الكلـبي ، وجزم به الرامهرمزي . وقال : اسمها (أي الخصاصية) كبشة (وفي رواية كبسة) وقيل ماوية (وهذا في تهذيب التهذيب ١/٤٦٨ ماوية بنت ألاءة بن عمرو) بنت عمرو، بن الحارث الغطريفية • وقيل بنت عمرو بن كعب بن الغطريف •

وأما أبو عمر (في الاستيعاب) ص ١٧٣ ، فقال ليست الخصاصية أمه ، وإنما هي جدته (١) •

وترجم له ابن الأثير في أسـد الغابة ، فقال : « وقد اختلفوا في نسبه فقالوا : بشير بن يزيد بن معبد بن ضباب بن سبع ، وقيل : بشير ابن معبد ابن شراحيل بن سبع بن ضاري بن سدوس بن شيبان بن

---

(١) ابن حجر العسقلاني ، الاصابة في تمييز الصحابة القسم الاول ص:٣١٤ دار نهضة مصر ، القاهرة •

وحديثه (حديث بشير) في الأدب المفرد للبخاري وقد مر بنا.

ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ، وكان اسمه زحماً فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيراً » •

ثم قال : قال هشام الكلبي : ولد سدوس بن شيبان : ثعلبة وضارية ، وأمهما ، الخصاصية من الأزد • والوافد الى النبي صلى الله عليه وسلم بشير بن الخصاصة ، نسب الى جدته هذه ، وهو ممن سكن البصرة •

روى عنه بشير بن نهيك ، وجري بن كليب ، وليلى امرأة بشير ، وغيرهم ، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث صالحة •

ثم قال هشام الكلبي فيما يرويه ابن الأثير عنه : (وهو من المهاجرين من ربيعة) ، روى عنه أبو المثنى العبدي أنه قال : « أتيت النبي صلى الله عليه وسلم أبايعه ، فقال : أتشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت ، وتؤدي الزكاة، وتجاهد في سبيل الله ؟ قال : يا رسول الله ، أما إتيان الزكاة فما لي إلا عشر ذود هن رسل أهلي وحمولتهن ، وأما الجهاد فيزعمون أنه من ولي فقد باء بغضب من الله عز وجل ، فأخاف إن حضرني قتال جبنت نفسي وكرهت الموت ، فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ، ثم حركها وقال : لا صدقة ولا جهاد فبم تدخل الجنة ؟ فبايعه عليهن كلهن » •

وهكذا فالكتب التي ترجمت له جعلت أمه قحطانية من الأزد ، وأباه عدنانياً من ربيعة ، وهذا يفسّر قول الرسول صلى الله عليه وسلم : الحمد لله الذي جاء بك من ربيعة القشعم، ويفسر لنا ما جاء في القاموس المحيط بأن قشعم هو لقب ربيعة ابن نزار •••

وإذا صح هذا فقد انقلبت معنا موازين كثيرة ، وتبدلت أفكار

أكثر •• فالمشهور المعروف عند العرب المتأخرين في الكتب وفي الدواوين أن القشاعمة قحطانيون فكيف حدث هذا التبدل ، وهل صحيح أنهم عدنانيون ؟•••

للإجابة عن هذا السؤال لا بد من تلخيص الانتماء العربي مرّة أخرى • فالعرب قحطانيون وعدنانيون •

أما القحطانيون ، فهم عرب اليمن والمشهور منها حيان عظيمان (حمير وكهلان) •

أولاً : حمير ، وله عشرة أولاد من عقبه ، والنسب يرجع الى اثنين منهم فقط وهما الهميع ومالك ، ومن مالك قضاعة ، والى قضاعة ينسب جل قبائل حمير ، والمشهور من قضاعة :

بلي : والنسبة اليه بلوى ، وجهينة ، وكلب ، وعذرة ، وبهراء ، وفهد وجرم •

ثانياً : كهلان ، وهو حي عظيم وأكثر من حمير قبائل ، والمشهور من قبائل كهلان إحدى عشر قبيلة ، هي :

١ ـ الأزد ، ومن بطونهم غسان والأوس والخزرج (ابنا حارثة ابن ثعلبة بن عمرو • مزيقياء بن عامر ماء السماء ابن حارثة الغطريف • ومنهم الأنصار) •

٢ ـ طيء ، وكانت منازلهم في اليمن ، ثم خرجوا منها ، بعد خروج الأزد عند تفرقهم بسبب سيل العرم ، فنزلوا بنجد والحجاز ، ثم غلبوا بني أسد على جبلي أجا وسلمى في نجد ونزلوها ، ثم عرف بعد ذلك بجبلي طيء • ومن بطونهم :

بنو تيم بن ثعلبة ، وبنو نبهان بن عمرو ، وثعل بن عمرو ، وجرم ابن عمرو وجديلة ، وبولان ، وهناء • ومنهم إياس بن قبيصة الذي ملك بعد النعمان بن المنذر •

ومنهم بنو سدوس بالضم أي بضم السين والدال • ومنهم بحتر ، وزبيد ، وسنبس ، وغزيّة ، ولام • ومنهم أوس بن حارثة سيد طيء ، ومنهم الغوث •

٣ ــ مذحج •

٤ ــ مراد •

٥ ــ همدان •

٦ ــ كندة •

٧ ــ جذام •

٨ ــ أنمار ، وله بجيلة وخثعم •

٩ ــ لخم ، ومنهم ملوك الحيرة اللخميون ، رهط النعمان ابن المنذر •

١٠ــ عاملة •

١١ــ الأشعريون •

وهؤلاء كلهم يقال لهم عرب عاربة •

ثانياً : العدنانية ، ويقال لهم العرب المستعربة أو المتعربة ، سموا بذلك لأن لسان إسماعيل عليه السلام كان السريانية ، أو العبرانية ،

فلما نزلت جرهم وهم قحطانيون ، عليه وعلى أمه بمكة ، تزوج منهم ، وتعلم هو وبنوه العربية •

فالعدنانيون (كما يروى المؤرخون والنسابون القدامى) هم بنو إسماعيل ، وكلهم من عدنان بن أدد الذي الذي ولد له عك ومعد • والنسب فيهم ينحدر من معد ، الذي ولد له ثمانية ، منهم :

١ ــ قنص وفي دائرة المعارف لابن قتيبة ، يزعم قوم أن آل المنذر ملك الحيرة منهم •

٢ ــ نزار ، والنسب في ولده الى نزار ، وولد نزار أربعة :

اياد وانمار وربيعة ومضر •

والى ربيعة ومضر ينسب ولد نزار •

وأما اياد فليست لهم قبائل مشهورة ، وينسبون الى القبيل الاكبر ، وأما أنمار ، فولد له خثعم وبجيلة ، ثم صار الى اليمن • [1] •

وهكذا نلاحظ تداخلا بين القبائل على قول الرواة ، جعل قبيلة أنمار في عدنان • وما ولد لانمار خثعم وبجيلة اللتين صارتا الى اليمن •

بل أن هذا النص يجعل شكا في نسبة المناذرة الى اللخميين ، فهو ينقل عن ابن قتيبة في المعارف أن قوما زعموا ال المنذر من قنص وهي بعض عدنان •••

---

(١) انظر أيام العرب في الجاهلية ، محمد أحمد جاد المولى ، وعلي البجاوي ، وأبو الفضل ابراهيم ص : ٤٠٨ وما بعد •

ويهمنا في النص السابق ذكر سدوس من قبائل طي ، وهو (سدوس ابن أصمع ، ومن بني سعد بن نبهان من طيء : جد جاهلي بنوه من طيء من القحطانية ، النسبة اليه سُدوسي بضم السين الأولى • أما سدوس ابن ذهل بن ثعلبة فهو عدناني ، والنسبة سَدُوْسي بفتح السين الأولى ، وكذلك سدوس بن دارم بطن من تميم النسبة اليه سدوسي بالفتح [1]•

والى سدوس عدنان ذهب المترجمون في رد نسبة الصحابي بشير ابن الخاصية ، فانه قد أشكل على الدارسين قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحمد لله الذي جاءبك من ربيعة القشعم » •

فما وجدوا تفسيرا لهذا سوى أنه ربيعة بن نزار ، ولاسيما أن بشير من الخاصية يعود الى سدوس ولو أكملنا دراسة طي بالدقة والحذر لرأينا أن ربيعة بن نصر هو جد سدوس مذحج ، وهو : سدوس بن اصمع بن أبي عبيد بن ربيعة بن نصر بن صعد بن نبهان بن عمرو بن الغوث بن طيء ، وأخوه خالد بن اصمع الذي نزل به امروء القيس بن حجر الكندي • وفيهم يقول :

اذا ما كنت مفتخرا ففاخر

بيت مثل بيت بني سدوسا

بيت تبصر الرؤساء فيه

قياما لاتنازع أو جلوسا [2]

---

(1) انظر نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، للقلقشندي ص ٢٦٣ ، بغداد ١٣٧٨ هـ ـ ١٩٥٨ م •

(2) انظر الايناس في علم الانساب : ١٧١ ـ ١٢٧ •

أمامنا في كتب التاريخ بطون كثيرة ممن عرفت باسم (ربيعة) قحطانيون ، وعدنانيون [1] .

ـ (بنو ربيعة) بطن من شنؤة بن عامر بن صعصعة من العدنانية. قال الجوهري : يعرفون ببني مجد اسم أمهم .

ـ (بنو ربيعة) بطن من بني الحارث بن كعب من القحطانية .

ـ (بنو ربيعة) ـ بطن من الأزد وهم ، بنو ربيعة بن عمرو بن الأزد .

ـ (بنو ربيعة) بطن من بكر بن وائل وهم بنو ربيعة بن عجل ابن لحيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل وهم من العدنانية .

ـ (بنو ربيعة) بطن من تميم من العدنانية . ربيعة بن كعب بن سعد بن عبد مناة بن تميم .

ـ (بنو ربيعة) بطن من تميم من العدنانية . ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . وتعرف بربيعة الكبرى ، قال الجوهري وتعرف بربيعة الجموع [2] .

ـ (بنو ربيعة) بطن من تميم من العدنانية . ربيعة بن مالك بن حنظلة .

ـ (بنو ربيعة) بطن من عبد شمس بن عبد مناف من قريش ، من العدنانية .

---

(١) نهاية الأرب : ص ٢٤٣ .

(٢) المصدر السابق : ص ٢٤٣ .

ـ (بنو ربيعة) بطن من عذرة من زيد اللات من القحطانية ، وهم بنو ربيعة بن عامر بن عوف بن بكر بن عذرة بن زيد اللات .

ـ (بنو ربيعة) بطن من عقيل بالضم .

ـ (بنو ربيعة) بطن حي من مضر من العدنانية ، وهم بنو ربيعة ابن نزار بن مضر، وتعرف بربيعة [١] الحمرا «.... وكان له من الولد: أسد ، وضبيعة ، وعمـرو وأكيس دخلوا في خثعم . قـال في العبر : وديارهم ما بين اليمامة والبحرين والعراق [٢] . وهم الذين يقال لهـم (ربيعة الفرس) أيضا . ومنها (عبد القيس بن أفصى ، والنمر بن قاسط، ووائل بن هنب بن أفصى) .

وحين وفد عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اللهم اغفر لعبد القيس أتوني لا يسألون مالهم خير أهل المشرق [٣] .

ويلفت النظر هنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقل لهم : اللهم اغفر لربيعة القشعم بل سماهم « لعبـد القيس » وقد مر بنا أن بعض الكتب قالت بأن ربيعة القشعم لقب ربيعـة بن نزار ، وهي من العدنانية : وهم ربيعة الفرس واخوتهم مضر الحمرا ، إلا أنه لقب عرف

---

(١) أظن أن الاصل : مضر الحمرا .

(٢) المصدر السابق : ٢٤٤ .

(٣) انظر كنز الانساب ومجمـع الآداب لحمـد الحقيـل : ص ٢٤ ، ط ٨/١٤٠١ هـ الرياض .

به ضبيعة بن ربيعة بن نزار [1] كما أن هذا الاسم (أو اللقب) على الأصح قد عرف كثيراً في لغة أهل اليمن ، وهو في الأصل قشع ثم زيدت الميم للجمع على لغة حمير ، كما قالوا بكلم وحشدم ، في بكيل، وحاشد، ويهنعم ، ويهقم وشددم [2] .

وقد ذكر في المحبّر من قشاعمة اليمن القشعم بن يزيد الكندي اليمني ، وهو من جراري اليمن ، ولم يكن الرجل يسمى جراراً حتى يرأس ألفاً [3] .

وفي المصدر المذكور ، ولي القضاء من كندة أربعة جبر القشعم ، ثم شريح ، ثم عمرو بن أبي قرة ، ثم حسين بن حسن [4] .

وفي الاشتقاق في معرض الحديث عن رجال بني زيد كهلان وقبائلهم ومنهم القشعم بن يزيد بن الأرقم ، كان أحد رؤسائهم يوم لقوا بني الحارث بن كعب [5] .

وفي رأينا أن ما قاله ابن سيده يدفع فقد مر بنا قوله (وكان ربيعة بن نزار يسمى القشعم) .

---

(1) القرط على الكامل لأبي الوليد الوقشي وابن السيد البطليوسي ،ص ٤٤٢ تحقيق ظهور أحمد أظهر .

أحمد أظهر ، نشر جامعة البنجاب لاهور ـ باكستان ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨٠ م .

(2) انظر المفصل ، لجواد علي ج ٢/٤٧٧ .

(3) المحبر ، لأبي جعفر بن حبيب ص ٢٥٢ ، المكتب التجاري ، بيروت .

(4) الاشتقاق لابن دريد ٣٦٥ .

(5) المصدر السابق ص ٣٦٥ .

ويلاحظ دارس التاريخ الباحث في الانساب تكرار الاسماء بين القبائل العدنانية والقحطانية فمن ذلك :

الغوث في العدنانية ، والغوث في القحطانية •

ففي مضر : الغوث بن مر ، وفي اليمن : الغوث بن أنمار •

وفي ربيعة العدنانية لجيم بن سعب ، وفي طي لجيم بن غنيم •

وفي عدنان معد ، وفي طي معد بن مالك •

وفي عدنان مر بن أد ، وفي طي مر بن عمرو بن الغوث •

وهناك نزار بن معد بن عدنان ، وفي قحطان نزار تنوخ •

وفيهم قال ابن الكلبي : « وليس نزار لهم بأب ولا أم ، ولا أدري ما معني تسميتهم نفوسهم به ، قال ومن النزاريين • سماك بن مريط ابن سرح بن عمرو ، وفيه يقول أخوه مالك :

فأم سمـــاك فـــلا تجزعي فللموت ما تلـــد الوالـــدة

وسيمر معنا موقف ابن الكلبي وتسميته ، أو تلقيبه ضـــبيعة بن ربيعة بن نزار بالقشعم •• وسواء عم هذا اللقب (قشعم) على ربيعة ابن نزار أو على ولد ضبيعة بن ربيعة بن نزار فإنه خاص بالعدنانية وهي غير قبيلة قشعم ، التي نبحث في تاريخهـــا • ولا يمنع أن يكون هناك أكثر من قشعـــم في التاريخ ، وقـــد رأينا فيما مضى تشابـــه الأسماء والألقاب وتكرارها بين العدنانية والقحطانية •

ولو تتبعنا النصوص مرة أخرى حسب القـــدم لعلمنا أن أغلب تلك النصوص تتحدث بلفظ العموم • كما رأينا تكرار هذا الاسم في حمير وكهلان •

طرفة بن العبد البكري ، هو أول من ذكر ذلك في شعره :

(والجوز من ربيعة القشعم)

ثم يأتينا حديث النبي صلى الله عليه وسلم (الحمد لله الذي جاء بك من ربيعة القشعم) ثم يأتينا قول العجاج الراجز الأموي :

(إذ زعمت ربيعة القشعم)

ثم يأتينا قول ابن الكلبي ، كما وجدناه في كتاب (القرط على الكامل) بأن قشعماً هو لقب ضبيعة بن ربيعة بن نزار .

وجاء بعد هـذا أصحاب المعجمات والكتب اللغوية ، فقالوا بأن قشعماً هو ربيعة بن نزار والذي وقفنا عليه بعد التقصي ، والتحقيق ، والبحث والتدقيق والقراءة والسماع كله يجب ألاّ نحذف منه مقولة العشيرة عن نفسها ، فهي تتلقى عن الاجداد والآباء ، والناس أمناء على أنسابهم . وقد تبين لنا وجود قشعم آخر من طي كان معروفاً وله صلة نسب بشمر التي هي طي .

والذي سمعناه من شمر وغيرها من القبائل القحطانية يؤكد انتماء القشعم الى قحطان ، وكذلك ما سمعناه من بعض العشائر العدنانية يؤكد ذلك . والقشاعمة في البلاد التي يتواجدون فيها يؤكدون أمراً مهماً أنهم من شمر ، وأنهم من الضياغم وأنهم قحطان . وقد رأينا كتباً مسجلة مخطوطة بخط مشايخ وأمراء القشاعمة في البلاد العربية الأردنية والعراقية والعمانية واليمنية ، يؤكدون جميعاً أنهم قحطانيون لا يختلف في هذا واحد منهم وهو أمر توارثوه أباً عن جد ونحن نسلّم لهم بهذا رغم وجود النص الصريح الذي ذكره ابن الكلبي وهو من أقدم العلماء

الذين كتبوا في الأنساب وكتابه « جمهرة أنساب العرب » [1] رغم أني لم أقف عليه ذاته أو فلنقل لم أقف على القسم المكتوب في قبائل ضبيعة ابن ربيعة بن نزار لأن هـــذا القسم لما يصـــدر وقد رأيت في مكتبة الشيخ حمد الجاسر جزأين • الجزء الاول صادر عن مجمع اللغـــة العربية بدمشق ، والثاني وهو الجزء الأول أيضاً طبعة أخرى صادرة في الكويت ، وهو ينتهي عند بني تميم •

ولكننا وقفنا على نص ابن الكلبي في كتاب القرط على الكامل ، قـــال صاحب القرط : «ذكر أبو عبيدة أن الذي قتل زرارة أشيم بن شرحبيل ، فأدى للصعاليك وزاد قبل هذين البيتين :

طلبنا بيوم قبـــل يومك علقماً فأصبح عرنين اليمامة أكسما

وزاد بعد قوله : قتلنا به خير الضبيعات :

جدعنا به أنف اليمامـــة كلها فأصح عرنين اليمامـــة أكسما

قال ابن الكلبي : ضبيعة قيس ، يعني ضبيعة بن قيس بن ثعلب ، وضبيعة أضجم (يعني) ضبيعة بن ربيعة ، وهو القشعم •

وقوله (أي قول صاحب الكامل والكلام ما زال لصاحب القرط) ضبيعة أضجم: في العرب، على ماحكى ابن دريد: قبائل تنسب الى ضبيعة ابن ربيعة بن نزار،وضبيعة بن أسد بن ربيعة هي ضبيعة أضجم•••» [2] •

---

(١) القرط على الكامـــل ، لأبي الوليد الوقشي وابن السيد البطليوسي ، تحقيق ظهور أحمد أظهر ص ٤٤٢ نشر جامعــــة البنجاب ، لاهـور الباكستان ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨٠ م •

(٢) المصدر السابق •

وهنا لا بد من وقفة مطولة ، فمن قبيلة ضبيعة هذا (المسيب بن علس) والمتلمس (جرير بن عبد المسيح) الشاعران المشهوران، وغيرهما من الفرسان والشعراء [1] .

وهو كما قلنا لقب لم يستمر لأن النسبة الى ضبيعة هي ضبعي ولم أجد من قال قشعمي ناسباً الى لقب ضبيعة !...

وفي واقع الحال فقد وقع خلط كبير في أنساب العرب ، فتداخل تداخلاً يصعب معه التمييز والتفريق بين ما هو عدناني وما هو قحطاني، وكان اتفاق الأسماء سبباً كبيراً من أسباب وقوع هذا الخلط ، وقد ذكر هذا نسابة اليمن الهمذاني في كتابه (صفة جزيرة العرب ص ١٨٠) : فقال : وكذلك سبيل كل قبيلة من البادية تضاهي باسمها اسم قبيلة أشهر منها،فإنها تكاد أن تتحمل نحوها وتنسب إليها، رأينا ذلك كثيراً).

وأعجبتني في هذا الجانب كلمة للعلامة الشيخ حمد الجاسر ، قالها وهو يبحث في أسباب الخلط في الأنساب ، قال :

(... وأدركت أيضاً أن جذمي العرب اللذين كان المتقدمون يرجعون أنساب القبائل العربية الموجودة إليهما وهما (عدنان) و (قحطان) قد حصل الامتزاج والتداخل بين جميع من ينسب اليهما ، بحيث لا يستطيع الباحث في أصول الأنساب في عصرنا أن يجزم بأن القبيلة الفلانية الباقية في عهدنا قحطانية أو عدنانية ، بين جميع القبائل

---

(١) انظر في أجاويد (معاهد التنصيص ٢/٣١٢ ، واللباب ٧ ، وجمهرة الانساب ٢٧٥ ، ونهاية الأرب ٢٦١ ، ومعجم قبائل العرب ٦٦٤ ، والاعلام ج ٣/٢١٤ .

التي تعيش في أقاصي اليمـــن أو في شعاف وســروات الحجـــاز الغربية الجنوبية •

ومن هنا فالجزم بأن القبيلة الفــلانية من قحطان أو من عــدنان يستلزم ذكر تسلسل نسبها الى الجـذم الذي تنسب اليه • بل أنساب جميع فروعها تسلسلاً متصلاً صحيحاً ، وهذا الآن يعد من قبيل المحال، لانقطاع تدوين الانساب منذ عصور طويلة) [1] •

---

(١) حمد الجاسر ، مجلة العرب بحث في (بنو عامر الربيعية وبنو عامر التميمية ص ٥٤٤) •

القشعم بن ثعلبة بن عبد الله بن حصن بن مهلهل بن عمرو بن الغوث بن طيء :

قلنا أنه لا يمنع أن يكون هناك أكثر من قشعم .. وأمامنا الآن شخصية تاريخية مشهورة هي شخصية القشعم بن ثعلبة بن عبد الله بن حصن بن مهلهل وهو الذي قتل داهراً ملك الهند ، أيام الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان ، وهو من أولاد حصن بن مهلهل أخي زيد الخيل الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخير [1] .

وحصن هذا أخو زيد الخير الصحابي المعروف ، وهو حصن بن مهلهل بن يزيد بن منهب بن رضا بن المختلس بن ثوب بن كنانة بن عدي ابن مالك بن نابل بن نبهان بن عمرو بن الغوث بن طيء [2] .

وينقل إلينا أبو الفرج الأصفهاني في كتابه الأغاني نصاً يصف فيه زيد الخير رؤوس قومه في طيء [3] يقول :

ودخل زيد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعنده عمر رضي

---

(١) انظر كتاب (الاشتقاق لابن دريد ص ٣٩٥) .

(٢) عبد العزيز الرفاعي ، زيد الخير ص ١٥ منشورات تهامة ١٤٠٢ - ١٩٨٢ م .

(٣) عن المصدر السابق ص ٩٧ .

الله عنه ، فقال عمر لزيد : أخبرنا يا أبا مكنف عن طيء وملوكها ونجدتها وأصحاب مرابعها ؟ فقال زيد : في كل — يا عمر — نجدة وبأس وسيادة ، ولكل من حية مرباع، أما بنو حية فملوكنا وملوك غيرنا، وهم القداميس القادة ، والحماة الزادة والأنجاد والسادة ، أعظمنا خميساً ، وأكرمنا رئيساً ، وأجمعنا مجالس ، وأنجدنا فوارس •

فقال له عمر ، رضي الله عنه : ما تركت لمن بقي من طيء شيئاً ، فقال : بلى والله أما بنو ثعل ، وبنو نبهان وجرم : ففوارس العدوة وطلاعو نجوة ، ولا تحل لهم حبوة ، ولا تراع لهم ندوة ، ولا تدرك لهم نبوة ، عمود البلاد ، وحية كل واد ، وأهل الإبل الحداد ، والخيل الجياد ، والطارف والتلاد •

وأما بنو جديلة فأسهلنا قرار ، وأعظمنا احظار ، وأطلبنا للأوتار ، وأحمانا للذمار ، وأطعمنا للجار •

فقل له عمر : سم لنا هؤلاء الملوك •

قال نعم : منهم عفير المجير على الملوك ، وعمرو المفاخر ، ويزيد شارب الدماء والغمر ذو الجود ، ومجير الجراد ، وسراج كل ظلام ولامه ، وملحم بن حنظلة ، هؤلاء كلهم من بني حية •

وأما حاتم بن عبد الله الثعلبي ، الجواد فلا يجارى ، والسمح فلا يبارى، والليث الضرغام قرّاع كل هامة ، جوده في الناس علامة، لا يقر على ظلامة •

فاعترض رجلٌ من بني ثعل ، لما مدح زيد حاتماً ، فقال : ومنا زيد ابن مهلهل النبهاني رئيس قومه وسيد الشيب والشبان ، وسم الفرسان ،

وآفة الأقران ، والمهيب بكل مكان، أسرع الى الايمان ، وآمن بالقرآن، رئيس قومه في الجاهلية ، وقائدهم الى أعدائهم ، على شحط المزار وطموس الآثار ، وفي الاسلام رائدنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومجيبه من غير تلعثم ولا تلبث ... [1] .

ويهمنا هنا أن نقف عند نبهان هذا جد قشعم بن ثعلبة ، وقد تكاثر نسل نبهان من ابنيه سعد ونايل ، قال ابن حزم :

ذكرهما امرؤ القيس في شعره ، ومن سلالة الاول قحطبة بن شبيب ، وبنو سدوس بن أصمع ، ومن الثاني بطنا مالك وثوب [2] ، ومن بني ثوب زيد الخير الصحابي الذي كان اسمه زيد الخيل ، فسماه الرسول صلى الله عليه وسلم زيد الخير في خبر وفادته عليه ، وهو زيد ابن مهلهل .

وأخو نبهان بن عمرو بن الغوث ، جرم بن عمرو بن الغوث ، من طيء ، وهو جد جاهلي بنوه بطون كثيرة ، كانت منازلهم بفلسطين ، غزة والداروم وبلد الخليل [3] .

وقد كان الشعراء يفتخرون بنبهان كثيراً ، قال حريث بن عتاب بن مطر بن كعب بن عوف بن عنين بن غوث بن نايل بن نبهان واسمه أسود ابن عمرو بن الغوث بن طيء ــ وهو جلهمة بن أدد :

---

(١) عن المصدر السابق عن الأغاني . انظر ص : ٩٧ ــ ١٠١ ــ ٩٩

(٢) انظر صبح الأعشى ، للقلقشندي ج ١/ ٣٢٠ ، وجمهرة الانساب : ٣٧٩ ــ ٣٨٠ . اللباب ج ٣ : ٢١٢ ، معجم قبائل العرب : ١١٧٠ .

(٣) انظر : سبائك الذهب : ٥٢ ، والنهاية للقلقشندي : ١٧٦ و ٣٠٤ وجمهرة الانساب .

لنا نسوة لم يجر فيهن مقسما	خميس ولا بعد التساهم مربع
حماهن من نبهان جمع عرمرم	وصم العوالي والحجاز الممنع
يرى خارجيا لا يزال إذا بدا	تشير لهم عـين اليه وأصبع

وهو يعني بالحجاز هنا جبل طيء ، والخارجي أي الظاهر للعيون [1] .

وثعل بطن من الغوث أعمام نبهان وأخوة عمرو بن الغوث ، ومنهم بولان ، وهنيء وقبائل وبطون أخرى [2] .

ومرّ بن عمرو بن الغوث ، من طيء جد جاهلي من نسله داوود ابن نصير الطائي العابد وابنه مرامر بن مرّ ، أحد من يقال أنهم وضعوا الخط العربي ، أو نقلوه من طريقة الى أخرى في الجاهلية ، وتدل آثار الحميريين في اليمن على أن الكتابة كانت عندهم قبل انشارها في شبه الجزيرة العربية ، ويقول الرواة أن اثنين من بني طيء ، هما مرامر بن مرّ ، وأسلم بن سدرة ، حولا خط الحميريين (المسند) الى نوع يقال له (الجزم) وانتقل (الجزم) من طيء الى الأنبار ، ثم الى غيرها ، فكان أساساً للقاعدة (الكوفية) ولقواعد الكتابة الاخرى حتى الآن [3] .

والميل الى هذا هو الأدق والأصح لوجود صلة القربى الشديدة بين بني ثعل : والغوث وجرم وسدوس ولام ، ولا سيما أن لام وجرم

---

(١) انظر : أدب الخواص : ٩٤ .

(٢) جمهرة الانساب : ٣٧٧ ـ ٣٨٠ .

(٣) صحاح الجوهري : مادة مرر ، والتاج ج ٣/٥٣٩ وفي جواد علي ، تاريخ العرب قبل الاسلام ج ١/١٨٥ ـ ٢١٢ .

كانوا خلال قرون طويلة متجاورين ، وهؤلاء جميعاً وغيرهم من فروع طي يشكلون ما يعرف اليوم باسم شمر ، ومنهم الضياغمة الذين سنفرد لهم حديثاً خاصاً •

قبائل جرم :

كانت جرم تسكن برية الشام ، والحجاز وفي سنة ٧٥٠ هـ احتال الأمير قبلاي أحد أمراء مصر، على الأمير أدى بن فضل أمير جرم فاعتقله وكان على عداوة مع الأمير سنجر بن علي أمير ثعلبة فقدم به الى القاهرة حيث ضرب وأبناء عمومته، وألزم بألف جمل ومائتي درهم، ثم سمّروا وأرسلوا الى غزة ، فثار أخو أدى ، وتصدر الهجوم على غزة ، فكتب السلطان الى نائب الكرك ونائب صفد بالخروج لمساعدة نائب غزة •

وتمكن دلنجي بمساعدة قوات الكرك وصفد من قتله بعد معركة دامت أربعة أيام عندئذ تفرق العشير (العشيرة) وضعف أمرهم، فدخل قسم منهم الشرقية من أرض مصر[1]،ثم هلك أكثرهم وبقي منهم القليل•

وكانت سنة ٧٥٠ هـ قد شهدت خروجاً لعربان الشام عن الطاعة لضعف السلطة المركزية في مصـــر • وكثرت بينهم الحروب ، واشتغل عرب الكرك والبلقـــاء بأعمـــال النهب والسلب واحترف كثـــير منهم اللصوصية ، وتمرد بنو ربيعة وبنو نمير ، وحاول الامير جر كتمر نائب الكرك أن يقضي عـــلى حركتهم ولكنهم أ زلوا بقواته هزيمة نكراء • وقتلوا عشرة من أصحابه [2] •

---

(١) انظر المقريزي • السلوك : ج ٨٠٥/٢ و ص ٨٠٨ •

(٢) المصدر السابق ح ٧٧١/٢ و ٧٩٩ •

وقامت جمـوع العشير من جرم وثعلبة والعائذ باجتياح أرض فلسطين والعبث في البلاد وقطع الطرقات عن المسافرين [١] • وتمكنوا من أسر الأمير يلجك نائب غزة •

ثم اندفعوا نحو الأغوار ، فاقتحموا القصر المعيني ، وقتلوا فيه جماعة من الجبليين سكان عجلون ، وعمال معاصر السكر ، ونهبوا مافي المعاصر •• وقصدوا القدس والخليل والرملة واللد ونهبوها ، واعتدوا على سكانها فأمر السلطان بخروج التجاريد اليهم من مصر والشام ، فلما علم العشير بذلك ولوا الأدبار وهربوا في برية الحجاز [٢] • ثم قتل أدى بن فضل أمير جرم بعد ذلك كما رأينا ••

ويلفت النظر هنا أن جرم ، وثعل ، وثعلبة ، غير داخلة في الأحلاف المنضوية تحت لواء آل مرا (الفضول) ، وقد مر بنا ذكر ابن فضل الله العمري القرشي (٧٠٠ ـــ ٧٤٩ هـ) في كتابه مسالك الابصار للبطون الداخلة في إمرة آل مرا •

وقد تبين أن القشعم كانوا في القرن الثامن على جانب كبير من القوة • كما سيرد في (تاريخ ابن الفرات) • وقد كان منهم كثير من الحلفاء لا سيما من أبناء عمومتهم طيء ، وعلى هذا نذهب الى القول بالتحالف بينهم وبين قبائل جرم وثعل وثعلبة ، رغم الصراع الذي حدث في القرن الثامن بين جرم وثعلبة •

وذكر القشم بن ثعلبة بن عبـد الله بن حصن بن مهلهـل هو ذكر

(١) المصدر السابق ع ٧٩٨/٢ •

(٢) للمقريزي ، السلوك ج ٧٩٨/٢ •

تاريخي لا بد منه ونحن نبحث في الجـذور ولا أدّعي نسبتهـم إليه ولا أجزم بذلك •

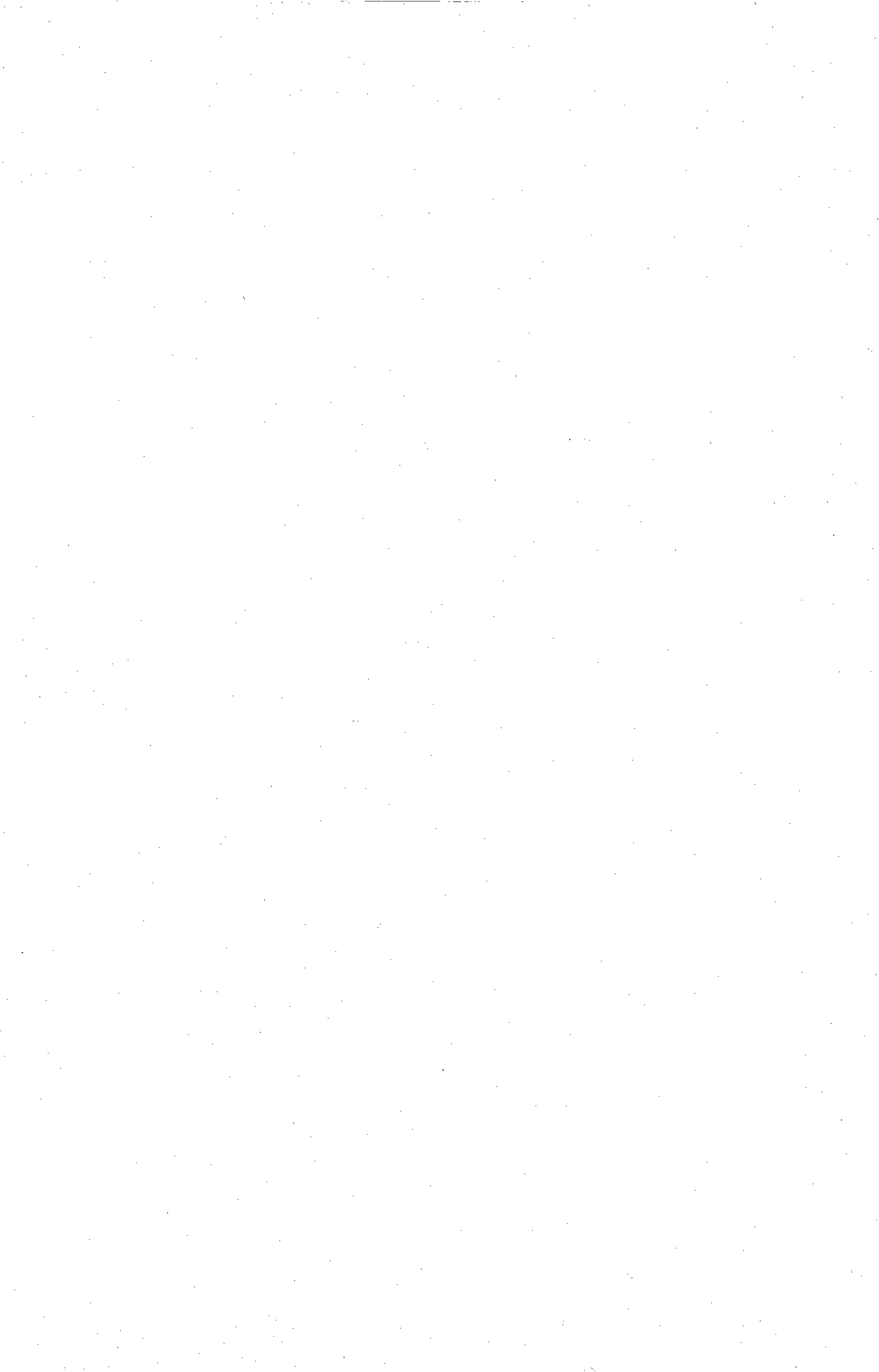
ولكن الذين سـمعتهم يجزمون ويحزمون من العرب شيوخهم وغير الشيوخ يحزمون على أن آل قشعم من الضياغم • وهذا أمر يكاد يكون مسلماً به فمن هم الضياغم ؟ •

ولا بد من الحديث عن الضياغم لتكتمل الحلقة التاريخية ، وإنه لحديث طريف ، فالضياغم اليوم يشكلون جموعاً من شمّر ، وهـذا ما سمعته في المجالس من الكبـار في السن ، والمكانة ، فما هي قصة الضياغم :

الضياغم

شهوان بن ضيغم

السلطان مارد



الضياغم :

هناك نظرية اقتصادية معروفة عند المختصين تعرف (بقانون العملة الرديئة) مفادها أن العملة الرديئة تطرد العملة الجيدة وتسيطر عليها ، فإذا كانت العملة المنتشرة في الأسواق ذهبية ، ثم جاءت عملة معدنية طردتها وسيطرت عليها ، ونزلت مكانها ، وهذا أمر يعرفه ذوو الاختصاص والخبرة ، ولكنه على كل حال يذكرني بما عليه العوام من الناس لا سيما أولئك الذين يبحثون في علم الأنساب ، فإنهم لا يهتمون كثيراً بما جاء في بطون الكتب المختصة ، وبما هو متفق عليه عند العلماء ، والمؤرخين ، ويهمهم في هذا الجانب ، ما يتداولونه بينهم شفاهاً ويحضرني هنا قول لا أذكر مدى صحته أن الإمام علي كرم الله وجهه كان يقول لرجل أقول لك قال الله وقال الرسول تتركني وتأخذ من أعرابي بوّال على رجليه ! • •

المهم في الموضوع أن الشائع والدائر بين ألسنة الناس في العصر الحديث أن القشعم من الضياغم فمن هم الضياغم هؤلاء ! • •

في شجرة جمعها وحققها رحاله سوري اسمه أحمد حسين جمعها ما بين عامي ١٩٦٣ — ١٩٧١ في الكويت • يتحدث عن ضيغم وأنه ورد ذكره في فتوح مكة مع الاثنى عشر رئيساً الذين عرضوا أمام الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكما ورد ذكره في جمهرة النسب لابن الكلبي بأن أمه عبدة ابنة سالم المهلهل التي تزوجها قيس بن شمر فأنجبت منه ضيغماً هذا •

وقيس بن شمر كـان سيد آل ثعـل بن سلامان ، وقـال فيه امرؤ القيس :

وهل أنا ماش بين شوط وحيّة وهل أنا لاق حيّ قيس بن شمر

وشمّر عند الإخباريين والرواة ، هو شمر بن عبد بن جذيمة بن زهر بن ثعلبة بن سلامان بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيء بن كهلان ابن سبأ بن بشر بن يعرب بن قحطـان ، وقد أورد الكلـبي في جمهرة النسب أن شمر وزريق هما أصل عشيرة شمر هذه وهما أبناء عبد بن جذيمة من ثعل [1] •

ولضيغم بن قيس بن شمر ولد اسمه مقدم وآخر اسمه راشد ، وثالث اسمه شهوان ولابأس من استعراض أولاد كل واحد من هؤلاء حسب المصدر السابق ملخصاً [2]:

١ ـ مقدم بن ضيغم له ولد اسمه ترجم ولترجم ولد اسمه يحيى وهو جد آل يحيا من شمر •

٢ ـ راشد بن ضيغم وله :

أ ـ عجيل ، وعجيل له ولد اسمه جعفر ، وهو جد الجعفر وهم :

١ ـ القشعم : بدرت أعمال طيبة لهم في لواء كربلاء في العراق ، وقد ساعدوا على نقل الماء للجيش العثماني أثناء حفر نهر الحسينية من شط الفرات حتى كربلاء وأكرمهم السلطان على صنيعهم هذا بإعطائهم

(١) المصدر السابق ج ٢/ص ٨٠٥ •

(٢) المشجرة المذكورة نسخة وجدتها عنـد آل القشعم في الرياض في بيت الشيخ عبد اللطيف القشعم •

عشر الدولة من النهر . وهم عدة أفخاذ : الفتيح ، الهرماس ، العقبة ، الدعيع ـ النعيم ، (العبيد وأقسامهم الشرهان والجدوع والفزير) [1] .

٢ ـ العلي ، وهم الذي تولوا إمارة حايل قبل الرشيد .

٣ ـ الخليل ، ومنهم آل رشيد . وأخبارهم كثيرة ومعروفة مدونة وغير مدونة .

٤ ـ الريـــا .

٥ ـ الرزانا .

٦ ـ آل مسلم وآل وهيب في محافظة الأنبار .

٧ ـ آل دبوس من أعمال محافظة ديالي .

ب ـ عمير بن راشد بن ضيغم : له كاعب ، ولكاعب ولد اسمه ربيع ، ولربيع ولد اسمه محمد الأصفر ، ولمحمد ولد اسمه ربيع وهو جد آل ربيعة من عبده .

ثالثاً : شهوان بن ضيغم .

وله من الأولاد عرار ، وفارس ومحمد .

أ ـ أما محمد فقد قتله ابن عمه عجيل أبو الجعفر ، وأما عرار فهو فارس نجد وشاعرها وله فعل خاص عن أحداثه مع ابن عمه عمير ابن راشد بن ضيغم ، وفيه يقول :

وأخوف كـلبي من همـوم ثلاث آلاف وعمـيرٍ دليلـه

وفي عمير هذا تقول عميرة زوجة عرار :

---

(١) هؤلاء ليسوا من القشعم (الشعيبي).

ما حـــرب إلا حربنـــا يا آل راشـــد

حنا طعس رمـــل على كبد من يهايله

ولم يذكر لعرار عقب .

ب ـ وأما فارس ، فهو الذي قـــاد العجم من بلاد فارس لحرب آل راشد من الضياغم ، وقتل عجيلاً بن راشـــد انتقاماً لمقتل أخيـــه محمد [1] .

هذا كلام الرّواة المناقل شفاهاً ، ولكن ماهي أخبار آل ضيغم في الكتب ؟ .

لدى زياراتي للعلامة الكبير الأستاذ الشيخ حمد الجاسر وتباحثي معه في أخبار وأصل قبيلة القشعم ، أعطاني مجموعة أوراق عن آل ضيغم كان قـــد نقلها من كتاب (طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب) ، ثـــم وقفت على الكتاب في مكتبة جامعة الامام محمد بن سعود ، طبعة قديمة مطبوعة في دمشق ، وفيه أخبار آل ضيغم ، ومما جاء فيه :

قال السلطان عمر بن يوسف بن رسول [2] :

آل منيف وهم (آل ضيغم وآل راشد) من جنب وهم المعروفون بالمعضّد وهو منيف بن ضيغم بن جابر بن علي بن عبدالرب بن ربيع بن سليمان بن عبد الرحمن بن روح بن مدرك بن عبد الحميد بن مدرك .

وقيل انهم من نزار من عنز بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دُعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معـــد بن عـــدنان دخلوا في نسب جنب لأن أمهم عبيدة بنت مهلهل بن ربيعة التغلبي من

(١) معلومات المشجرة المذكورة سابقاً .

(٢) مؤلف كتاب طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب .

تغلب وائل أخي عنز بن وائل تزوجها روح بن مدرك من بعد معاوية بن عمرو بن معاوية بن الحارث الجنبي .

وأخوتهم من أمهم آل عايذ وآل راشد وبنو قيس وآل السفر وآل الصلت وأصحابهم يسمون الأبطن من ولد هذا معاوية الجنبي فنسبوا اليهم . وآل منيف كما ذكرهم أولاد ضيغم وأولاد راشد ، وبيانهم مفصلاً كما يلي :

آل منيف ، وهم آل ضيغم ، وآل راشد :

أ - آل ضيغم بن منيف ، وهم ثمانية :

١ - منيف ، وأولد ولداً واحداً يسمى عيسى وأولاده ، ثلاثة باقون (والكلام للمؤلف الرسولي ، فهم على أيامه ثلاثة) .

٢ - شكر ، وأولد ولداً واحداً يسمّى ملهم ، ولملهم أحد عشر ولداً ، باقون على أيام المؤلف أيضاً .

٣ - عيسى ، وأولد ولداً واحداً يسمى ثعلبة ، توفي وخلف أربعة بنين .

٤ - علي ، وأولد ولدين ، مجلب ، وعزيز (غزي)[1] .

٥ - منصور ، وأولد أربعة أولاد . هم طريف وعبد الله وشهوان وعلي ولكل منهم ذريّة .

---

(١) قال محقق طرفة الأصحاب ص ١٢١ : « في الأصل عزّي » . ونعتقد أنها غزي ، أشكلت الضمة عليه ، فهي نقطة الغين ، ويكون الأصل هو الصحيح والى هذا نذهب لورود اسم غزي في أجداد القشعم .

٦ ــ سنان وأولد ولــداً كان حياً زمن المؤلف الملك الرسولي (في القرن السابع الهجري) .

٧ ــ عامر ، وأولد أولاداً ، هم مهيوب ، وعلي وغانم .

٨ ــ حارث ، وأولد ولداً واحداً .

فهؤلاء جميعاً أولاد ضيغم .

ب ـ آل راشد : راشد بن منيف خلف عشرة ، هم :

١ ــ علي ، وقد خلف ثلاثة أولاد ، هم محمود ، وله ولد واحد ، ومنيف وخلف عشرة أولاد ، وسنان ، وخلف عشرة أولاد كذلك .

٢ ــ ضيغم ، وخلف أربعة أولاد .

أ ــ حامد ، وله خمسة أولاد .

ب ــ سكر (ولعله شكر) ، وخلف ولدين .

جـ ــ راشد ، وخلف أربعة أولاد .

د ــ محمود ، وخلف ولداً واحداً .

٣ ــ محمود ، وخلف ثلاثة أولاد نعيم ، وعثمان ، وعركي .

أ ــ نعيم وخلف ولدين .

ب ــ عثمان ، وخلف ولدين كذلك .

جـ ــ عركي ، وخلف ثمانية أولاد .

٤ ــ أحمد ، وخلف خمسة أولاد ، هــم عامر وعمير ومذكور ويحيى وعثمان .

أ ـ عامر ، وخلف خمسة أولاد •

ب ـ عمير ، وخلف ثلاثة أولاد [1] •

جـ ـ مذكور ، وخلف ثلاثة أولاد •

د ـ يحيى ، وخلف ولداً واحداً •

هـ ـ عثمان ، وخلف ستة أولاد •

٥ ـ محمد ، وأولد ولداً واحداً ، توفي وخلف أربعة أولاد •

٦ ـ حامد ، (وما ذكر الرسولي له شيئاً) •

٧ ـ حميدان ، وأولد ثلاثة أولاد ، هم :

أ ـ طوق ، وخلف ستة •

ب ـ بدر توفي وخلف ستة •

جـ ـ صعب ، توفي وخلف رأبعة •

٨ ـ حمدان • (وما ذكر الرسولي له شيئاً أيضاً) •

٩ ـ جابر ، وأولد ولداً واحداً ، توفي وخلف ولداً واحداً [2] •

١٠ ـ عسكر، وهو عاشرهم.

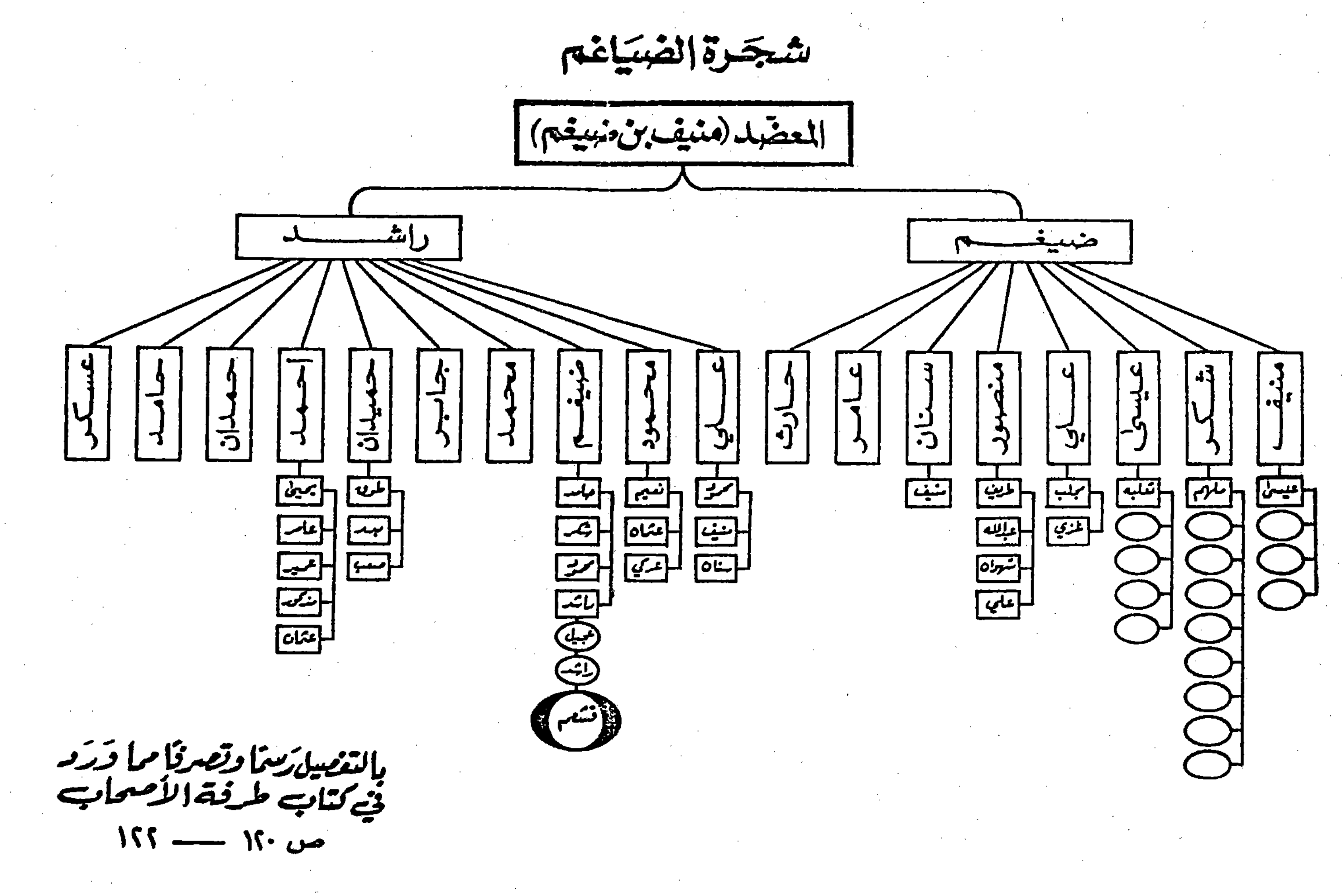
ويمكن رسم المشجرة التالية للضياغم :

---

(١) والجدير ذكره أن القشاعمة في اليمن يعدون الى عمير ، ثم يقفون ، ولعل المذكور هو جدهم ، والله أعلم •

(٢) طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب ، تأليف السلطان الملك الأشرف عمر بن الملك المظفر يوسف بن الملك المنصور عمر بن رسول التركماني الأصل ، الغساني ، وهو ثالث ملوك آل رسول باليمن • توفي سنة ٦٩٦ هـ وكان ملكه سنتين • « من مقدمة الكتاب » طبع بدمشق ، مطبعة الترقي ١٣٦٩ هـ ـ مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ، تحقيق ك • و ستر ستين •

شجرة الضياغم



بالتفصيل رسماً وتصرفاً مما ورد في كتاب طرفة الأصحاب ص ١٢٠ ـــ ١٢٢

شهوان بن ضيغم : (شهوان بن منصور بن ضيغم)

ولشهوان بن ضيغم مجموعة من القصائد المنتشرة في البادية ، وله بعض القصص وقد وجدت بعضها عن دهم شهوان :

« قال الشريف سلطان بن مشرف دهم شهوان الكربة سميت باسم صاحبها شهوان أبو عرار ، أخو راشد ، عم عثمير ، اشتهر ذكرهن بسبب حوادث لها صلة بهن كما قيل ان شهوان هُزِم في إحدى الحروب وعقرت فرس ابنه وفرس ولد عمه ، فأركب الاثنين معه وعليه الدرع فوق فرسه ونجوا من أعدائهم ، وقال :

أنا على الدهما ، وبنت أم عامرْ

وقالوا لمن ضمّ الخبيث يبيعْ

نجت بي وابني وابن عمي ودرعنا

وخامسنا بين الضلوع ضجيعْ

إن جنّ في الحدباء فهن يتبعنها

وإن جنّ في السندا فهن جميعْ

غزينا غزو قدر ستين فارس

وشفنا شويف في ذوابة ريعْ

وقالوا : ياشهوان سم ارقب لنا

ومثلك راعي الطيبات يطيعْ

يوم أشرف المرقاب راسي وروسها

للجموع تزبا وللطياس لميع

فقالوا : ياشهوان ردّها سالم

على العمر ، والا فالجواد قليع

نقلت : انها الدهما جواد ابن عامر

وزودها على جري المهارى جريع

غدت بي [وبابني][1] وابن عمي ودرعنا

والخامس من بين الظلوع مضيع

ضراب يام لحقت الركر كلهم

واتلاهم اللّي بالسليل منيع

وصبحتهم والعلم ماوصل حيهم

وأخذنا قضا الخرمة وفاه سريع

وغيرها ترى الدنيا علينا رخيصة

وأرباعنا للممحلين ربيع

عليها نقلنا غيظ الأشراف كلهم

ولو زعلوا سكان الحجاز جميع

---

(١) (وبا نني) البيت في الأصل ، ولكنها ـ تقدمت « أوراق حمد الجاسر »

ولا بالهدايا هَوْ لسن القلب مَرّه

ولا باسحوت المغنيات بنيع

عليها ندوّر الحمد في كل هَيَّه

وأنا للجهامه بالصباح وديع

كما النجم لاانقضّت على وجه غاره

تردّ مغيره ، والكمين جميع

ويرجوننا التالين واللي مطرّقة

ومن طاح بالساقه عليه فريع

حفيظة عن الأدناس من خيل يعرب

وعند العرب بيتها ثناه رفيع

وضمن أوراق الشيخ العلامة حمد الجاسر قصص عن دهماء شهوان ، وفيها :

«جاور شهوان صانع" له فرس فأفلَتْ هي وفرس شهوان الدهماء في مكان واحد ووقت واحد، فاستبدل الصانع مهرة فرس شهوان بمهرة فرسه ، وقد اتضح لشهوان ذلك فيما بعد ، غير أنه خشي أن يتهم بظلم جاره ، فأمره بالرحيل عنه ، ثم تزيّا شهوان بزي درويش وأتى الحي الذي جاوره الصانع فنزل في منزل شيخه، فلما رحل الحيّ تبعه مترقباً فرصة لنهب بنت فرسه،وبينما هو سائر أبصرته ابنة شيخ الحيّ فعرفته، فأخبرها بالغاية التي من أجلها تدروش وحضر الى هذا الحي ، وكان

الصانع يسير مع الظعن على فرسه ابنة دهماء شهوان ، فدعته ، فصار يسير تحت ظلتها .

فأمالت الظلّة ، فظنّ الصانع أنها ستسقط ، فتـرك الفرس ، وأسرع لإصلاح الظـلة فركب شهوان فرسه ، وذهب بها ، وكان مما قال شهوان لما ذهب بها الصانع :

فـداك الدهمـا يا ذياب بن غانـم
غـدت ضحا ، والجيـدات غـواد

ياغَنْك ما اطرد جيّد عن جواده
ياحبـل جـوف المضـا والجـاد

أحبـك بالدهمـاء كمتى وعـزوتي
هـي صـدرت والجيـدات وراد

وقال شهوان أيضاً :

يا قانصـين الصـيد أنا دليـله
مـن بين سـنامات العـلا وبْجَاد

مها نيـع مثـل الورع ما شي يرده
من الخيـل شثنات الوجيـه عيـاد

فـلا يلحق الجـازي إلا شبيهـه
عريضـة مَلْتقى الأبهـرين سْنَاد

مرفعـــة السّيقـان ، قبّا شمّـــره

تزيـد عـــلى المنجـــور يـوم الزادْ

مربعـــة الجمهـــات مرداة غـارة

إلى عرضت عقـــب الدعـــوة شـداد

وقال شهوان :

تمنيت حطمـــات الليـــالي ، لعلنـا

ندرك بهـــن يا بو ربيـــع حمـودْ

الى صار ما جود عـــلى قدر حاجـــه

فكـــلٌ إلى جـــاد الزمان يجـــودْ

وان صار مالك من ذراعيك نَجْـــدَهْ

فشـــربك بأعضاد الرجـــال يكـودْ

ترى كـــل مولـــود ولو زاد برّه

لزوماً لفعـــل الوالـــدين يعـــودْ

حـــذا مهرةٍ عنـــد الرويبي لكنّها

قطـــاة لمنْتَـــزْح الميـــاه ترودْ

وقـــال :

يقـــول شهوان ومـــن راس مالـــــه

جـــواد وزرقـــا في ذوابـــة عـــودْ

وبيت عـــلى الأطـــراف يلقى مشيِّد

إلى ما توزّى بالتـــلاع قـــرودْ

فلـيّـا نزلـــوا شعيـــب نزلنا مفيضـــه

ونكف عنهـــم ما يكـــون يكـــودْ

ولا يفي مـــن أوسط النـــزل بيـــت

إلى محفـــل يلقى براس نفـــودْ

لنا منزل ما بـــين الأفـــلاج والحـــسا

وما بين صنعـــا والسليّـــل وجـــودْ

★ ★ ★

اليا خودروا يبغـــون الأسعـــار بالقرى

قدرنا عـــلى مثـــل الغمـــام السودْ

أكبـــار الشوادي ، ميرنا من زروعهـــا

غراير بـــلا خطـــب ولا قـــودْ

واليا حافهـــا سبع الخلا بات جايـــع

يباطنهـــا مثـــل النسور ليـــودْ

عـــلى الكبد أحـــلى من تمـا فايدينه

شظـــا لبّهـــا ثم انحنى به عـــودْ

ويقفـــاه من حـــبّ القرايـا مناسف

بهـا الكفبّ عن راســه يكون سنـودْ

وقال أيضاً :

ثارت بي واخـــويا وابنـي ودرعنـــا

مـــع مس بين الضلـــوع مـــدادْ

معــاذا لـــا عرضوهـم مجـــرّحْ

مكـــاد فله عنـــدها مكـــادْ

خيالـــة اللي ما يخلـّي ابن عمـــه

حـــرّ صيـــاد وليس يصـــادْ

فأنا أبركْ يالـدهْمـا بعثعـــاث حاجر

مـع ما شمطنـــاه من حليـب وزادْ [1]

---

(١) كـــذا .

وأبرّكَ يا لدهمـــا بعثعـــاث حاجر
كمـــا سقتها الثريا ديمتـــين فجـــاد

عـــلى وجـــلَ ما بتنـــا لا تاهيـــا
أهـــل المهـــارة نقشهن جـــداد

لا أروحـــن منهـــم في عشية بطولـــه
لهـــم علينا في الفـــدّيا حـــداد

ولا تركبوا مضنوكـــم كـــل قاصـــر
دقاق العكـــا ، مضنى العيون زهـــاد

دقـــاق عرانـــين الخشوم قواصـــر
شراهـــا من لا يتغـــذا بـــه فؤاد

ويبدو أن رحلة الضياغم كانت في منتصف القرن السابع الهجري[1]، وربما كانت في بداية القرن السابع الهجري، لأسباب نراها ملخصها أن القشعم المعروفين أنهم من الضياغم في الأوساط الشعبية كان شأنهم قد ارتفع وأمرهم قد اشتهر في نهاية القرن الثامن وبداية التاسع أيام مشيخة ثامر ابن قشعم ٧٩٥ هـ .

---

(١) وانظر المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ، القسم الأول ، محمد ابن ناصر العبودي ص : ٣٣٩ منشورات دار اليمامة ، الرياض . فله رأي آخـــر .

السلطان مارد

في القرن العاشر تجري أحـداث مشهورة كـذلك في الأوساط الشعبية الشمّرية لا سيما في منطقة معروفة قديماً باسم النباج ، وحديثاً باسم الأسياح : ويذكر لنا كتاب المعجم الجغرافي مافي الأسياح من عيون عذبة ، ومافي صدور الناس من أهلها من أساطير عن السلطان مارد والتي تقول : إنه كان له عين جارية في الأسياح وأنه تحارب مع الضياغم .

وفترة الأسياح الثانية التي قامت بعـد الاسلام فترة مظلمـة ، ولكنها أقل إظلاماً من الأولى ، بل إن فيهـا بصيصاً من النور مصدره الآداب الشعبية المتداولة في تلك المنطقة ، وليست المصادر المكتوبة . وأهم ما فيها قصة السلطان مارد مع الضياغم ، فمن هو السلطان مارد ، وما هي قصته مع الضياغم ؟

فترة السلطان مارد[1] :

يتناقـل أهالي الأسياح (النباج) حكايات وأشعاراً عاميـة عن شخص مهم اسمه « السلطان مارد » يقولون أنه كان قد عمر الأسياح وأنه أنشأ قصـر مارد . وأنه أصبـح ذا قوة عظيمـة وشوكة يهَابُهـا سكان تلك المنطقـة ، من البـدو . ويستدلون على عظمته وكثرة آثاره ببقايا القصـر المسمى « قصر سلطان مـارد » وبقايا سد في الأسياح يسمونه « المسكر » يقولون إنه من آثـاره . وبالجملة فإن كل مافي الأسياح من أثر عمراني أو زراعي كانوا ينسبونه إلى سلطان مارد .

(١) المصدر السابق ص ٣٣٤ — ٣٤١.

سلطان مارد : على لفظ السلطان مضافاً إلى مارد ، ومارد هو قصر في الأسياح لا يزال يسمى بهذا الاسم فيقال له قصر سلطان مارد وقد يقال له : مارد تشبيهاً .... له بقصر

مارد الموجود في دومة الجندل والذي لا تزال بقاياه معروفة حتى الآن[1] هذا بالإضافة الى أنه وربما كان اسم مارد يطلق في بلاد العرب على القصر المنيع ولذلك وجدت عدة قصور تسمى بمارد غير قصر مارد المشهور الذي قيل فيه المثل « تمرد مارد وعز الأبلق » [2] وذلك مثل « مارد » في جهة العارض الذي ذكره الأعشى في شعره [3] هذا هو المتبادر للذهن وإن كان بعض العامة يزعمون أن سلطان مارد سمي مارداً لأنه تمرد على من أرسله وخرج عن طاعته يقولون : إن سلطاناً هذا كان والياً لأحد حكام العراق بعثه على رأس طائفة من الجند ليقيموا في الأسياح فيمنعوا الأعراب من الاعتداء على الحجيج الذين كانوا يسافرون من العراق الى الحجاز ، وأنه وكل إليه المحافظة على شرق الطريق كله فجعل مقبرة في الأسياح إلا أنه أعجبه ماؤها والإمكانات الزراعية الموجودة فيها فأجرى إحدى عيونها وعمر قصره العظيم فيها مما جعله يمتنع حتى من الحاكم العراقي الذي أرسله الى هناك .

(١) راجع وصفا شاملا لقصر مارد بل تحقيقاً عنه في كتاب « في شمال غرب الجزيرة » . لأستاذنا حمد الجاسر ص ١٤٠ ـ ١٤٦ .

(٢) ياقوت : رسم « مارد » .

(٣) المصدر نفسه .

وبعد أن أخضع الأعراب لحكمه أعلن استقلاله بالأسياح والتفت الى النواحي العمـرانية فيـه فحبس مسايل السيل : وحصن الحصون فأمنت البلاد في عصـره ، وأصبح سيداً لتلك الناحية ، غـير منازع ، واسمه سلطان هذا مالا ينازع فيه منهم أحد . بل ورد ذلك في الشعر العامي القديم الذي سنذكره فيما بعـــد إن شاء الله . والـذي منه هذا البيت :

تقابل حميــدان و « سلطــان مارد »

تهيَّـا من كف ذا لهـــــذا صواب [1]

وسلطان هذا ليس عربياً بل هو عجمي ذكر بعضهم أنه رومي ، ولكن أهـل نجد كانوا يسمون الأعاجـم في ذلك الوقت روما ، وقد يسمون الترك بالذات روما ، كما فعـل ابن بشر في عدة مواضع من تاريخه وكما ورد ذلك في رسالة للإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد من كتاب له الى علي باشا الكتخدا قال : جاءنا كتابكم ، وفهمنا معناه ، وأما الحسا فهي قرية خارجة عن حكم الروم ، ولا تساوي التعب [2] .

وفيما يتعلق بسلطان مارد بالـذات ورد في القصيدة التي ذكرنا مطلعها تسمية قومه الذين كانوا يقاتلون معه بالروم .

تقـول (ميثا) يا الراشـــد يا هـــلي

الــرُّوم لحقونـــا بغـــير حساب

---

(١) صواب : اصابة بالغة .

(٢) مطالع السعود لابن سند ص ٦٩ (طبعة محب الدين الخطيب) .

فهل هو كباقي جنده رومي على حد تعبيرهم أم هو من جنس آخر ولكن جنوده من الأعاجم ؟

أظن[1] أنه هو وجنوده ليسوا روما بمعنى أنهم من الأوربيين ولكنهم أعاجم من الترك أو من التركمان أو حتى من الجنود غير البدو في الجيش العراقي في ذلك الزمن .

ولكن من الذي بعث « سلطان مارد » الى الأسياح ؟

إننا لا نستطيع الإجابة على هذا السؤال لأن المصادر المكتوبة التي اطلعنا عليها لا تسعفنا بذلك ، ولكننا نتخيل الأمر على ما ذكرته العامة من أن الذي بعثه هو حاكم العراق .

فحاكم العراق هو المنوط به على مر التاريخ تأمين طريق الحاج وسلامة الحجاج من اعتداء الأعراب ، هذا ما حدثنا به التاريخ ابتداء من واقعة الأعراب مع (بُغا) الكبير الذي كاد يستأصل شأفة بعضهم في القرن الثالث حتى القرن السابع إذ كانت أخبار خروج الأعراب على الحجاج ، وقطع الطريق عليهم كثيرة مدونة في التواريخ المشهورة .

بل إن بعض الباحثين أرجع سبب عمارة النباج (الأسياح) على يد عبد الله بن عامر بن كريز الى كونه تولى إمارة البصرة لعثمان رضي الله عنه فأصبح تأمين طريق حاج البصرة موكولاً إليه فكان تفقده لذلك الطريق ومنه النباج سبباً في عثوره عليه ثم عمرانه وعمران مواضع أخرى غيره في القصيم . ثم سكنى ذريته وغيرهم من قريش وبقاؤهم في القصيم عدة قرون .

---

(١) الكلام للعبودي.

ولكن متى كان عهد سلطان مارد ؟

لا يسعفنا التاريخ المكتوب بشيء من أخباره يفيد تعيين وقته ولكنه حتماً في الفترة التاريخية المظلمة في نجد وهي الممتدة من انقضاء القرن الرابع حتى انتهاء القرن الحادي عشر .

هذا مالا شك فيه ولكن تلك الفترة طويلة وممتدة ففي أيها كان سلطان مارد ؟

الذي أعتقده أن عهده كان في القرن العاشر وأستدل على ذلك بأمور :

أولها : أن الشعر الذي قيل في عصره ووصل إلينا هو من الشعر العامي النجدي الذي يشبه أشعار تلك الفترة في كون كثير منه يستقيم وزنه من بحر الطويل إذا دخلت عليه تغييرات يسيرة مثل تحريك ساكن، أو تسكين متحرك . كما في الشطر الأول منه وهو :

تهيا لنا عند ابرق السيح عركة

فإذا جعلنا همزة أبرق همزة وصل وكسرنا القاف من كلمة أبرق ، والحاء من كلمة السيح ونونّا التاء من آخر الشطر كما عليه الحال في الشعر الفصيح أصبح الشطر موزوناً وزناً صحيحاً من بحر الطويل . (فعولن مفاعيل ، فعولن مفاعل) وسنأتي على ذكر الشعر كاملاً فيما بعد إن شاء الله . وذلك شأن الشعر العامي الأعرابي من القرن الثامن كما ذكره ابن خلدون الى شعر رميزان بن غشام وشعر الخلاوي راشد في القرن الحادي عشر .

ثانيها : أن قصـر مارد الذي ينسب إليه سلطـان مارد يظهر من هندسة بنائه طبقاً لما شاهدته من البناء في خارج الجزيرة ــ وإن لم أكن من المختصين في هـذا الموضوع ــ أنه من طراز البنـاء في تلك الفترة فبناؤه من الحجارة والآجر يشبه البناء في القرن العاشر في العراق •

ثالثها : أن اسم سلطـان مارد اقترن باسم الضياغم الذين نعرف أنهم من شمّر وعهد الضياغم كان في تلك الفترة •

رابعها : أن تلك الفترة هي أشد الفترات إظلاماً لذلك ندر أن نعثر على نص كامل واحد مكتوب عن تاريخ تلك المنطقة فيها ، وهذا ما اتسم به عصر سلطان مارد •

خامسها : أن أهالي القصيم يقولون أحياناً : إن سلطان مارد كان في زمن بني هلال وينسبون شعر الضياغم في عهده الى بني هـلال مما يدل عـلى أن عهـده قد مضى عليه عدة قرون إذ كانت العامة كثـيراً ما تنسب أشعار العامة القديمة الى بني هلال من دون تحقيق أو تدقيق •

وكل هذه الأمور إنما هي استنتاجات اضطررنا إليها بسبب عدم عثورنا على نصوص مكتوبة عن تلك الفترة •

نهاية سلطان مارد :

يقول أهالي الأسياح في حكاياتهم الشعبية : إن سلطان مارد بلغ من قوة النفوذ حداً خيل إليه أنه لا يستطيع أحد من الأعراب أن يمتنع عما يريده منه •

وذات يوم كان جماعة من الضياغم من شمر قاطنين على الأسياح فرأى سلطان مارد صبياً منهم يسبح في ماء العين فأعجبه بياض بشرته وسأل : هل له أخت ؟

قالوا : وكان يسمعه رجل من الضياغم اسمه عرار آل راشد كان له ابن عم على خلاف معه اسمه عمير وله أخت اسمها : ميثا • فأراد عرار أن يكيد لابن عمه عمـير فقال لسلطان مارد : نعم إن له أختاً مثله في الجمال تسمى ميثا ويمكنك أن تطلب يدها مع أخيها عمير • لعلمه أن عميراً لا يستطيع أن يمتنع من سلطـان مارد إلا إذا أصابه ضرر منه • قالوا : فأرسل سلطان مارد الى عمير يطلب منه أُخته ميثا •

قالوا : فشاور كبار قومه فلم يستطيعوا أن يجابهوا سلطان مارد بالرد بل إنهم أظهروا الموافقة وبيتوا أمراً هو أن يطلبوا منه مهلة لكي تستعد فيها ميثا للقائه على أن يضعوا بديلة عنها أمة سوداء ، ثم يرحلوا قبل ليلة الزفاف حتى يمكنهم الهرب قبـل أن يعرف الخديعة • إلا أن عراراً علم بالأمر فأخبر سلطـان مارد وكانوا قـد ساروا من الأسياح قاصدين الجنوب فأدركهـم سلطان مارد ومن معه عنـد أبرق السيح الذي يقال له الآن : الأسياح • فاقتتلوا قتالاً شديداً فتبارز سلطان مارد وحميدان بن راشد فاختلفا بضربة من كل واحد منهما الآخر فماتا جميعاً ، وحمل الضياغم حميدان صاحبهم فدفنوه في الصريف •

وفي ذلك يقول شاعرهم ويقال إنه عمير بن راشد نفسه :

تهيالنـا عنـد « أبرق السيح » عركـة

تمنّى بهـا حضّار الرجـال غيـاب

تقـــول ميثا : يا الراشـــد يا هـــلي
الروم لحقـــونا بغـــير حـــاب

لحقـــونا يبـــون ميثـــا غصيبـــة
ودون ميثـــا صيـــانٍ تسنّ حْـــرَاب

إلى حـــــدونا والحقـــــونا ظِعِيننا
تهـــايقن من بين الحـــنيّ عْـــذَاب [1]

تقابـــل حميـــدان وسلطـــان مارد
وتهيـــا لـــــذا من كف هـــذا صواب

تعاقبـــوا ضـــرب بشلفـــا سنينـــة
عرينيـــة تودع الـــدروع خـــراب [2]

هذا ما سمعته من هذه القصيدة عن أهل ناحية الأسياح وسمعت من غيرهم أبياتاً منها [3]:

(١) تهايقن : يقصد النساء اللائى في الهوادج ، وتهايقن : أي أطلت النساء. والحنى : جمع حنو والمراد : أعواد الهوادج المحنية ، والظعين هي الظعائن في الفصحى وهي النساء في الهوادج . وعذاب : من العذوبة .
(٢) شلفا : حربة قصيرة . وسنينة : حادة . وتودع : تدع وتترك .
(٣) والكلام للعبودي، والحواشي

أنا أخـــوكَ يا ميثا عمـــير بن راشد

حلفــت يا ميثـــا ما يصك دونك باب

حجاب حجاب الخيـــل من ذرع القنـا

ومن ذلّ منـــا يلتـــجي بحجـــاب

وكِنْ ذيول الشقر من تحت آل راشـــد

شخنـــور صيف هـــلّ من سحـــاب (١)

إلى رفعت الصَّوْتْ لعيـــال راشـــد

لأصواتهـم حـدر العجاج صـلاب

عقـــرت بالبرقـــا تسعـــين ملبس

وأما العـــواري ما لهـــن حســاب (٢)

يلـــومنني وأنا عـــلى زغزغيـــة

زغزغيــــة ما ضـــــريت (٣) بآداب

حجـــاب الى سمعت الخيـــل عزوتـه

تقهـــرت تقهقــار سيلٍ فيَ رغـــاب

(١) الشختور : الوابل المتصبب من المطر •

(٢) البرقا هنا الأرض الرملية : والملبس الذي قد لبس الدرع ، أو قد لبس العلامة التي تدل على أنه من الفرسان المشهورين وليس من سائر القوم •

(٣) زغزغية : فرس صعبة القياد •

ونسأل بعد ذلك عن عمير وعرار من هما ؟ وفي أي زمان زمانهما لأن ذلك يساعدنا علـى معرفة سلطان مارد وبالتالي نعرف منـه بعض تاريخ الأسياح ...

إن المراجع المكتوبة تضنُّ علينا بالجواب الشافي ولذلك نلجأ إلى الإخباريين الذين يقولون : إن الضياغم من ذرية شهوان بن ضيغم بن عبيدة بن قحطان وأن شهوان غضب من أبيه بعد إتهامه زوراً بالاتصال بزوجة أبيه فترك بلاد قحطـان الى القصيم في قصة طويلة ويقـال : إن فارس هو الذي انطلق من بلاد قحطان وليس بشهوان .

ويقولون : إن عراراً هو عرار بن شهوان بن ضيغم وأن عميراً هو عمير بن راشد بن ضيغم فهما ابنا عم .

وقال لي بعض النسابين : إنه توجد ذرية لعمير في بعض الجهات التابعة لحايل وأنهم من البدو ، وأن بعض النسابين من أهـل الحضر يعدون لهم خمسة عشر جداً حتى يصلوا بهم الى عمير ، فإذا كان هذا صحيحاً فإن زمنهم يكون في القرن العاشر الهجري [1] كما قـدرنا من قبل ، علماً بأن ترجيح صحـة ما ذكر صعب إذ كتابة الأنساب في نجد كانت قليلة ما عدا ما كان في بعض الحواضر .

وهكذا كانت نهاية سلطان مارد ونهاية عهده ، ولكن ظلت ذكراه ، وذكرى عمارته للأسياح باقية في أذهان أهالي تلك المنطقة إلى الآن .

---

(١) قلت (الشعيبي) لدى مراجعة كتاب طرفة الأصحاب ، وذكره للضياغم . يتبين ان الهجرة كانت قبل هذا التاريخ الذي اختاره شيخنا الجاسر بحوالي ثلاثة . قرون ، والله أعلم .

العمران الأخير :

بعد عهد سلطان مارد غارت العين التي أجراها ودثرت بل إن كثيراً من الأعمال العمرانية التي أحدثها أهملت • وليس ذلك فحسب وإنما نسي الناس أنه كان في النباج عيون يمكن أن تسيح إذْ دثرت العيون ، وانطمست الآثار ، ونسي حتى ذكرها •

وقصة رحيل الضياغم وهجرتهم من الجنوب الى شمال الجزيرة متداولة بين البدو شعراً ونثراً ، فبالإضافة الى ما ذكره شيخنا العلامة حمد الجاسر[1]، فقد سمعت من الأديب الشمّري خفيج بن عبد الله بن رمّال قصيدة طويلة يمدح فيها الشيخ عبد اللطيف بن عقل القشعم ، يتطرق فيها لأخبار تاريخية مفيدة ، فهو في مقدمة قصيدته (النبطية) يرحب بالشيخ عبد اللطيف ، ويراه مؤصلاً بالشيخة وهي ، وإن كانت فاتحة تشحذ همة الشاعر وتفتح له أبواب القول ، إلا أنها مأخوذة من العرف السائد بين البدو ، يقول :

يا مرحبا بعـداد ما هـل همّـال
اليـا تثرنه زاجرات الرواعيـد

بالشيـخ أبو منصور كساب الأنفـال
شيخٍ ولـد شيخ مضى له مواريـد

ثم يعطف على ذكر تاريخ أجداده من الضياغم ، فيقول :

تاريخهـم مفهـوم بماضي الأجيـال
من قشعـم الأول لضيغـم معاويـد

(١) وما ذكره الأستاذ محمد العبودي.

ولا بو ربيعــة معـــدّل الشيل اليامال

اليا أصغرن مزن الرجـــال الرواعيـــد

وهنا لابد من وقفة ، فالشاعر يمتح أقواله من أحاديث الرجال الطاعنين بالسن ، أحاديث وأخبار متوارثة ، وهو رجل كبير السن أيضاً، وحصيلة ما سمعـــه عن آل قشعم لخصه بالبيتين السابقين ، فتاريخهـــم قديم ، ومفهوم بما مضى من الأجيال ، وقشعم عنده له لقب عددي ، فهو قشعم الأول ، وتاريخهم معروف من قشعم الأول لضيغم ، وهـــذا يساند ما ذكرناه من قدم القشعم وأنهم قدامى جداً كما ذكرنا ، والمهم هنا في ذكر الأبيات جمع المفاهيم الشعبية من أفواه الرجال والشعراء •

ثم يستمر الشاعر فيتحـــدث عن الأماكن الجغرافية التي مرّ بهـــا القشعم والضياغم فيحدد مسيرهم الذي سلكوه أثناء رحلتهم الى شمال المملكة ، فيقول :

من خشــــم سنا زاغ من غـــير دلال

من أيمن خميس مشيط وذيك الجلاميد

أوزعت جهامتهـــم عـــلى غرب وشمـــال

واقفت جهامتهـــم كما جايـــل الصيد

ثم مروا بطريقهم على نجد ، وفي هذا يقول :

ونجـــد انفضوها وغرّبوا مع شفا الجال

حالن أوزاعن مـــع صحارى هالك البيد

ثم وصلوا الى جبل سلمي :

ومروا جبـل سلمى وفاتوا عـلى الفـال

وتمركـزوا بوادٍ لـه مسانيـد

ثم يذكر تمركزهم في جبلي أجا وسلمى ، وتحالفهـم ، ثم يصور حربهم لشيخ زبيد بهيـج وقبيلته ، وتغلبهـم عليهـم ، وترحيلهم الى العراق ، يقول :

بين الجبـال اللي لهن مجد وظـلال

وتحالفـوا من بينهـم بالمواكيـد

وتحالفـوا من بينهـم برد الأقـوال

زوبـع وعبـده وأسلـم بالتراديـد

وزتوا بهيـج زتةٍ تطـنى الحـال

وخلّى جباله والنّخـل شمخ الغيـد

وقد كتب الدكتور عبد الله الصالـح العثيمين شيئاً من هـذا في كتابه (نشأة إمارة آل رشيد) [1] ، قال وهو يتحدث عن سكان جبلي أجا وسلمى : « وإذا كانت هنـاك أكثرية من سكان الجبـل تنتمي الى قبيلة شمـّر ، فإن زعامة قاعدة تلك المنطقـة ، حائل ، كانت تنتمي الى عشيرة عَبْدَة من هذه القبيلة .

---

(١) نشأة امارة آل رشيد ، الرياض ١٤٠١ هـ ـ ص ٣ ـ ٤ .

وتاريخ العشيرة المـذكورة لا يختلف كثيراً عن تواريخ العشائر والقبائـل الأخرى في وسط جزيرة العرب ، آنذاك ، من حيـث ندرة المعلومات ، وعدم تحديدها • ومن ذلك النادر غير المحدّد ما يروى عن عشيرة عبدة أنها كانت تسكن إحدى جهات اليمن ، ثم هاجرت من هناك متجهة شمالاً حتى حلّت بجبل شمّر •

وتشير هذه الرواية الشعبية الى أن تلك الهجرة حدثت منذ أكثر من أربعة قرون ، لكنها لا تعطي تاريخاً دقيقاً لها (ونحن مع الدكتور صالح فهذا تاريخ غير دقيق والمتوقع أنه قبل هذا التاريخ بقرنين عـلى الأقل) كما أنها لا تشير بصورة مقنعة الى الاسباب التي جعلت هـذه العشيرة تحل بمنطقـة جبل شمّر بالـذات • ومن المعروف أن أسباب الهجرات القبلية تعود ، في الغالب ، الى حدوث قحط شديد ، ينتج عنه انهيار اقتصادي للقبيلة التيحدثت في جهتها ، أو حدوث ضغط عسكري من إحدى القبائل المجاورة ، أو الإمارات التي تسيطر على منطقتها •

أما اختيار عشيرة عبدة المهاجرة لمنطقة جبل شمّر ، فإنه من غير المرجح أن يكون السبب الوحيد ، أو السبب الأقوى ، فيه ما يوجد من تشابه جغرافي بين موطنها القديم ، وبين مكان استيطانها الجديد • بل ربما كان لصلة النسب بين هذه العشير وبين سكان الجبل المذكور أثر أقوى من العامل الجغرافي في ذلك الاختيار •

وربما كانت هنالك انقسامات بين أبناء عمومتها المحليين ، أو بينهم وبين قبيلة أخرى ، جعلت أحد الفريقين المتخاصمين يغريها بالقدوم الى المنطقة أملاً في وقوفهـا معه ضـد خصومة • ومهما كان الأمر ، فإن عشيرة عبـدة ما لبثت أن انتزعت سيادة المنطقة من زعمائها الأولين ، وأجبرت بعضهم على مغادرتها •

وكان أحـد أولئك الزعماء الذين اضطروا الى المغادرة يقـال له يهيج • والى ذلك يشـير شاعر من شعراء شمر (يقـال أنه لعبيد بن الرشيد) فيما بعد يقوله :

قيلك بهيـج حـدّروه السناعيس

من عقـدة اللّي ما يحـدّر قناها [١]

وفي بهيج هذا قال الأديب الشمّري خفيج بيته السابق • وما دمنا قد عدنا إليه ، والى قصيدته في مدح الشيخ عبد اللطيف ، فإنه لا بد من ذكر ما قاله في جد من أجداد الشيخ عبـد اللطيف في وصوله الى الحسا وغزوه لابن عريعر ، يقول :

جـده [٢] تمركز بالحسا يوم الأفعـال

يوم الصيـال ودور وقت المجاريـد

ثم يتحدث عن الأمير ثامر بن قشعم ، وهذا حديث تاريخي مفيد ، يقول :

وثامـر تبـين يوم للرمـز زلـزال

وأسس لنا بالقـاع رسم ومجاويـد

---

(١) عباس العزاوي ، عشائر العراق ، بغـداد ١٣٦٥ هـ : ١٢٩/١ • السناعيس نخوة تطلق على شمر أو على كثير من عشائرها • اللي ما يحدر قناها : التي يصعب إنزال قنيان تمر نخيلها من فروعها لكبرها • وعقدة في أجا ، ويوجد فيها كثير من نخيل أهل جبل شمر • عن د • عبد الله الصالح العثيمين • نشأة إمارة آل رشيد ص ٤

(٢) وهو الأمير كنعان بن قشعم وقد مر ذكره ، وانظر أمراء القشعم وشيوخهم في هذا الكتاب •

وقوله (أُسس لنا بالقـاع رسم ومجاويـد) إشارة الى تأسيس إمارة القشعم ومشيختهم الأولى ، وهذا تاريخياً صحيح وثابت وسنأتي على ذكره بالتفصيل إن شاء الله .

ثم يتحدث عن جـده الآخر ، ولا يذكر اسمه ولعله أراد (ناصر ابن مهنا) ، قال :

والجـد الثاني للمناعـير مدهـال
عليـه شكـلات النضا له مواريـد

عـلى غـدير الشيخ سوّس له أميـال
بخشم الرعن تأتيـه الأنضى جهاديـد

وساد العراق الجشعمي طلق الاشبـال
وساقوا له الجزية عـلى كيف ما يريـد (١)

واصغوا وزكـوا له شغاميم الابطـال
بالسيف طوع ناقلـين البواريـد

بالسيف الأرخـم أودع الناس ذلال
وذلت لـه صـعول لرجـال الصناديـد

---

(١) انظر فصل القشعم في العراق ، والقبائل التي أخذ منها أمراء القشعم الزكاة .

القشعمي جبـــــار وللراي فتـــــال

حلحيـل صعصيـع يخيف الاضاديــــد

ويفعـــــل ويرسي وللثقيـــلات شيـال

وجـدٍ لجـدٍ يكسبون التحاميـد

وإذا كان خفيج الشاعر الشمري قد تحدث عن رحلة الضياغـم شعراً، فإن (الأستاذ أحمد. فهد العلي العريفي) قد تحدث عن هـذه الرحلة نثراً، ونشرها في مجلة الحرس الوطني [1] ولا بأس من عرضها هنا لأنها تعزز قصة رحيل الضياغم، رغـم أن مصادره شفوية ينقلها الرواة، ولكنها طريفة، وهي كما قال شبيهة برحلة بني هلال، قال تحت عنوان:

الضياغم وقصة نزوحهم إلى نجد:

الضياغم ـ وقد يقال آل ضيغم ـ فرقة من فخذ عبيدة من قبيلة قحطان المعروفة في جنوب الجزيرة العربية، كانوا يسكنون وادي تثليث وما حوله، ولظروف ـ ربما سياسية أو اجتماعية ـ نزحوا من تلك الجهات حتى استقر بهم المقـام في المنطقة الشمالية من نجـد المعروفة (بجبل شمر) أو جبل طيء سابقاً.

وللضياغم شهرة واسعة وتاريخ طويل يشبه الى حد بعيد تاريخ بني هلال وسيرهم، ولهـم أدب شعبي وقصص وأساطير تتحدث عن بطولاتهم وحروبهم وحياتهم الاجتماعية في ذلك الوقت. ولما نزح الى

(١) مجلة الحرس الوطني ص ١٠٢ رمضان ١٤٠٥ هـ يونيو ١٩٨٥ م

ضيغم من الجنوب في الجزيرة العربية مروا بكثير من القرى والمحطات القديمة وسجلوا ذلك في قصائدهـم التي كان لها دور بارز في ارشاد الجغرافيين والمهتمين بالمواضع القديمة الى مواضع ربما كانت مجهولة قبل الاهتمام بدراسة وتحليل قصائدهم وأشعارهم • ولنستمع الى قول أحد شعراء آل ضيغم ــ فارس بن شهوان الضيغم ــ يعدد الاماكن التي مروا بها في رحلتهم الى شمال نجد قال:

ليـــل في القمـرا وليـــل في الركـا
وليـــل في حزم الحصـــاة شـــداد

وليـــلة وردنا ماســـل ومويســـل
وجيـــه المغـــارف كنهـن جـــداد

وليـــل في السـرداح لا علة الحيـــا
هشيمـــه وقـــاف وحمضـه بـــاد

ووطيتهـــا وادي القويـــع تعمـــد
تمنيتهـــا لولا الهيـــام بـــلاد

وليـــل في الحـــدبا لا عمر جالهـــا
شـــدوا وخلوا في المـراح ســـواد

الى قوله :

وليـل وردنا العـد عـد آل زايـد (١)

لا قلـت هـون مـن جمامـه زاد

وأبرز الشخصيات في قصص الضياغم شخصية عرار بن شهوان وعمير بن راشد ـ وهما أبناء عم ـ وللاثنين مواقف بطولية . إلا أن التاريخ الذي يرويه العامة يؤكد أنهما كانا عدوين لدودين وحصل بينهما مصادمات ومنازعات مرات كثيرة ويؤكد هـذا قول عرار بن شهوان المتوفى سنة ٨٥٠ هـ (٢) :

يقـول الفـتى عرار في راس مرقبـه

عفا اللـه عـين تزايـد هميـله

الى أن قال :

تخـاف من دهيـا دهـوم يجرهـا

ثمانيـة آلاف عمـير دليـله

ضـربت ابن روق لمـن دلبجـن بهـم

الى لحيتـه بالقـاع جثت ثنيـله

(١) آل زايد قبيلة الدواسر المعروفة في نجد.

(٢) قلت : (الشعيبي) هذا التاريخ غير ثابت. والله اعلم

بشلفي تلظى من يمين ابن ضيغم
كما حجر در خاربه مسيله

ما ناس إلا في بنوك معادن
وما طاب من بنك المعادن طاب

عمى الراي ما يجلا به الطيب والدوا
عمى الراي ما دام الغراب غراب

كبير [1] لنا يمشي على ما يضرنا
وهو بالعيا من يوم شب وشاب

الى أن قال :

وتلاقى حميدان وسلطان مارد
وصح كل له من كف ذاك صواب [2]

تلاقوا حد الدمث والرمث والغضاء
وحد قويرات الصريخ نصاب

في مفرق الدربين كدرا عجاجه
يتمناه حضار الرجال غياب

(١) يعني عراراً .
(٢) يعني أن كلا منهما قتل الآخر .

وان عبـــر التشمان[1] الى باب مـــارد

عــــلى الترك ما تثني لهـــم رقـــاب

ترى أول من يثني عقيــــل بن والــدي

رخصـــن وزين الجــاذيات حجـــاب

ويزعم العوام أن عراراً وشى بعمير عند السلطان مارد ــ الباشا التركي الذي كان أميراً على دومة الجندل ، وكان ذلك سبباً في حرب طاحنة بين عمير وجماعته ضد الباشا التركي ــ سلطان مارد ــ عند مكان يقال له قويرات الصريخ شمال دومة الجندل ، وقتل في المعركة الباشا على يد حميدان الضيغم فقال عمير في ذلك :

تقابل حميـــدان وسلطـــان مارد

وتهيا لـــذا من كف هـــذا صواب

(وقد مر ذكرها بنا ، فلاضرورة لإعادتها هنا) .

ومما ينسب الى أم عرار تقول في ولدها عرار :

ألا يا ولـــدي يـــوم أنا حامــــل به

لكن شيهـــان بكبـــدي مخـــامر

حسبــت له أربـــع سنين مع أربـــع

مـــع مثلهـــن تبـــدى عليـــه السـرايـر

---

(١) قلت (الشعيبي) لعلها الدشمان وهي في التركية الأعداء.

لكن ذبـــاب السيفَ من فوق متنـــه

جنـــاح نسر من عـــلا الجو طـــاير

وليـــا حترك من مجلس صـــوب مجلس

عليـــه الصبايـــا فتحـــن الغـــراير

ومن قول عرار وهي من مطولات قصائدهم وجيدها :

فلا واعـــلا لولا التمـــني سماجـــه [1]

أوقف بنجـــد آمـــن غـــير خـــايف

وألقـــى عمـــير بالعـــذيبيه مـــوقف

عـــلى شلشل بيض الجمـــال الشرايف

الى أن قال :

وجانا يدب القصـــر قصـــر آل ضيغـــم

والى القصـــر عن ضلعـــين حدبا شظايف

لعـــل وادي العرض ما دبه الحيـــا

ولا بنيت فيـــه الخيـــام النوايـــف [2]

غـــدا بالصبايـــا والسبايـــا وبالقنـــا

وبالـــدرق الجـــوثي وزين الكـــلايف

---

(١) سماجه : تفاهة.

(٢) النوايف : الكبيرة العالية.

وغـــدا بنـات من بني آل ضيغـــم

رهــاف الثنايا مدمجـــات العكـــايف

ثريـــــا ومي والربــاب وزينـــــــب

يقـــدن الهوى قود المهـــار العسايف

الى قوله في آخر بيت من قصيدته :

فكفى كفى الـدنيا الىْ عـــاد خـيرها

فراش الثرى من عقب لـــين اللحايف

ولما وصل الضياغم الىجبل شمر كانت الزعامة فيه لبيهج بن ذبيان من قبيلة بني زبيـد وكان مقره في قرية عقده الواقعة في الجهة الغربية من مدينة حائل في شمال نجد • وحدث الصدام بين آل ضيغم والشيخ بهيج وكانت الغلبة لهم عليه ، فاضطروه الى النزوح عن عقدة ورحل الى العراق فسكن هناك وقال من قصيدة يذكر فيها ماحدث [١] :

يقول بهيـــج بن ذبيـــان مثايـــل

ودمعي عـلى الامـلاق فوق الشـلايل

جلـــوني عن داري العـــذيات شمر

••••الخ القصيدة •

وبعــد أن استقر الشيخ بهيـج فيّ العراق صفا الجو لآل ضيغم

---

(١) آل جرباء في التاريخ والأدب ، أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري •

وحكموا البلاد وكان منهم عدة أسر تعاقبت الحكم على البلاد منها آسرة آل علي ثم آل رشيد • وقال أحد الشعراء يذكر قصة بهيج بن ذبيان :

قبلك بهيــج حـــدروه السناعيس

من عقـــدة اللـي ما يزحزح قناهـــا

ولا زالت تلك الأسر تفخر بالانتماء الى آل ضيغم وتذكر أمجادهم في أشعارها وقصائدها •

قال الشاعر [1] يعني أحد أمراء آل رشيد :

الضيغـــمي كـل المراجـل بعبـــه

وحنـــا نلقط ما وقـــع بالتـرابي

وقال الشاعر من قحطان يذكر صلة الضياغم بقحطان وان كانوا يعدون في شمر بعد أن تحالفوا معها ودخلوا فيها :

يا ناشـــد عنـا ترانا قحاطـــين

أصايـــل واللـي حـــذانا لفـــايق

حنا وعبـده والضياغـم بجـدين

لطامـــة يـوم اللقـــا كـــل مايق

(1) علي القبالي من قبيلة تميـــم • كان أمـيراً لقرية قصر العشروات في جبل شمر •

جذور وظهور



جذور وظهور

يذهب الرواة والنسابون الى أن مذحجاً هو طيء ، وهو الـذي استجار به مهلهل أخو كليب وتزوج ابنة مهلهل عبيدة ، وإليها تنسب قبائل جنب ، فولدت لهم ضيغم ، ومن بني ضيغم هؤلاء عبدة ، وقد كانت لهم الرياسة على قبائل شمر ، ومنهم القشعم • والثابت لنا تاريخياً كما جاء في تاريخ ابن الفرات، أنهم في القرن الثامن كانوا من سادة العرب في نجد،وأن قوتهم بدأت تظهر الى جانب قوة الفضول وبني لام الطائيين أيضاً، وحين بدأ أمير طي الفضلي نعير الذي شق عصا الطاعــة على السلطان الظاهر برقوق ، لم يجد السلطان أمامه من العرب الأكفاء الذين يكفونه شر نعير أمــير طيء إلا ثامر بن قشعم ، فاستدعى السلطان الظاهر ابن الغزولي التاجر ، ورفيقه ، وأصدر مرسوما يقضي بتأمير ثامر بن قشعم وأرسلهما الى الأمير ثامر ومعهما المرسوم السلطاني ، وخلعة ، وكلفهما بالوصول إلى ثامر بن قشعم فأجابهما الأمير إلى ما يريده السلطان، فتقبل المرسوم، ولبس الخلعة، وقال السمع والطاعة لله ورسوله ، ولمولانا السلطان، وقام من ساعته وجمع عربه، وأخبرهم بقصد السلطان ، وأمرهم بالرحيل أولا فأولا فرحلوا إلى جهة نعير، فجازوا على أملاكه بالبصرة فاستولوا عليها ونهبوها.

---

(١) انظر أنساب العرب ، سمير عبد الرازق القطب ص : ١٥٠ •

ويبدو أن هذا أول وأقدم ذكر يخص القشعم بالامارة ، وهو كما ترون تاريخ قديم ، قال ابن الفرات [١] : « في العشر الاول من شوال المبارك (سنة ٧٩٥ هـ آب ١٣٩٣ م) حضر الى الابواب الشريفة بقلعة الجبل بمصر المحروسة رسل صاحب دهلك ، وأحضروا صحبتهم هدايا من جملتها فيل وزرافة وسنغيل وخدام ورقيق وغير ذلك ، (وحضر) الى الأبواب الشريفة ابن الغزولي [٢] التاجر ، ورقيقه ، وأخبرا السلطان الظاهر [٣] ، أنهما توجها بمرســوم السلطان الى ثامر بن قشعم ، لان

---

(١) تاريخ ابن الفرات ، محمد بن عبد الرحيم بن الفرات مج ٩/ج٢/٣٤٢ حققه وضبط نصه د ـ قسطنطين زريق ، و د • نجلا عز الدين • المطبعة الاميركانية بيروت ١٩٣٨ م •

(٢) علي بن عبد الله الغزولي البهائي الدمشقي المتـوفي سنة ٨١٥ هـ ـ ١٤١٢ م • أديب له شعر تركي الاصل ، من المماليك نسبته الى مولى له اسمه ، وكنيته بهاء الدين عاش ، وتوفي في دمشق ، وزار القاهرة مراراً له « مطالع البدور في منازل السرور ط جزآن » الضوء اللامع ٥/٢٥٤

(٣) الظاهر سيف الدين برقوق • توفي سنة ٨٠١ هـ

برقوق بن أنس العثماني ، أبـو سعيد ، أول مـن ملك مصر مـن الشراكسة جلبة اليها أحد تجار الرقيق ، واسمه عثمان فباعة فيهـا منسوبا اليه ، ثم أعتق وذهب الى الشام فخدم السلطنة • وعاد الى مصر مكان أمير عشرة وتقدم في دولة المنصور القلاووني (علي بن شعبان) فولى أتابكية العساكر ، وانتزع السلطنة من آخر بني قلاوون الصالح ٧٨٤ هـ ، وتلقب بالملك الظاهر ، وانقادت اليه مصر والشام ، وقام بأعمال من الاصلاح ، وخلع سنة ٧٩١ هـ ، وأعيد (الصالح) فخرج خلسة الى الكرك وامتلكها ، وزحف على دمشق فدخلها ، فزحف عليه الصالح بجيش من مصر • وعاد الى مصر سلطاناً سنة ٧٩٢ هـ وتوفي وتوفي بالقاهرة ، أخباره كثيرة جداً •

السلطان قد رسم لهما بأن يتوجها اليه وصحبتهما خلعة ، فتوجها اليه ؛ وكلماه بسبب نعير [1] ، وأنه أجاب ولبس خلعة ، السلطان [2] وقال السمع والطاعة لله ورسوله ، لمولانا السلطان ، وأنه من ساعته طلب عربانه ، وأمرهم ، بالرحيل أولا فأولا ، ورحلوا الى جهة نعير فجازوا على أملاكه بالبصرة فاستولوا عليها ونهبوها •

وهذا الخبر يوضح لنا عدة أشياء لابد من تفصيلها :

١ ـ أن قبيلة قشعم بدأت تظهر في القرن السابع الهجري ، وأنهم اشتهروا بهذا الاسم بعد ذلك رغم أنهم ضياغم • وقد قرأ عليَّ الشيخ حمد الجاسر في منزله مقطعا من كتاب الهمداني (صفة جزيرة العرب) ص ١٨٠ ، جاء فيه : « وكذلك سبيل كل قبيلة من البادية تضاهي باسمها اسم قبيلة أشهر منها ، فانها تكاد أن تتحصل نحوها وتنسب اليها ، رأينا ذلك كثيرا » •

ومن هنا فقد امتزج بهذه القبيلة القشعم كثير من بطون العرب

---

(١) نعير هو محمد بن حيار بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة شمس الدين ، أمير آل فضل بالشام توفي ٨٠٨ هـ من سلالة المهنا الفضلي ، وكان أمر الفضول عظيماً وكبيراً خلال عدة قرون حكموا فيها بوادي الشام ونجد والعراق ، وقد انتهى عزهم بموت نعير •

(٢) ويبدوا أن (نعيراً) وآل فضل قد وقفوا الى جانب الملك الصالح ضد برقوق فاستنجد بالقشعم ضدهم ، واستمرت بينهم المعارك الى أن حدثت بينه وبين الأمير جكم وقعة كسر فيها (نعير) وجيء به الى حلب فقتل فيها •

(٣) تاريخ ابن الفرات مج ٩ ، ج ٢/٣٤٢ ـ ٣٤٣ •

ويعذرني القاريء الكريم فانني لا أستطيع الجزم لانني لا أملك أه من عزم ، ولكنها نتائج وقضايا استقرائية ، والله أعلم على كل حال •

٢ ــ بدأت قوة القشعم الفعلية ، وأخذ تجمعهم القبلي طابع القوة والمنعة منذ بداية القرن السابع ، لدرجة أنهم صاروا بعد مئة سنة أو أقل ، محط أنظار السلطان في مصر للقضاء على أمير طي الخارج عـن طاعته (نعير) المذكور أمره •

٣ ــ أن ثامر بن قشعم هو أول أمير رسمي من آل قشعم يتلقى مرسوما سلطانيا ، وخلعه سطانية سنة ٧٩٥ هـ • وهذا ذكر قديم أقدم من أبناء عمومتهم آل الجربا وآل علي •

٤ ــ أن قصة رحيلهم الى جنوب العراق ، كانت بتكليف رسمي من السلطنة في مصر ، وأنهم رحلوا قبائل قبائل أولا فأولا ، ومن هذا يتضح أن قصة رحيـل ، الشخصية المعروفة شعبيا بـ (سـعد راعي الذلول) وأنه ، اختلف مع آل علي أو غيرهم من أبناء عمه ، وأنه قال :

كَـالـوا لِي جِيشْم كلـت مـا اجيـم
مـا أجيـم بـدار كثـيرٍ شيوخهـا

السّيف الصّـيرمَه ظهر بـه مثاليـم
والفـاس تظهر شـدرتها من شـروخها

بيت الحَجَر يذْري لي جَت° مَلازيشْم
وبيت الشَّعر ما يذري لي جَت° كفوخها

وأنه خرج وبرفقته خطيب له ، وأنه نزل عند غليص ، وتزوج ابنته وجاءها منه ولد اسمه غزي، وأنه قتل غليصا ، وذهب الى بغداد ، وتلقب بشيخ الشيوخ ابن قشعم...يتضح أنها غير صحيحة، وأقصد أن سعداً هذا لايمكن أن يكون جد القشعم الذين ذهبوا الى العراق..ولكن الامر ــ فيما يبدو لي والله أعلم على كل حال ــ أن عرب القشعم الذين خرجوا الى العراق برئاسة ثامر بن قشعم ، لم يخرجوا كلهم ، وانما خرج جزء منهم وبقي جزء آخر ، وكانت المسألة فيما يبدو في بدايتها خروجا ثم عودة ، أي أنهم خرجوا لمحاربة (ثـعَـيْـر) أمير طي في البصرة ، ثم كانت العودة فى نيتهم ، ولذا فانهم لم يخرجوا جميعا ، ولكن ثامر ابن قشعم وعربه بعد أن حاربوا نعيراً ونهبوا عربه ، عادوا فسكنوا على الحدود السعودية العراقية ، ومازال كثير منهم يذكر بعض الآثار التي خلفها امراء القشعم بعد ثامر . والمنطقة معروفة حتى الآن باسم (وديان المهنا) التي يحدها ــ على حد أقوال العربان ــ من الشمال شعيب العــود (العيدان) وهو يصل الى حوران من الشمال .

ومن الشرق شعيب (الأبيّض) وفيه قصر أثري على اللصف، وهو بقايا أطلال أناخ عليها الدهر بكلكله، يقال له قصر ابن قشعم معروفة. وكنعان هذا أحد أولاد الملك ناصر بن مهنا بن قشعم.

والمعانية بئر على ستة عشر مقاماً حفره ابن قشعم للخيل ، تجتمع فيه مياه الشعبان فتروي الخيل والابل ، وغدير الشيخ يقال أنه حفره بعناكز الرماح .

وهكذا فان قبائل القشعم سكنت شمال المملكة حيث الوادي ، واستطابت جنوب العراق ، حيث الماء الوفير والكلأ الكثير وهما أمران مهمان جدا للبدوي ، ولكنها لم تستطع ترك ديارها ، وحياة الباديــة

التي اعتادتها ، فعاشت على الاطراف ، واستمرت صلاتها بديارها الاولى الا أنها تركت المنطقة وفسحت المجال لظهور رياسة شمرية جديدة بعد ثلاثة قرون ، ويكون سعد راعي الذلول صاحب القصة المشهورة هو آخر أمير لهم في ديارهم لم يرض ، عن انتقال الشيخة ، فقال ما قـال وخـرج .

وبعد ثلاثة قرون من المجد المتواصل الذي بناه أمراء كرام من آل قشعم وعلى الرغم من استمرار صلتهم بديارهم الأولى، وبقاء أبناء عم لهم فيها، بدأ نجم أبناء عمومتهم الضياغم يظهر.

٦ ــ ظهــور آل جربا ، الذين أخرجهم الامام عبد الله بن سعود الى العراق بعد أن انتصر عليهم سنة ١٢٠٦ هـ . وهم أيضاً أبناء عمومه لآل القشعم . بالإضافة الى صلة رحم متواصلة بينهم .

٧ ــ خروج آل الجربا فسح المجال لأبناء عمومة القشعم القدامى الـذين عرفوا باسم الجعفر بالظهور ، فكـان لا بـد لبقايا القشعم المتواجدين معهم من الالتفاف حولهـم لأنهم أبناء عمومتهم ، فرسخت الإمارة في آل علي (عيسى بن علي تأمّر سنة ١٢٤٣ عنوان المجـد : ٢/٣٢) ثم انتقلت الإمارة الى آل رشيد وهم يلتقون في الأب الخامس مع آل علي ورشيد الذي لقبت به هذه الإمارة هو ابن خليل وخليـل وعلي اخوان وهما أبناء عطية ، وعطية من الربع ، والربع بطن من آل جعفر ، وجعفر بطن من عبـدة ، وقد تقدم هؤلاء آل قشعم من عبدة بحوالي ثلاث مئة سنة على وجه التقريب (انظر إمارة آل علي وآل رشيد في كتاب سليمـان بن صالـح الدخيـــل (القول السديد في إمـارة

آل رشيد)[1].

٨ ــ وبناء على كل ما مر فإن الحقيقة العلمية نؤكد فيما يلي:

أ ــ أن القشعم من أقدم شيوخ طيء التي عرفت بالعصور المتأخرة باسم شمّر ،وهذا من أسباب تلقيب ابن قشعم بشيخ الشيوخ كما أن لهذا اللقب سبباً آخر سنأتي عليه في حينه . إلا أنني سمعت كثيراً من الحكايات عن اجتماع كثير من الشيوخ في دواوين ملكية أو أميرية ، ووقوف ساقي القهوة محتاراً بمن يبدأ ولمن يعطي الفنجان الأول ، ويأتي الجواب من الشيوخ المجتمعين اعط ابن قشعم . وقد سمعت الشيخ ماجد به عقاب بن عجل في الرياض يخاطب الشيخ عبد اللطيف آل قشعم بقوله: أنتم شيوخنا .

ب ــ أن القشعم الذين خلفوا أبناء عمومتهم ظلوا مدة شايخين ، وأن سعداً المعروف براعي الذلول ، حين رأى الأمور بدأت تفلت من

---

(١) يقول سليمان الدخيل: (ان مؤسس الامارة (امارة آل رشيد) هو عبد الله بن علي بن رشيد بن خليل بن عطية من آل جعفر ، وان خليلاً كان أخاً لعلي ، جد آل علي) وقال د . عبد الله الصالح العثيمين في كتابه . (نشأة امارة آل رشيد) ص ١٩ تعليقاً على هذا النص: (لكن توجد ورقة عند السيد نايف آل علي في حائل ذكر فيها أن عبد الله هو ابن علي بن حمد بن رشيد بن خضير بن خليل بن جاسر بن علي بن عطية . وقد سمّى ابن بشر عم عبد الله جبر بن رشيد بن علي . انظر عنوان المجد ٣٠٠/١ . وما ذكره ضاري الرشيد نبذة: ٦٠) يتفق مع ما ذكر في الورقة المشار اليها سابقاً من التقاء الأسرتين في علي . لكنه يضع حمداً أبا لرشيد لا ابناً له. ويبدو أنه أقرب الى الصواب) . انتهى كلام د . عبد الله العثيين ــ قلت وسمعت كثيراً من شمّر يقولون قشعم وخضير أخوان . والله أعلم .

يديه ، وأن أبناء عمومتــه من الجعفر ، الــذين بدأوا يظهرون كقوة لا يستهان بها ، هاجر الى جنوب العراق حيث التقاء بادية السعودية مع بادية البصرة ، لاحقاً من كان سبقه حيث يجد القوة والمنعة .

جـ ـــ لم يخرج مع سعد أحــد من عشيرته ، فبقي القشعم في حايل ، والتفوا فيما بعد حول أبناء عمومتهم .

د ـــ المرجح عندي أن سعداً هذا غير سعد الوارد في نسب الأمير ثامر بن قشعم، فهذا من أعمامه، وذلك هو جد من أجداد ثامر، وهو أقدم زمناً، أو تاريخاً من سعد راعي الذلول. والله أعلم.

* * *

القسم في كتب التاريخ

١ ـ تاريخ ابن الفرات
ت. ٨٠٧هـ .

٢ ـ كلشن خلفا
نظمي زاده مرتضى . من رجال القرن الثاني عشر للهجرة .

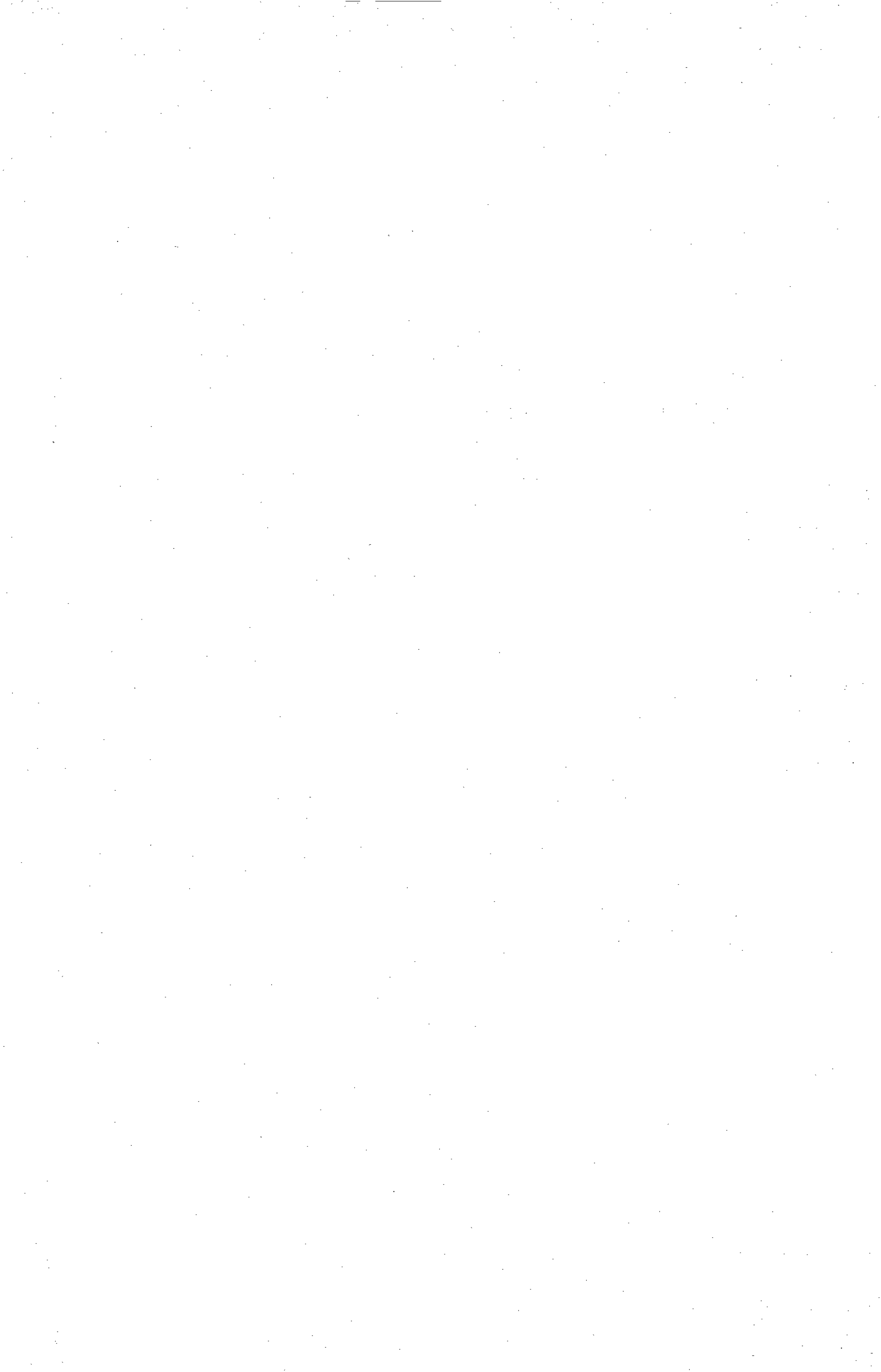
٣ ـ حديقة الزوراء
للسويدي ت ١٢٠٠ هـ

٤ ـ غاية المرام في تاريخ بغداد دار السلام
ياسين العمري ١٢٣٢ هـ

٥ ـ مطالع السعود
عثمان بن سند ت ١٢٤٢ هـ

٦ ـ دوحة الوزراء
رسول الكركوكلي ت ١٢٤٣ هـ

٧ ـ الدرر المفاخر
ابن بسام ١٢٤٦ هـ



تاريخ ابن الفرات [1]

أقدم نص تاريخي وقفت عليه ، وفيه ذكر شيخة لآل قشعم ، وتأمير لشيخهم ثامر بن قشعم ، كان في العشر الأول من شهر شوال سنة ٧٩٥ هـ الموافق آب ١٣٩٣ م .

جاء في معرض الحديث عمّن حضر الى الأبواب السلطانية بقلعة الجبل بمصر قال :

(في العشر الأول من شوال المبارك من شهور هذه السنة حضر الى الأبواب الشريفة بقلعة الجبل بمصر المحروسة رسل صاحب دهلك ، وأحضروا صحبتهم هدايا من جملتها فيل وزرافة وسنغيل وخدام ورقيق وغير ذلك ، وحضر الى الأبواب الشريفة ابن الغزولي [2] التاجر ورفيقه وأخبرا السلطان الظاهر أنهما توجها وبمرسوم السلطان الى ثامر ابن قشعم لأن السلطان قدرسم لهما بأن يتوجها إليه وصحبتهما خلعة ، فتوجها إليه وكلماه بسبب تعَيُّر ، وأنه أجاب ولبس خلعة السلطان ، وقال السمع والطاعة لله ورسوله ، ولمولانا السلطان ، وأنه من ساعته طلب عربانه وأحضرهم ، وأخبرهم بقصد السلطان ، وأمرهم بالرحيل

---

(١) ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات ت ٨٠٧ هـ . تحقيق د . قسطنطين زريق ود . نجلاء عز الدين ، المطبعة الأميركانية ١٩٣٨ . مج ٩/ج٢ : ٣٤٢ ـ ٣٤٣ .

(٢) سبقة ترجمته .

أولاً فأولاً فرحاوا الى جهـة نُعَيْر [1] فجازوا على أملاكه بالبصرة فاستولوا عليها ونهبوها).

ولا يمكن أن نمضي الى كتاب آخر ، دون أن نقف على أمر نُعَيْر مفصلاً كما جاء في الكتب التالية :

١ ـ كتاب السلوك [2] :

« في أخبار سنة ٧٩٥ هـ وفي تاسع عشرين جمادى الأولى قـدم محمد بن قارا ومملوك نائب دمشق على البريد بأن (منطاش) ، ونعير أمير العرب ، وابن بزدغان التركماني ، وابن أينال التركماني ، حضروا في عساكر كثيرة جـداً الى سلمية ، فلقيهم محمـد بن قارا على شيزر بالتراكمين ، فقاتلهم ، فقتل ابن بزدغان ، وابن إينال ، وجرح منطاش ، وسقط عن فرسه ، فلم يعرف لأنه حلق شاربه ، ورمى شعره ، ثم أنه أدركه ابن نعير وأردفه خلفه وانهزم ... » [3] .

وفي ثامن جمادى الآخرة ، قدم البريد بأن نعير بن حيار ومنطاش كبسا حماه في عسكر كبير ، فقاتلهم نائبي حماة وطرابلس ، فانكسرا ، ونهبت حماة ، وأن جلبان نائب حلب سار بعسكر الى أبيات نعير عندما بلغه ذلك ، وأخذ ما قدر عليه من المـال والخيـل والجمال ، والنساء والأطفال ، وأضرم النار فيما بقي ، وأكمن كميناً ، فما هو إلا أن سمع نعير بما نزل ببيوته رجع إليهما بجماعتـه ، فخرج الكمين ، وقتـل من العربان وأسر كثيراً .

---

(١) مرذكره وترجمنا له

(٢) السلوك ج ٣ قسم ٢/٧٨٢ ـ ٧٨٢ طبعة دار الكتب القاهرة ، ١٩٧٢ م

(٣) راغب الطباخ، الطبعة الأولى ١٣٤٤ هـ ـ ١٩٢٥ م ج ١٤٧/٥ ـ ١٤٨ .

وقد استطاع أمير حلب جلبان أن يقنع نعير بالقبض على منطاش ، وكان مقيماً عند نعير ، وقد التزم له الأمير بإعادة إمرة العرب ، فقبض على منطاش وسلمه لأمير حلب ، فوفّى له الأمير جلبان وأكرمه ، وتشفع له عند السلطان بالقاهرة .

٢ ــ أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء

وقال صاحب أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء[١]: «نعير بن جبار يضبطه بالجيم ، أمير آل فضل المتوفى سنة ٨٠٨ هـ ، ولي الأمر بعد أبيه ودخل القاهرة ، مع يلبغا الناصري ، ولما عاد الظاهر من الكرك رافق نعير منطاشاً في الفتنة الشهيرة ، وكان معـه لما حاصر حلب ، ثم أرسل نعير نائب حلب إذ ذاك كمشبغا في الصلح ، وتسلمه منطاش ، ثم غضب برقوق على نعير وطرده من البلاد ، فأغار نعير على بني عمه الذين قرروا بعده ، وطردهم ، فلما مات برقوق أعيد نعير الى إمرته ، ثم كان ممن استنجد به دمرداش لما قدم اللنكية ، فحضر بطائفة من العرب ، فلما علم أنه لا طاقة له بهم برح الى الشرق ، فلما برح التتار رجع نعير الى سلمية ، ثم كان ممن حاصر دمرداش بحلب ثم جرت بينه وبين الأمير جكم وقعة فكسر نعير ، ونهب وجيء به الى حلب فقتل في شوال سنة ثمان وقد نيف على السبعين ، وكان شجاعاً جواداً مهيباً ، إلا أنه كثير الغدر والفساد وبموته انكسرت شوكة آل مهنا ... »[٢] .

وهذا النص يوضح سبب غضب برقوق على نعير فقد خاض في فتنة ضد الدولة ، فغضب عليه برقوق فطرده ، ووضع بدلاً منه ثامر

(١) راغب الطباخ ، ج ٥/١٤٧ ــ ١٤٨

(٢) السخاوي ، الضوء اللامع ج ١٠ ص /٢٠٣ ــ ٢٠٤ القاهـرة ، باب الخلق مكتبة القدسي ، ١٣٥٥ هـ .

ابن قشعم ، قال ابن الفرات : « وحضر الى الأبواب الشريفة ابن الغزولي التاجر ورفيقه وأخبرا السلطان الظاهر أنهما توجها بمرسوم السلطان الى ثامر بن قشعم لأن السلطان قد رسم لهما بأن يتوجها إليه وصحبتهما خلعة ، فتوجها إليه ، وكلماه بسبب نُعَيْر ، وأنه أجاب ولبس خلعة السلطان . وقال : السمع والطاعة لله ورسوله ، ولمولانا السلطان ، وأنه من ساعته طلب عربانه وأحضرهم ، وأخبرهم بقصد السلطان ، وأمرهم بالرحيل أولاً فأولاً .

فرحلوا الى جهة نُعَيْر ، فجازوا على أملاكه بالبصرة ، فاستولوا عليها ونهبوها » [1] .

ومن هذا النص ، وما سبقه تتوضح لـدينا الصورة التاريخية ، فنُعَيْر اشترك بفتنة ضـد الظاهر برقوق وجار عـلى حماه وحمص ، وعاهد ثم غدر ، ثم عاهد ثم نكل وغدر فغضب عليه السلطان ، وطرده من البلاد ، ويظهر أنه ترك السلمية الى البصرة ، وهناك تم التجاوز على أملاكه ، ونهب أمواله ، فالنص يذكر أنه (برح الى الشرق ، فلما برح التتار رجع نعير الى سلمية) .

٣ ـ الضوء اللامع :

قـال السخاوي في نعير ، ثم سمّاه وعرفه ، وتابـع يقول : ولي الإمرة بعد أبيه ، ودخل القاهرة مع يلبغا الناصري ، ولما عاد الظاهر من الكرك ، وافق نعير منطاشاً في الفتنة الشهيرة ، وكان معه لما حاصر حلب

(١) تاريخ ابن الفرات مج ٩/ج٢/٣٤٢ ـ ٣٤٣ .

(٢) راغب الطباخ ، ج ٥/١٤٧ ـ ١٤٨

ثم راسل نعير نائب حلب إذ ذاك كمشبغا في الصلح وسلمه منطاش ثم غضب برقوق على نعير ، وطرده في البلاد فأغار نعير على بني عمه الذين قرروا بعده ، وطردهم ، فلما مات برقوق أعيد نعير الى إمرته ، ثم كان ممن استنجد به دمرداش لما قدم اللنكية ، فحضر بطائفة من العرب ، فلما علم أنه لا طاقة له بهم نزح الى الشرق ، فلما نزح التتار رجع نعير الى سلمية ، ثم كان ممن حاصر دمرداش بحلب ، ثم جرت بينه وبين الأمير جكم وقعة فكسر نعير ، ونهب ، وجيء به الى حلب ، فقتل .. » .

وهكذا يؤكد السخاوي عزله ، ومحاربته مع بني عمه ، كما يؤكد نزوحه الى الشرق ، شرق البادية السورية (بلاد الشام) سيكون في البصرة وشمالها .

وكذلك يؤكد النص أنه عاد إلى إمرة العرب بعد موت الظاهر برقوق ، وهذا يعني أن مدة إمارة ثامر بن قشعم استمرت من سنة ٧٩٥ هـ — ٨٠١ هـ ثم عاد نعير الى أن توفي سنة ٨٠٨ هـ . إلا أن الأمر لم يكن إجماعاً كما يبدو . فقد ظل ثامر في قبيلته وعربه شيخاً ؛ حتى بعد مقتل نعير .

٤ — صبح الأعشى :

قال القلقشندي : محمد بن حيار بن مهنا ، وهو نُعير، وقعت منه نفرة في دولة الظاهر برقوق ، فولّى مكانه بعض (آل زامل) ، ثم أعيد نعير المذكور الى إمرته ، وهو باق على ذلك الى الآن .. » [1] .

---

(١) صبح الأعشى ج ٨/٤ ب المطبعة الأميرية ، ١٣٣١ هـ — ١٩١٣ م .

في هذا النص شيء جديد ، وهو مهم جداً ذلك قول القلقشندي (فولى مكانه بعض آل زامل) ونص ابن الفرات يؤكد تولية ثامر بن قشعم لكن لا يذكر اسم قبيلته ، وذكره بلفظ ابن هـذا يعني أنه ابن حمولة ، وابن قبيلة كبيرة ، وقد قال كوركيس عواد في كتابه مباحث عراقية ، حين تقول : ابن قشعـم فكأنك تقول : ابن الصباح أو ابن سعود أو ابن سويط •

ونحن مرة أخرى أمام السؤال المهم ، هل آل زامل [1] هم عرب ابن قشعم ؟ •

ونستنتج من هذا النص عدة أمور ، أهمها :

١ ـ أن الملك الظاهر اختار الأمير ثامر بن قشعم دون غيره من أمراء العرب ، لمحـاربة أمير آل فضل نُعَـيْر محمد بن حيار بن مهنا وكان هذا الأخير قد ثار عدة مرات على الملك الظاهر •

٢ ـ أن ثامر بن قشعم هو أول أمير من آل قشعم يتأمر بمرسوم سلطاني ، فيتسلم المرسوم من رسول الملك ، ويلبس الخلعة السلطانية •

٣ ـ أن آل قشعم هم الـذين كانو مع الظاهر برقـوق ضد آل مهنا أمراء الفضول ، لأن الأمير نُعَـيْر كان يسكن في السلمية من أعمال سورية بالقرب من مدينة حماه ، وأن آل قشعم سيروا عربانهم

(١) آل زامل في الأصل من الكثران من بني لام • انظر أنساب العرب لسمير عبد الرزاق قطب ص ١٦٤ ومنهم في منطقة جلاجل • فهم ليسوا من القشعم ، كما أن آل زامل أبناء عمومة نعير وهم المقصودون هنا •

لحربه في نهاية ممتلكاته الجنوبية في البصرة وباديتها ، واستمرت الحرب بينهم الى أن جرت بينه وبين الأمير (جكم) الوقعة التي كسر فيها وجيء به الى حلب ، فقتل فيها [1] •

٤ ــ أن بداية رحيل عرب ابن قشعم الى البصرة ، وباديتها ، بل الى جنوب العراق ، كان جماعياً ، وأنه كان بأمر من الأمير ثامر •

★ ★ ★

---

(١) يمكن الرجوع الى : الضوء اللامع ١٠/٢٠٣ ، اعلام النبلاء ٥ : ١٤٧ ، صبح الأعشى ٤/٢٠٨ ، الأعلام مج ٦/١١١

٢ ـ كلشن خلفا

ورد ذكر آل قشعم في هذا الكتاب ضمن أخبار سنة ٩٥٣ هـ . وأخبار سنة ١١١٨ هـ . ويذكر آل قشعم ، وأنهم تمردوا على والي بغداد التركي [١] ، فسار الوزير إياس باشا إليهم ، وهو في طريقه الى البصرة ، فقضى على تمردهم . وجاء ذكرهم في سنة ١١١٨ هـ حين تمرّدت غزيّة على العثمانيين ، وهي من القبائل التابعة لآل قشعم . قال المؤلف :

« ومما ذكره المؤرخون أن المهندسين وذوي الخبرة كانوا قد قرروا بعدم إيصال الماء الى قصبة كربلاء من نهر الفرات ، ولكن بكرامة الإمام الهمام ، ويُمن إقبال السلطان جرى النهر ، وانكشف كذب أقوال أولئك الذين قرروا استحالة ذلك .

ثم هزّه الشوق الى التبرك بأنوار الراقد في أرض النجف الأشرف والذي مدحه الرسول بقوله : لا فتى إلا علي ، وبقوله : يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى ، الحيدر الكرّام كرّم الله وجهه ، فتوجه الى البلدة المذكورة ، وحظي بالزيارة ، وأنعم على الأهالين بالخيرات الوافرة ، ووصلهم وأحسن إليهم ، فكانوا له من الشاكرين ، ثم عطف عنانه ، وعاد الى دار السلام باليمن والإقبال .

(١) والجدير بالذكر أن ثورتهم هذه التي سماها المؤرخ تمرداً تعتبر من الثورات المبكرة في العالم العربي على حكم العثمانيين .

وفي اليوم الثاني عشر من شهر رمضان من السنة نفسها تحرّك ركابه العالم نحو أذربيجان ، ولما اقترب من مقر الشاه ، توارى منه أيضاً بين الجبال فاستولى على تبريز بغير حرب ، وهناك تواردت عليه رسل الشاه تتوسط في عقد الصلح وتضرعوا إليه ، فقبل التماسهم ، وعندئذ انطفأت شرارة الفتنة ، وهدأت العاصفة ، ثم تحرك موكبه نحو الروم .

وعندما كان السلطان في بغداد عرض عليه حاكم البصرة راشد ولاءه وطاعته كما ذكرنا ولكنه نقض عهده بعدئذ وأخلف وعده فأوعز الى وزيره إياس باشا بوجوب اتخاذ ما يقتضي بحقه ، فجمع قواته ، وتحرك بهافي بداية سنة ٩٥٣ هـ . وفي طريقه زار الروضة الرضية لفاتح خيبر ، وفي هذه الظروف رفع شيخ آل قشعم راية التمرّد ، فمال عليه ، وقضى على فتنته ، ثم واصل سفره الى البصرة ، ولما التحم بقوات راشد، لم تتمكن من الثبات أمامه ، وولت الأدبار ، فدخل البصرة منصوراً .

ولمادخلت سنة ١١١٨ هـ خرجت عشائر شسّر عن الطاعة ، وراحت تعبث في الأرض فساداً ، ثم تبعتها بقية العشائر الكائنة غربي نهر الفرات ، وكثرت تعدياتهم وقطعوا الطريق ، فتحرك الوزير على رأس قوة من قوات بغداد ، وعبر نهر الفرات واتجه نحو تجمعاتهم ثم هجم عليهم فمزّقهم وشردهم في البراري ، وعاد غانماً منصوراً .

وفي السنة المذكورة أيضاً تمرّدت عشيرة غزيّة التابعة لشيوخ آل قشعم ، وانبرت تقطع الطريق ، وتسلب الرائح والغادي في بادية السماوة والرماحية ونهر الشاهي . وكثر توارد الشكاوي من أعمالهم ، فاتجه الوزير نحوهم وأحاط بهم وظلّ يحاربهم لمدة ثلاثة أيام أو أربعة أيام ، مزق خلالها شملهم وشتت جمعهم ، وأسر اثنين من شيوخهم ، ثم عاد الى بغداد .

أما عشـيرة شمّر المار ذكرها ، فإنه بعـد ما كانت تتجول شرقاً وغرباً وتقضي أيامها في النهب والسلب فقد عادت الى صوابها ، وسلكت طريق الرشاد ، وعاشت هي وأفخاذها وشيوخها بهدوء وسكون .

وعند حلول سنة ١١١٩ هـ تحركت عشـيرة زبيـد وجمعت رجالها ، وراحت تعتـدي عـلى القرى الآمنة ، وتغلبت عـلى الباشية والسيب والأهوار ، وشتت سكان هـذه الأمكنة ، واستولت عـلى مزارعهم ، وخربت بيوتهم ، وأكثرت من قطع الطريق ، وكثيراً ما كانت تتغلب على الحملات العسكرية التي يرسلها الولات عليها .

ولما بلغت أعمالها حداً لا يمكن السكوت عليـه ، توجه الوزير نحوها وراح يطاردها من مكان الى مكان حتى مزقها وقتل قسماً من رجالهـا ، وفرّ الباقون . وعـاد سكان القرى الى أراضيهم آمنـين مطمئنين ، وقد أمرهم الوزير بكري أنهرهم المباشرة بالزراعة والتعمير ، ثم عاد .

ويمكن استخراج عدة نتائج من هذا النص بالنسبة لبحثنا .

١ ــ النقطة الأولى أن القشعم ثاروا سنة ٩٥٣ هـ على العثمانيين . إلا أننا لم نقف على ذكر أميرهم ، لأن المؤلف لم يذكره مع الأسف .

٢ ــ أن عشيرة غزيّة كانت تابعة لشيوخ آل قشعم .

٣ ــ أن قبائل شمّر وزبيد كانت تثور باستمرار ضد العثمانيين ، لكنها جميعاً بما فيها قبيلة القشعم تُذْكَر على أنها تمرّدت ، أو خرجت عن الطاعة الى آخر المصطلحات التي يكتبها باحث ينظر الى موقف القبائل العربية من الدولة العثمانية ، على أنه تمرّد وخروج عن الطاعة .

٣ ـ تاريخ بغداد[1]

(حديقة الزوراء في سيرة الوزراء)

يأتي ذكر القشعم هنـا مرتبطاً بالوزير علي باشا الـذي كان قد أصدر أمراً حكومياً بعزل الشيخ عبـد العزيز بن حبيب آل قشعم ، وتنصيب أخيه شبيب بن حبيب . فقد كان الوزير علي باشا خرج لحرب بعض القبائل التي امتنعت عن دفع ما بذمتهـا من الضرائب والرسوم الأميرية ؛ وظل مدة طويلة يطاردهم حتى شفاثة . ثم جاء الوزير حسن باشا فأبقى على شبيب شيخاً على آل قشعم ، وخاض حرباً شديدة مع قبائل غزية ، وحميد وساعده ، ورفيع الذين كانوا يتبعون آل قشعم ، ولكنهم سرعان ما ثاروا عليهـم وعلى والي بغـداد . قال السويدي في كتابه المذكور :

(وانصدعت صخرة الائتلاف،وأتى لشكاته الحال شيخ القشعم شبيب، وسائر الاعراب،من فعل آل غزية الاشرار الانذال،وأن آل حميد وآل ساعدة وآل رفيع[2] أغاروا على أموالهم ومواشيهم ، ووضعوا كل رفيع، وانهم

---

(١) تأليف عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسين السويدي ١٢٠٠ هـ ـ ١٨٠٥م نشر بتحقيق الدكتور صفاء خلوصي الأستاذ بجامعة بغداد . ص/٤٣ ٤٤ ـ ٤٥ .

(٢) هنا يخطيء لو نكريك في نقل الاسماء « ص ١٢٥ » فقد وضع أسماء ←

خرجوا عن خطـة الانقياد وأفسدوا في البلاد ، فلما بلغ الوزير هـذه الشكاية ، ونكاية الاعراب هـذه النكاية بقي بين مصدق ومكـذب ومسفه رأي شبيب ومصوب الى أن أتاه من ضابط الحلة رقعة تتضمن أخبار أولئك المفسدين في تلك البقعة وان خبره طبق خبر شبيب ، وان ما نصـح الوزير به نصـح حبيب قريب ، فلمـا حقق المظفـر الخبر وتوضح عنده الأثر أرسل الى عربان الشامية من كل مسالم ، وأمرهم بالرحيل الى الحلة لكـل مقاوم ، فامتثلوا ما أمر ، وقصدوا الحلة على الأثر • ثم ان الوزير ركب جواد العزم ، واحتزم بمنديل الحزم ، وسار بعساكره وجنوده ووافق ركوبه طالع سعوده • ووصل الى قرب الحلة ، وحط هناك رحله ، ريثما سقوا الخيل الماء ، وأكلوا بعض الغـذاء ، وعبر الفرات على جسر الفيحاء ، وقصد تلك الجهات الاعداء ، وطفق يطوي شقة البوادي ، سائلاً عنهم كل ظاهر وبادي ، ثم لما علم بقربه من مكان غزيه الاشرار سارع قبل أن يصلهم [1] الانذار ، وانتخب من تلك العساكر ، مقدار ألف فارس جاسر ، ثم انه انتخب من أغواته [2] الرجال ، وخواص خدامه الأبطال رجلاً رأسه على مقدار من جنوده وعقد له لواء من بنوده وأرسله على ساعده ، ودعا الله أن يكون ناصره ومساعده [3] •

←

حميد « بفتح الحاء » وسعادة وآل رافع بدل حميـد « بضم الحـاء » وساعده وآل رفيع على التوالي ، اذ أن الالفاظ المذكورة مشكولة في حديقة الزوراء « كما » الاصل انما • « ٤ » الاصل المضهر ، وللعلم فان هذه القبائل عربية أصيلة وليس كما وصفهم السويدي •

(١) نهاية الصفحة ٥٠ من المخطوط •

(٢) الاصل أقواته •

(٣) آثرنا أن ننهي الفقرة هنا ونبدأ بما يليه فقرة جديدة

ثم أن الوزير سار بما انتخب ، واشتد عليه الحزم فلج في الطلب ؛ فلما أشرف على ديارهم ، رآهم ذاعنين [1] لإنذارهم ، وان رحيلهم كان صبح ذلك اليوم ، فعلم أنه يدرك القوم ، إذ سيرهم بالاثقال غير بعيد ؛ وان سيرهم على خمس عشرة [2] ساعة لا يزيد ، فشن الاغارة عليهم كل الليل ، الى أن كادت أن تقصر الخيل ، فلما بدا الفجر كذنب السرحان ، وظهرت حمرة الغسق كالارجوان أبصر جموعهم وشاهد ربوعهم فلما أيقن الاعداء بالهلاك ، وقفوا للقتال نادمين على تلك الافعال وكان قصدهم أن يشغلوه [3] بالهجاء حتى يبعد ضعنهم في البيداء وتسلم أموالهم ، ثم تهرب رجالهم ، لكنهم لم يستقروا إلا نهى جذب المهند عن جفنه ، وفتح المسهد جفنه عن جفنه ، وغدوا طعمة للسيوف وأكلة للحتوف ، وغرق أكثرهم في الفرات ، وصار أكلة للآفات ؛ واغتنت العساكر الخيل والاغنام ، والجمال والخيام والغيد الحسان والبنات والصبيان ، وجمعت أمام الليث [4] الجسور والاسد الغيور ؛ فأطلق النساء كما هو السابق من عاداته ، والغالب عليه في جميع غزواته؛ ثم قدم عليه العسكر الذي أرسله الى ساعدة الخذلان وآب من سفره الجند المرسول الى تلك العربان منصوراً محبوراً مسروراً بالغنائم [5] محبوراً ، ثم ان الوزير أرسل الفيء والغنيمة بعد اطلاق النساء الى قصبة الحلة الفيحاء ، ثم عطف عنان الرجوع وسار بتلك الجموع ،

---

(١) الاصل ضاعنين .

(٢) الاصل خمسة عشرة .

(٣) الاصل قصدهم يشغلوه .

(٤) الاصل الغيث

(٥) نهاية الصفحة ٥١ من المخطوط .

فلما وصل الرماحية ظفر بشيخ بني حميد رأس هذه القضية ولم يكن في البال ولم يدر له حال ، ولكن السعد والإقبال ظفره بأولئك الانذال وبشيخهم أبي لهب نجس العقيــدة ... فكم خرب معموراً وكم هتك ستوراً في زمان استناده الى سلمان واعتماده عليه في زمان فلما كسرت سورة حمية ذلك الفاجر ، بهنداوية [1] الملك الناصر طلب هذا الكلب أماناً وحلف أن لا يعود وغلظ أيماناً ولكنه كما قال الشاعر [من السريع] :

والشيــخ لا يترك أخــلاقه حتى يوارى في ثرى رمســه

فعادت جملته واقتضت جبلته أن خرج عــلى ربقة الانقياد وشرع في العصيان والفساد وتغلب عــلى القرى والضياع ومنــع الزراع عن الانتفاع فلــم يشعر الخسيس الملعون إلا والخميس أحدق بالحصون وأغارت عباد الله بكل بتار عضب [2] وقبضوا عــلى الشيخ السعل [3] الصعب وأغلوا الى عنقه يديه وقتلت رجاله وأسرت عياله ونهبت أمواله وبؤست أحواله ثم ان الشهم الباسل أمّر شيخ القشعم شبيب على ألفي فارس وأرسله الى هور نجم بكل بطل حارس لتأديب آل معدان حين نجم منهم العصيان فأغاروا من محلهم ودخلوا الهور بكلهم وهجموا على أولئك العصاة [4] وأحدقوا بخيام الطغاة البغاة ودارت الحرب بينهم قدر ساعة ثم افترستهم تلك الجماعة واغتنموا الاموال وقتلوا الرجال

---

(١) الهندواني نسبة الى الهند وهي نسبة شاذة .

(٢) العضب السيف القاطع .

(٣) الاصل السعد .

(٤) الاصل العصات .

ولحقوا بالوزير [١] في أهنأ حال [٢] . فلله دره مـن بطل مغوار طأطأ رؤوس أولئك الفجار ، ولا يبعد لو قيل كفار ، لاستحلالهم السفاح ، وترك غالبهم النكاح ، يقتلون من يقول : « ربي الله » من غير ما ذنب جناه ، ويقطعون الطرقات ، ويشنون الإغارة في سائر الجهات ، سالين سيف الاغتنام ، الصادق عليهم حديث من شهر حساماً بين الاسلام ، وقد ملأت أخبار فسادهم الدفاتر ، وجفت لعد مفاسدهـم الاقـلام ، ويبست المحابر ، فلا حاجة الى اطلاق عنان الاقلام ، مـع أن المقصود ذكره سيرة هذا القمقام .

ثم ان دليل الوزير قد ضـل [٣] ونجم سعد الخريت [٤] كاد أن يأفل ، فأضلوا الطريق وخبطوا في البيـداء خبط راكب عمياء في ليلة ظلماء ، فلما نشر الصباح أعلامه ، وشاهدوا وهاد ذلك البر وآكامه بان لهم شيء كالفلك الاطلس ، ألا وهو [٥] قبة ذي الشرف الأنفس ، ليث بني طالب ، مولانا [٦] أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، فازداد حبور الوزير ، لاغتنامه زيارة ذلك الهمام الكبير ، وعفا [٧] عن جرم الدليل ،

---

(١) الاصل في الوزير .

(٢) نهاية الصفحة ٥٢ من المخطوط .

(٣) الاصل ظل .

(٤) الخريت الدليل الحاذق الذي يهتدي الى أخرات المفاوز وهي مضايقها وطرقها الخفية .

(٥) الاصل الا وهي .

(٦) الاصل مولينا .

(٧) الاصل عفى .

وقصد زيارة ذلك الفضيـل ، ولما قضى من الزيارة مأربه [1] وأوطاره نهض الى حلة دبيس بن مزيد [2] ، وشد اليها رحله ، وأعـد وبات فيها ليلة للاستراحة ، ثم قام وصير الى جهة بغـداد رواحه ، وأشرف عـلى الدورة وقت الضحى ، ثم دخـل دار السـلام واستر لقدومـه الخاص والعام •

أهم ما نستنتجه في نص السويدي ، هو تلاحم الأمير شبيب بن حبيب آل قشعم مع الوزير حسن باشا والي بغداد ، فقد استقبل الأمير شبيب في بغداد ، وقد كان زاره لمشكلة العرب الذين ثاروا عليه وعـلى عربه ، أي أنهم ثاروا على الوالي لأن شبيباً كان قد تعين من قبل حكومة بغـداد ، ثم جاءت الأخبار تؤيد شكاة شبيب ، فسار الوزير بجيشه ، ومعه شبيب •

ثم انتصر على القبائل ، وأرسل الفيء والغنيمة الى قصبة الحلة ، حيث كان عرب القشعم أيضاً • ثم أمّر الشيخ شبيب على ألفي فارس وأرسله الى هور نجم لتأديب آل معدان ، وكانت النتيجة نصراً ساحقاً حققه الشيخ شبيب ، قتلوا الرجال ولحقوا بالوزير •

ونستنتج من متابعة شيخ آل قشعم للوزير أنه لحق به الى بغداد ومعه عربه وجيشه • ولو عدنا الى نص الشيخ رسول الكركوكلي في

---

(1) الاصل مثاربه •

(2) هو من أسد ، وقد ملك بنو مزيد بقعة غربي دجلة بين البصرة وهيت غرباً والى حدود خوزستان جنوباً وشرقاً •

كتابه (دوحة الوزراء) وتذكرنا قوله بانقسام القشعم الى قسمين لخرجنا برأي مفاده أن الشيخ شبيب بقي مع الوزير ، بينما بقي الشيخ عبد العزيز مع عربه ، ويبدو أن في الأمر خطأ ، فالذي ذهب الى الصخري مع عربه (هو الشيخ عبد العزيز) [1] والله أعلم .

وهذا النص يوضح أسماء المشايخ الذين شاخوا من أولاد حبيب، فالأول ــ لم يذكر هنا ــ هو ناصر بن حبيب، وهو المعروف بالمشورب، والثاني هو عبدالعزيز، والثالث هو شبيب.

* * *

(١) ويبدو أن سبب عزل الأمير عبد العزيز بن حبيب هو رفضه المسير قائداً للعرب في غزوة الاحسا فهو لايريد أن يغزو الحسا.

٤ ـ غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام [١]

تعرض هذا الكتاب لذكرهم ضمن أخبار سنة ثمان وثلاثين ومئة وألف هجرية ، قال :

وفي سنة ثمان وثلاثين أظهر العصيان عرب شمر فبعث كتخدا سليمان باشا بالعساكر وحاصرهم ثم تسلق الجبل وتبعته العساكر حتى صعد الى أعلى الجبل [٢] ووضع السيف في العصاة من شمر فما أحد منهم تخلص وتشمر ونهب الاموال وأسر الرجال ثم عفى عنهم عند طاعتهم ومقدرته عليهم وعاد الى بغداد وقد قتل في تلك الوقعة من العسكر نحو ستمائة ، وفي هذه السنة عصى أمير قشعم محمد بن مانع فحاربه والي البصرة عبد الرحمن باشا وقتل ونهب حتى ذل الامير وخضع الكبير فطلبوا الأمان فعفى عنهم بأموال كثيرة ، وفي سنة تسع وثلاثين عزم أشرف خان شاه العجم على أخذ بغداد فتلقاه الوزير أحمد باشا وقبل وصوله فتر عزم الشاه ورجع عن قصده ومناه ، وفي سنة أربعين أرسل أشرف خان هدية للسلطان مطلع الصالح [٣] وأرخ ذلك ملا قاسم الرامي الموصلي فقال والصلح خير بالاسلام ، وفي سنة إحدى

---

(١) تأليف الشيخ ياسين خير الله العمري الخطيب الموصلي توفي ١٢٣٢ هـ ، نشر دار منشورات البصري ، بغداد ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨ م • ص ١٧٩ ـ ١٨٠ ـ ١٨١ •

(٢) لاندري أي جبل يعني ؟ •

(٣) في الأصل : مطلع الصالح والملائم : يطلب الصلح •

وأربعين نقض الصلح أشرف خان وقصـد بغـداد فالتقاه أحمد باشا صاحب السداد وكان عسكر الشاه مائة ألف وعسكر بغداد عشرين ألف فنصر الله أحمد وخذل الشاه وفرق جمعه وهرب وقتل منهم خلق كثير ومن سلم هرب ذليل وحقير وغنم عسكر بغداد وعاد منصوراً الى بغداد فلما رأى الشاه ما خل به أرسل فيلاً للسلطان أحمد واعتذر من غدره وأرخ ذلك الشاعر حسن عبـد الباقي بقصيدة طويلة والتاريخ (والشاة قد سد باب المات [1] بالفيل) وفي سنة اثنين وأربعـين عصى سعدون بن محمد بن مانع أمير قشعم فبعث أحمد باشا كتخداه سليمان باشا بالعساكر ونهبهم واستولى على أموالهم وهرب سعدون ومن سلم من قبيلته وعاد سليمان باشا الى بغداد ، وفي هذه السنة غضب أحمد باشا على زمرة (الاوطزبير) [2] ونفاهم من بغداد فقدموا الى الموصل وعملوا صفة [3] كعادتهم وصاروا أهل باب العراف منهم بجملتهم ، وفي هـذه السنة مات أشروخان [4] وملك بعـده الشاه طهماسب وفي سنة أربع وأربعين أرسل أحمد باشا متسلم ماردين محمد أفندي بالعساكر الى حرب قبيلة الطيبين [5] وهم في قرية المحلبية قرب الموصـل فنهبوهم وقتلوا أكثرهـم ، وفي سنة خمس أوربعـين قدم الى بغـداد نادر شاه

---

(١) العامة تدخل (الـ) الموصولة على الماضي والرمز الى مصطلحات الشطرنج • قلت والمؤلف أخطأ بذكر سعدون بن محمد بن مانع فهو من أمراء السعدون لا شك في هذا •

(٢) الاوطزبير من مراتب الجيش وفي الأمثال : صار بالاطزبير .

(٣) تكررت هذه الكلمة في الكتاب ومعناها غامض •

(٤) كذا في الأصل ولا أتذكر الاسم •

(٥) كذا في الأصل ولعله يعني قبيلة طي والنسبة العامية طياوي.

طهماز [1] وحاصرها وحدث بها الغلاء ثم أرسل طهماز سرية مع نركزخان الى الموصل فحاربوه وقتل نركز خان وكثير من الأعجام ومن سلم هرب الى بغداد ورحل طهماز عن بغداد ، وفي سنة ست وأربعين أرسل عسكراً مع أحمد كهيه فعبروا الزاب ونهبوا قرايا اليزيدية من أعمال الموصل فتبعهم والي الموصل الوزير الحاج حسين باشا الجليلي واستولى على ما نهبوه وأعادوه الى الرعية ، وفي سنة ثمانية وأربعين تفي من بغداد زمرة « الاكرمي يدي » [2] فقدموا الى الموصل وعملوا صفّة [3] كعادتهم وانتسب اليهم كثير من أهل الموصل وفي هذه السنة وقيل بالتي قبلها عزل من بغداد الوزير أحمد باشا وولي مدينة أزروم وولي بغداد الوزير اسماعيل باشا ، وفي سنة تسع وأربعين ولي بغداد الوزير الأعظم سابقاً سلحدار محمد باشا ووالي مدينة أورفه الوزير أحمد باشا فأقام بها أياماً وعزل من بغداد سلحدار محمد باشا ، فعاد الى بغداد أحمد باشا قبل أن يولوه إياها ثم أرسلوا اليه المنشور بولاية بغداد وفي طريقه قبض على أمير بني حمدان وصلبه ، وفي سنة خمسين سار من بغداد بالعساكر وحارب عرب قشعم فهرب أميرهم صقر وغنم عسكر بغداد وحمى أحمد باشا بيت صقر من النهب ثم صالحه وعفى عنه ومدح أحمد باشا أحد الفضلاء السيد عبد الله أفندي فخري زاده بقصيدة طنانة منها قوله مضمناً .

---

(١) طهماز تعني طهما سب نفسه ولا علاقة لها بلفظ نادر شاه والغالب على السنة العامة طهماز مكان نادر شاه .

(٢) هذا رمز عسكري كالذي سبق ومعناه (٢٧) .

(٣) سبقت كلمة (صفة) وهنا نجد في المخطوط شدة على الفاء .

عقـاب الوغى لما بـــدا طار صقرهـــم

لدى [1] حيث ألقت رحلهـا أم قشعـم

من هذا النص الذي جاء في غاية المرام ، نستنتج الأمور التالية :

١ ـ أن أمير القشعم سنة ١١٣٨ هـ هو محمـد بن مانع الذي تحارب ووالي البصرة عبد الرحمن باشا . وهذا الأمير لأول مرة نقف عـلى اسمه ، بالنسبة لي ، وما أدري إن كان اسمه محفوظاً في أذهان آل قشعم .

٢ ـ أن أمير القشعم سنة ١١٤٢ هـ سعدون بن محمد بن مانع . وهذا الأمير جديد عليّ أيضاً وهو ابن الأمير السابق، وأخشى أن يكون المؤرخ خلط بين سعدون القشعم، وآل سعدون، وأكاد أقطع أن المذكور من آل سعدون، وهذا خطأ من المؤرخ رحمه الله تعالى، وقد نبّه الى هذا يعقوب سركيس في (مباحث عراقية) أيضاً .

٣ ـ هذا النص يغطي مرحلة كانت غامضة ، وهي تمتد من سنة ١١٣٨ ـ ١١٥٢ هـ وهي تتحـدث عن حروب مستمرة بين آل قشعم وعربانهم من جهة ، والولاة في بغداد والبصرة من جهة أخرى .

٤ ـ ويذكر النص الأمير صقر ، وأنه كان أميراً على القشعم سنة ١١٥٠ هـ وهي في حساب الجمل ١١٥٢ هـ . وأنه كان صاحب مقـام كبير وشان ، وأن والي بغداد أحمد باشا سار بالعساكر ، وحارب عرب القشعم وكسرهم ، ولكنه حمى بيت صقر من النهب لمكانته وعفا عنه .

---

(١) كذا في الأصل والصواب الى . وأما تاريخ الواقعة فيبدو أنها وقعت سنة ١١٥٢ هـ وليس سنة ١١٥٠ لأنها محسوبة بحساب الجمل .

٥ ـ مطالع السعود

مطالع السعود في أخبار الوالي داود، تاريخ العلامة الشيخ عثمان[1] ابن سند ، نسخة مخطوطة قدمها الشيخ حمد الجاسر أطال الله عمره ، وأحسن له في الدنيا والآخرة لأنه سند لأهل العلم يقدم ما عنده بكل سخاء . وهي نسخة مصورة عن نسخة في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد، في ص ١٢٧ من المخطوطة يتحدث عثمان بن سند عن أخبار سنة ١٢١٤ هـ ، قال :

وفي هذه السنة أقبل عبد الله أغا متسلم البصرة الى بغداد فأكرمه الوزير سليمان وأرجعه الى البصرة متسلما وفيها تولى قضاء البصرة عبد الله الرحبي ثم البغدادي الحنفي وتأتي ترجمته بعد ذلك وفيها اغار عنزة على الدليم (بضم الدال المهملة وفتح اللام بعدها ياء مثناة تحتية ساكنة) قبيلة كبيرة لم أطلع على نسبهم فان اطلعت عليه بعد هذا ذكرته في بعض المناسبات ومع هذا ذكرته في بعض المناسبات ومع هذا سمعت من العوام أنهم ينتسبون الى حمير ومرة أسمع أنهم من كهلان ولما غنم العنزيون منهم ومن غيرهم من عرب العراق أمر الوزير شيخ العنزيين

---

(١) عثمان بن سند النجدي الوائلي ١١٠٠ ـ ١٢٤٢ هـ ، ١٧٦٦ ـ ١٨٢٦ م أصله من عرب عنيزة ، ولد بنجد وسكن البصرة ، وتوفي ببغداد ، من كتبه . (الغرر في وجوه القرن الثالث عشر ـ خ) و (مطالع السعود ـ خ) وله كتب كثيرة . انظر ترجمته في الأعلام : مج ٤ ص ٢٠٦

فاضلا أن يؤدي ما غنمته قبيلته من أموال الدليم وغيرهم فلما أراد فاضل الاداء منهم لم يطيعوه فخرج الكتخدا علي عليهم بعسكر فأحاط بهم على غرة فالتجأ العنزيون بآل قشعم ومن معهم من عرب العراق فتشفعوا له عند الكتخدا علي فقبل شفاعة القشعميين لهم على أن يعطوا الكتخدا ثلاثة آلاف بعير وخمسين فرساً هكذا نقله المؤرخ التركي والذي أحفظه أنهم أعني العنزيين خدعوا فجرى عليهم ماجرى مما ذكره ١٢١٤هـ.

وفيها غزا الكتخدا علي آل قشعم والدليم فأغار أولاً على آل قشعم فلم يظفر بهم لانهزامهم عندما سمعوا أنه نهد من بغداد فلما انهزموا جدّ في طلبهم حتى وصل إلى شفاثى[1] ثم عطف إلى الدليم فانهزموا فغنم من أغنامهم وعاد إلى الفلوجة بفتح الفاء وضم اللام المشددة وبجيم بعدها هاء تأنيث فراسل آل قشعم ثم الدليم وأمن كلاً منهم ورجع كل منهم إلى دياره وعطف عنان العود إلى بغداد.

قال في القاموس القشعم كجعفر المسن من الرجال والنسور والضخم والأسد ولقب ربيعة بن نزار وهو كأردب انتهى • والمشهور على ألسنة الناس أن آل قشعم من ذوي الشرف والملك من العرب ومما سمعته منهم أنهم يقولون نحن بنو قطر السماء ولم أطلع على أحد من العرب يسمى بذلك ولعل الأصل بنو ماء السماء وماء السماء أو بني ماء السماء لا اسم لها غيره كما في القاموس وقال فيه أيضاً ومزيقياء لقب عمرو بن عامر ملك اليمن كان يلبس كل يوم حلتين ويمزقهما بالعشي يكره العود فيهما ويأنف أن يلبسهما غيره وقال في موضع آخر الكرد العنق وأصلها والسوق وطرد العدو والقطع ومنه شارب مكرود وبالضم جيل معروف جمعه أكراد وجدهم كرد بن عمرو • ومزيقياء بن عامر بن ماء السماء انتهى• فلعل آل قشعم من بني ماء السماء ودل مافي القاموس صريحاً على

(١) وتسمى الآن شثاثا.

أن الكرد بنو ماء السماء ملوك الحيرة بكسر الحاء المهملة وسكون المثناة التحتية وبالراء بعدها هاء تأنيث أولهم مالك بن فهم بن عمرو وبن دوس ابن الازد ملك العرب بالعراق عشرين سنة ثم ابنه جذيمة ابن مالك الابرش الوضاح كان ملكه ستين سنة ثم عمرو بن عدي بن نصر بن ربيعة اللخمي ويقال ان نضرا هو الساطرون وهو جرمقاني من أهل الموصل وقيل بل هو من أشلاء قنص بن معد بن عدنان وعمرو هذا هو ابن أخت جذيمة بفتح الجيم وكسر الدال المعجمة وفيه قيل شب عمرو عن الطوق وفي القاموس ما نصه والساطرون ملك من ملوك العجم قتله سابور ذو الاكتاف وفيه أيضاً الجرامقة قومه من العجم صاروا بالموصل في أوائل الاسلام الواحد جرمقاني فما فيه قضيته ان هؤلاء ما تديروا الموصل قبـل الاسلام ففيه مخالفـة لما مر قبل عن غيره أن الجرمقاني من أهل الموصل لأن الساطرون متقدم على الاسلام ثم امرؤ القيس ابن عمرو بن عدي وقيل بن الحارث بن عمرو وأنه الذي يدعى مجرقاً وقال في القاموس في مادة ح رق وكمحدث صنم لبكر بن وائل النعمان بن المنذر والشاعر اللخمي وعمـارة بن عبد الشاعر المدني وعمرو بن هند لأنه حرق مائة من بني تميم والحارث بن عمرو ملك الشام لأنه أول من حرق العرب في ديارهم فهم يدعون آل محرق وامرؤ القيس بن عمرو وهو المراد في قول الاسود بن يعفر :

ماذا أؤمـل بعـد آل محرق تركوا منازلهـم وبعد اباذي (١)

ثم النعمان بن امرىء القيس وهو النعمان الاكبر الذي بنى الخورنق قال في القاموس والخورنق كفدوكس قصر للنعمان الاكبر معرب خورنكاه أي موضع الأكل انتهى ثم المنذر بن امرىء القيس وهو المنذر الاكبر

---

(١) هكذا ورد .

ابن ماء السماء أخو النعمان الأكبر ثم المنذر وهو الأصغر ثم أخوه عمرو بن المنذر وهو عمرو بن هند وسمي محرقا لأنه حرق بني تميم وقيل بل حرق نخل اليمامة.

ثم النعمان بن المنذر بن المنذر صاحب النابغة الذبياني وهو آخر ملوك لخم ثم ولي بعده اياس بن قبيصة الطائي ثمانية أشهر واضطرب ملك فارس وكانت ملوك الحيرة من تحت أيديهم وأتى الله بالإسلام فعز أهله بالنبي صلى الله عليه وسلم.

وأما ملوك الشام وكانت فيها سليح وهم من غسان وقيل من قضاعة فأول ملوكهم النعمان بن عمرو بن مالك ثم من بعده ابنه مالك ثم ابنه عمرو بن مالك إلى خروج مزيقياء وهو عمرو بن عامر من اليمن في قومه من الأزد وسمي ابن مزيقياء لأنه كان يمزق كل يوم حلة لايعود إلى لباسها وسمي عامر ماء السماء لأنه مجتبى في المحل فينوب عن الغيث بالرفد ابن حارثة الغطريف ابن امرىء القيس البطريق بن ثعلبة البهلول بن مازن بن قاتل الجوع بن الازد ومعه رجل يقال له جذع فنزلوا بلاد عك فقتل جذع مالك بن عك وافترقت الأزد والملك فيهم حينئذ ثعلبة بن عمرو بن عامر فانصرف عامله فحارب جرهما وجلاهم عن مكة واستولوا عليها زمانا ثم أحدثوا أحداثا وجاء قصي بن كلاب فجمع معدا وبذلك سمي مجمعا قال الشاعر:

أبوكم قصي كان يدعى مجمعا　　　به جمع الله القبائل

من فهر واستعان بملك الروم فأعانه وحارب الأزد فغلبهم واستولى على مكة دونهم فلما رأت الازد ضيق المعاش بمكة ترحلت وانخزعت خزاعة لولاية البيت وبذلك سميت قال الشاعر:

ولما هبطنا بطن من خزعت　　　خزاعة منا في حلول كراكر

فسار بعض الأزد إلى السواد فملّكوا عليهم مالك بن فهم أبا جذيمة الأبرش وسار قوم إلى يثرب وهم الأوس والخزرج. وسار قوم إلى عمان. وسار قوم إلى الشام، وفيهم جذع بن سنان.

فأتاه عامل الملك في خراج وجب عليه فدفع إليه سيفه رهناً فقال الرومي:

ادخله في كذا من أم الأخر. فغضب جذع فقنعه به فقيل خذ من جذع ما أعطاك وسارت مثلاً وولوا الشام فكان أولهم الحارث ابن عمرو ومحرق بضم الميم وفتح الحاء المهملة وتشديد الراء المكسورة آخره قاف سمي بذلك لأنه أول من حرق العرب في بيوتها، وهو الحارث الأكبر يكنى أبا شمر ثم ابنه الحارث بن أبي نمر، وهو الحارث الاعرج وأمه مارية ابنة ظالم بن وهب ابن حارث بن معاوية الأعرج.

زحف المنذر الأكبر فانهزم جيشه فقتل هو ثم الحارث الأصغر بن الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر ومن ولد الحارث الأعرج عمرو بن الحارث وكان يقال له أبو شمر الأصغر وله يقول النابغة الذبياني :

علي لعمرو نعمة بعد نعمة لوالده ليست بذات عقارب

والنعمان بن الحارث هو أخو الحارث الاصغر وله يقول النابغة الذبياني :

هذا غلام حسن وجهه مستقبل الخير سريع التمام

وللنعمان هذا ثلاثة بنين عمرو وحجر والنعمان ومن ولد الاعرج المنذر والايهم أبو جبلة ، وجبلة آخر ملوك غسان وكان طوله اثنى عشر شبرا وهو الذي تنصر أيام عمر بن الخطاب وفي القاموس في مادة ج ذ ع والجذع بالكسر ساق النخلة وابن عمرو الغساني ومنه (خذ من جذع

ما أعطاك).

كانت غسان تؤدي إلى ملك سليخ كل سنة دينارين من كل رجل وكان يلي ذلك سبطة بن المنذر السليحي فجاء سبطة يسأله الدينارين فدخل جذع منزله فخرج مشتملا بسيفه فضرب به سبطة حتى برد وقال خذ من جذع ما أعطاك وأعطى بعض الملوك سيفه رهناً فلم يأخذه وقال اجعل هذا في كذا من كذا فضربه به فقتله وقال يضرب في اغتنام مايجود به البخيل.

انتهى وفي القاموس مانصه وعك بن عدنان بالتاء المثلثة ابن عبدالله الأزد وليس ابن عدنان اخا معد ووهم الجوهري ولقب الحارث بن الديث بن عدنان في قوله والصواب الأول.

وفي السنة السابعة والعشرين من مولد المترجم وهي السنة الخامسة عشرة بعد الألف والمائتين تمرد آل سلمان من خزاعة ولم يؤدوا لزوم الانقياد والطاعة.

وهكذا فإن الشيخ عثمان بن سند يتجنب الحديث عن أخبارهم ، فلا يحدثنا إلا بنتف منها ، ويأخذ بالحديث عن المقولة الشعبية السائدة في عصره بانتمائهم الى المناذرة ، ثم يفصّل الحديث بذكر المناذرة .

ونستنتج من هذا النص ما يلي :

١ ـ أن العلاقة كانت ودّية ومتينة منذ القدم بين العنزيين والقشاعمة .

٢ ـ أن الكتخدا علي حارب القشعم سنة ١٢١٤ هـ وانهزموا قبل مجيئه اليهم الى شفاثى وهي منطقة قريبة من الصحراء ، وقد تكرر لجوء القشعم إليها في كل مناسبة مشابهة .

٣ ـ يذكر السويدي أنهم مشهورون بالشرف والرياسة والملك .

٤ ـ يروي عنهم أنهم من بني ماء السماء ، ثم يستطرد بالحديث عن ملوك بني ماء السماء . وقد ناقشنا هذه المسألة في أول البحث .

٥ ـ يذكر ابن سند أخبارهم سنة ١٢١٤ هـ ، ولكنه لا يذكر اسم أميرهم ، وكنا قد وقفنا على آخر ذكر لهم سنة ١١٥٢ هـ أيام أميرهم صقر ، وتبقى المدة الزمنية بين التاريخين مجهولة لدينا .

* * *

٦ ـ دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء[(١)]

يتحدث هذا الكتاب عن عدة وقائع جرت على مدار عدة سنوات يذكر منها سنة اثنتين وخمسين ومئة وألف ، وفيها شيء جديد يظهر تحالفاً عشائرياً عربياً ضد العثمانيين إذ اتفقت عشائر القشعم ، مع عشائر السرحان ، وأسلم وبني صخر ، وتحالفت على شق عصا الطاعة والتمرد على أوامر الحكومة العثمانية في بغداد .

وفي مقطع آخر يذكر المؤلف شيئاً عن أخبار شاه رخ ميرزا حفيد نادر شاه الذي سبق أن كان ولياً للعهد أيام نادر شاه ، وهذا المقطع يصور حالة التمزق التي كانت عليها إيران ، وفي هذه المرحلة ظهر ناصر ابن مهنا آل قشعم ، وقد نال ابن قشعم هذا لقب شيخ العراقين عراق العرب ، وعراق العجم[(٢)] .

وفي مقطع آخر ضمن الحديث عن حوادث سنة أربعة عشرة ومئتين وألف في خروج علي باشا لمقاتلة عشائر عنزة . وتدخل شيوخ آل قشعم والأسلم والرفيع لحماية قبائل عنزة .

---

(١) تأليف الشيخ رسول الكركوكلي ١٢٤٣ هـ ـ ١٨٢٧ م ، نقله عن التركية موسى كاظم نورس عضو جمعية المؤلفين والكتاب . نشر دار الكاتب العربي بيروت ، مكتبة النهضة بغداد .

(٢) يمكن الرجوع الى النص كاملا عند كوركيس عواد كما جاء في كتاب مباحث عراقية (تاريخ آل قشعم) وفيه استعراض لألقاب ابن قشعم : شيخ العراقين ، شيخ الفرتين وهو معروف على صعيد العشائر بشيخ الشيوخ أيضاً .

ثم يأتي ذكر آخر لهم يفصّل لنا أمراً صغيراً لكنه هـام جداً ، وذلك أن الحكومة العثمانية في بغـداد عزلت الشيخ عبـد العزيز بن حبيب آل قشعم عن رئاسة القبيلة ، وانقسامها الى فرقتين الأولى والت الشيخ شبيب والثانيـة التزمت أخاه عبدالعزيز آل قشعم، فجردت عليها الحكومة حملة. قال المؤلف :

ذكر وقائع سنة اثنتين وخمسين ومائة وألف ، غز وعشائر قشعم .

لقد اتفقت هذه العشيرة مع عشائر السرحان واسلم وبني صخر وتحالفت على شق عصا الطاعة والتمرد على أوامر الحكومة ، واتخذت من مكان يبعد عن شفاثة بضع ساعات يسمى سبروت محلاً وحصناً للتجمع ولشن الغارات والهجمات منه وقطـع الطريق عـلى القوافـل ونشر الفوضى والاضطرابات ، الامر الذي حدا بالوزير الى تجريـد فرقتين عسكرتين لمقاومتهم الاولى تحت قيادة الكتخدا سليمان باشا ، وهذا اتجه بفرقته الى هيت في محاذاة نهر الفرات ، والثانية بقيادة الوزير نفسه سار بها عن طريق كربلا . وبالرغم من حرارة الجو فقد واصل السفر دون أن يذوق طعم الراحة مدة ٤٤ ساعة وصـل بعدها الى قرب محـل تجمع العشائر بعد منتصف الليـل فعسكر هناك ، وتقدم هو كعادته مسافة ساعتين حيث حط رحاله ونصب خيامه ليريح نفسه ومن معه لحين مجيء الجيش ، ومن شدة التعب الذي أصاب أفراده فقد أخذتهم سنة الكرى ولم ينتبهوا إلا والشمس في ارتفاع رمحين ولم ير للجيش أثراً ، ذلك لأن التعب قد أثر في أفراده أيضاً وغلبهم النعاس فناموا ، وبعد نهوضهم واصلوا سفرهم حتى بلغوا المحـل الذي ينتظرهم فيـه الوزير ، ولما كانوا قريبين من الاعداء فقد نظموا صفوفهم واستعدوا للقتال حتى إذا تراءى الجمعان أمر الوزير بالهجوم عليهم دون توان ، ذلك لأن الوقوف

أمام العدو [1] دون هجوم يطمعه في الجيش ويجعله يعتقد أنه من ضعفه لا يقوى على اختيار القتال •

وهكذا التحم الطرفان وكل منهما يمني نفسه بالانتصار على خصمه ، ووقعت بينهما معركة عنيفة أطاحت بأعناق الكثير من العشائر ، وكان من جملة من قتلوا من رؤسائهم عميس صقر السعد ، ثم أطبق عليهم الجيش وأخذ يحصدهم حصداً ويفل جموعهم ، فلم يسعهم الثبات وولوا الأدبار مبعثرين ومشردين •

★ ★ ★

وفي هذه الأثناء ظهر حفيد نادر شاه المدعو شاه رخ ميرزا الذي سبق أن كان ولياً للعهد أيام نادر شاه ، والذي ينتمي الى شاه حسين صفوي من ناحية أمه كما يعلم ذلك جميع الايرانيين ، وانه مضافاً الى ذلك كان قد استولى على أموال الشاه ودفنها في مكان لا يعلمه سواه ، وقد أستعان بها واستمال أكراد فوحان وخراسان ، وجمع خلقاً كثيراً تابعوه وبايعوه على الملوكية التي هي من حقوقه الشرعية ، وسار على رأس قوة تبلغ الستين ألفاً من مختلف الطوائف حتى وصل المشهد ، وهناك جرت مراسيم تنصيبه شاهاً على إيران بالإرث والاستحقاق ، وقد تقلد سيف الشاهانية بواسطة ابراهيم ميرزا خان الذي جعله وزيراً للحربية ، وأغدق بهذه المناسبة على من حوله وغمرهم بالهدايا والاعطيات ، ثم أخذ يتأهب لحرب الذين يناوئونه ويخرجون عليه • وهكذا أصبحت البلاد الايرانية ممزقة الاوصال ، وكل ثائر يسعى لكي يكون ملكاً

(١) من المؤلم أن يستخدم المؤلف هذا اللفظ عن القبائل العربية •

عليها ، وانتشرت الفتن في تلك الربوع ، وعمت الفوضى والاضطرابات في كل مكان ، مما حمل والي بغداد أحمد باشا الكسريه لي على عرض كل ما بلغه من أخبار إيران على الدولة العلية بصورة مفصلة بكتاب قدمه الى المقامات العليا ، مستأذناً فيه مواصلة سفر موفد إيران نحو الاستانة بما كان معه من مراسلات معنونة الى الدولة العلية حول التماس الشاه أن تستمر العلاقات الطيبة بين البلدين •

ولكن الدولة العلية بالنظر لحوادث إيران الأخيرة ، لم تر من اللياقة الترخيص للسفير مصطفى خان بالحضور الى الاستانة ، والنظر في أمر العلاقات ، ما لم تهدأ الأمور وتنكشف أحوال إيران ، وكتبت الى الوالي بأن يبقى المومى اليه في بغداد حتى اشعار آخر •

وقد ورد الجواب بهذا المعنى من الصدر الاعظم الذي حث الوالي على وجوب اكرام السفير مصطفى خان والانعام عليه بأن يدفع له ألفي ليرة ذهباً ، والى رفيقه محمد مهدي خان ألف ليرة ، مع ساعة مرصعة بالجواهر لكل منهما •



ذكر وقائع سنة أربعة عشر ومائتين وألف

خروج علي باشا لمقاتلة عشائر العنزة

إن هذه العشيرة كانت تقيم بأطراف الشام ثم أخذت تنحدر نحو العراق للاكتيال من وقت لآخر •

وذات مرة وصلت الى الطهمازية التابعة للحلة وراحت تتعرض

العشائر العراقية القاطنة هنـاك ولا سيما عشائر الدليم • فلما وصلت أعمالها الى مسامع الوزير جرد عليها حملة بقيادة علي باشا ، وقبل سفره قدم الى بغـداد رئيس العشيرة المذكورة المـدعو فاضل ، فاعتبر ضيفاً وأكرم مثواه واستقبل بالترحاب ، ثم أوعز اليه بأن يكف عشيرته ، وألا يتعرض لعشائر الدليم ، وأعطيت له مهلة مدتها عشرة أيام لرد ما نهبته عشيرته فتعهد بذلك وعاد الى مقره •

ولما انتهت المدة المضروبة ولم يظهر ما يدل على قيامه بتنفيذ ما تعهد به ، بل ازداد ورود الشكاوى من سوء أعمـال العشيرة المـذكورة ، أصـدر الوزير أمره الى الكتخـدا علي باشا بالسفر حـالاً لاخضاع العشيرة المـذكورة ، وراح الباشا يطوي الطريق الى أن وصـل جسر الهندية ليلاً ، وعندما علمت العشيرة بوصول هذه الحملة أرادت العبور من الجسر والفرار فلـم يتيسر لها ، وعندئذ لجأت الى عشائر القشعم والاسلم والرفيع تستنجد بهم ، فقرر هؤلاء أن يحموها حسب العادة العربيـة • وفي الصباح خرج الشيوخ والرؤساء والوجوه لاستقبال الجيش العثماني بالترحيب وعرض الطاعة له ، والتضرع اليه أن لا يمس أفراد العشيرة المذكورة لأنها التجأت اليهـم وأعطوها الامان ، وانهم فعلوا ذلك لأنهم أيضاً من رعايا الدولة العثمانية ، ولهم الحق في إجارة من يستجـير بهم ، ثم قدموا للحملة ثلاثة آلاف بعـير وخمسين فرساً وطلبوا العفو عن عشيرة عنزة •

فما كان من علي باشا إلا أن نزل على رغبتهم وعفا عنهم ، وبعـد مكوث عشرة أيام في تلك الانحاء رجع وحملته الى الحلة بعد ما سمح لتلك العشيرة بالعودة الى ديارها ، وفي الحلة تلقى شكوى من الاهاين ضد أحـد الضباط المسمى علي جلبي فاستأذن الوالي وعزلـه بعـد

بما استوفي منه مافي ذمته من أموال الدولة ، وعين مكانه السيد مراد جلبي ثم فرض غرامة على شيخ القشعم ناصر الحبيب قدرها خمسمائة بعير وألفا رأس غنم وعشرة أفراس ، ولكنه نزل الى نصف هذا العدد وذلك رأفة بالعشيرة إذ كانت هذه الغرامة بسبب ما كان يبديه الشيخ المذكور من تمرد وعدم طاعة ، وبعد اتمام مهمته عاد الى بغداد .

★ ★ ★

خروج علي باشا على رأس حملة لمقاتلة عشيرتي قشعم والدليم

بناء على مقتضيات المصلحة عزلت الحكومة الشيخ عبد العزيز ، (القشعم)و بذلك انقسمت عشيرة قشعم الى فرقتين: فرقة بقيت توالي الشيخ شبيب والثانية التزمت أخاه عبد العزيز واستوطنت في مكان يسمى « الصخري » وأعلنت العصيان فجردت عليها الحكومة حملة بقيادة علي باشا وسيرته نحوها .

وقد اتخذ الباشا طريقه الى المسيب ، ومن هناك عبر نحو المتمردين، ولما علموا باقترابه منهم تفرقوا ولاذوا بالفرار ، وظل الباشا يطاردهم حتى شفاثة ، ومن هناك اتجه نحو الدليم لمعاقبة العشائر التي امتنعت عن دفع ما بذمتها من الضرائب والرسوم الأميرية ، وقبل وصوله اليها فرت الى « هيت » وهو في اثرهم .

هذا النص طريف ، ويضع أيدينا على كثير من الحقائق التالية :

كتاب دوحة الوزراء الذي كتبه الشيخ رسول الكركوكلي ، كتب بالتركية ، وهو يتحدث بروح عثمانية ، وبلسان حاكم بغداد ، العثماني ، أو بلسان يرضي الوالي ، ولـذا فإنه يفسّر خروج العرب عن الوالي

العثماني بأنه شق عصا الطاعة وتمرد علـى أوامر الحكومة ، وفي واقع الحال الأمر لم يكن كذلك إطلاقاً . إن التاريخ يذكر أن داود باشا والي بغداد بعد أن راسل أهله في جورجيا ، وتعرف عليهـم بعد أن كان قد اختطف وجيء به الى بغداد مملوكاً ، ثم تدرج بالمناصب الى أن أصبح والياً على بغداد ، داود باشا هذا أرسل خلف إخوته ، فجاءه أحدهم ، الى بغداد حيث أسلم ، وسرعان ما نصبه والياً على البصرة ! ..

إن مثل هذه الأمور كانت تزعج العرب ، فكانوا يثورون لاسترداد كرامتهم ، ورفض تابعيتهم للمماليك ، وكان هـذا العمل يعتبر تمرداً بنظر الحكام المماليك ومن هم في ركابهم من الشعوبيين ، والحاقدين على العرب .

ولا شك أن اتفاق القشعم مـع عشائر السرحان ، وأسلم وبني صخر وتحالفها معهم علـى شق عصا الطاعة والتمرد علـى أوامر ولاة المماليك أمر مهم وكبير وهو يدل على وعي ناضج يدرك اللعبة السياسية ومحاولة جادة من القشعم والقبائل العربية الأخرى ممن التف حولهم لتحرير أنفسهم من تسلط المماليك ، وهـذا شيء يذكره التاريخ لهم بفخر واعتزاز ، وما أدري لماذا لم يتطرق إليه التاريخ العربي الحديث في القطر العراقي ، وربما كان أمراً غامضاً .

ويبدو أن الامر كان منظماً وهادفاً ، فقد اتخذ القشعم مجموعة خطوات عملية للثورة على المماليك ، يمكن اجمالها بالآتي :

١ ـ قيـام تحالف بين القشعم ، وعشائر عربية مثـل السرحان ، وأسلم وبني صخر ، وهذا التحالف يقضي بالتعاون والتكاتف للقيام بثورة علـى المماليك الحاكمين في بغداد الأمر الـذي عبر عنه المؤرخ الكركوكلي بلفظ (شق عصا الطاعة والتمرد على أوامر الحكومة) .

٢ ـ انحدار عشائر عنزه الى العراق للاكتيال ووصـــولها الى الطهمازية ، وقيام الحملة العثمانية ضدها ، ولجوئها الى عشائر القشعم والأسلم والرفيع وتضرع رؤساء العشائر المذكورة للجيش العثماني بألا يمس عشيرة عنزة بسوء ، يدل على شعور كل هذه القبائل العربية بوحدة الأصل والدم والأرض والدين ، والقيم والعادات والتقاليد ، وهذا أمر مهم جداً يفرزه هذا النص ، وهو دليل وعي ناضج عند هذه القبائل العربية يعتبر عن وحدة مصيرها ، وآلامها وآمالها ٠

٣ ـ اتخذ القشعم للثورة مكاناً يسمى (سبروت) وجعلوه محلاً وحصناً للتجمع ولشن الغارات والهجمات منه ٠ والحصن يعني أنه لا بد له من قيام ادارة تدبر شؤون الناس المتجمعين فيه للثورة ، ولا بد من توزيع المهام ٠ ولم يكن تجمع هؤلاء العرب لقطع الطريق على القوافل ونشر الفوضى ، والاضطربات كما ذكر رسول الكركولي والأمر يؤخذ من الوجهة المقابلة تماماً لوجهة المؤرخ المذكورة ٠ إنها ثورة منظمة فيها تحالف وتجمع ، وأرض تتخذ حصناً حتى كبر أمرها ، وعلا شأنها وازداد خطرها ٠

٤ ـ يبدو أنها كانت قوية لدرجة أنها جعلت والي بغداد يجرد لها حملتين عسكريتين لمقاومتها ،واحدةتحت قيادة الكتخداسليمان باشا الوزير ، وهذا اتجه بفرقته الى (هيت) في محاذاة نهر الفرات ، والثانية بقيادة الوزير نفسه (الوالي) سار بهـا عن طريق (كـربلاء) وسير الحملتين بهذا الأمر يدل عـلى رقعة واسعة من الأرض سيطر عليهـا القشاعمة ومن معهم من العرب ٠

٥ ـ فرض الوالي غرامة كبيرة على شيخ القشعم ناصر بن جبيب قدرها خمسمئة بعير وألفا رأس غنم ، وعشرة أفراس ، بسبب ما كان

يبديه الشيخ المذكور من تمرد وعدم طاعة ، هذا في رأي المؤرخ التركي ، والوجه المقابل لنظرته تلك واضحة تماماً ، وتعني أن الشيخ ناصر بن حبيب ، ما كان ليستجيب لرغبات العثمانيين ، وأنه يحاول الثورة عليهم والتخلص منهم في كل وقت وحين .

ويمكن استنتاج الأمور التالية أيضاً من هذا النص الذي مر ذكره:

١ ـ أن تحالف عشائر آل قشعم مع عشائر السرحان ، وأسلم بني صخر يلقي ضوءاً على الصلة بين آل قشعم وعرب السردية والصقور المتواجدين الآن في المملكة الأردنية الهاشمية ، والذين مر ذكرهم ، فهي علاقة تحالف بالاضافة الى وحدة الجذور .

٢ ـ ضعضعة الوضع في إيران في ذلك التاريخ يلقي ضوءاً على لقب ابن قشعم شيخ العراقين الذي مر ذكره في كتاب (مباحث عراقية) وقد كنت أبحث عن الفترة ، أو المدة الزمنية التي علا فيها نفوذ ابن قشعم على عشائر جنوب العراق الشرقي المعروف بعربستان ، أو بعراق العجم . وهذا مجرد اجتهاد فإن أصبت فالحمد لله ، وإن أخطأت فالحمد لله ، وأستغفر الله .

٣ ـ لجوء عشائر عنزة سنة أربعة عشرة ومئتين وألف الى عشائر القشعم والأسلم والرفيع ، وقرار هذه العشائر بحماية عشائر عنزة ، أمر طيب ، ويدل على وعي لدى شيوخ القبائل العربية آنذاك . ويبدو أن هذه المناسبة هي التي جعلت الشيخ عبد العزيز بن حبيب آل قشعم يقدّم الرزّازة هدية لابن هذال .

٤ ـ أن مشيخة آل قشعم تخضع أحياناً للتبدّل من قبل الوالي العثماني وهذا الأمر كان قد أوجد انقساماً في العشيرة بين تابع للشيخ

الجديد الذي عينته الدولة وهو الشيخ شبيب الحبيب ، وقسم التزم الشيخ القديم عبد العزيز الحبيب بناء على مقتضيات المصلحة العامة ، مما يدل على أنه كان يسبب متاعباً كثيرة لوالي بغداد .

٥ ـ على صعيد شيوخ آل قشعم ظهر من هذا النص أن ناصر الحبيب وعبد العزيز الحبيب ، وشبيب الحبيب أخوة ، وكان يظن غير ذلك .

٦ ـ الغرامة التي فرضها علي باشا على شيخ القشعم ناصر الحبيب كانت بسبب تمرده وعدم طاعته كما ذكرنا ، وهذه نقطة مثيرة في تاريخ القشعم وعلاقتهم مع الولاة في بغداد .

* * *

٧ ـ الدرر المفاخرة [1]

وقـــال ابن بسام التميمي النجـــدي ت ١٢٤٦ هـ في كتابه (الدرر المفاخر) في أخبار العرب الأواخر صـ ١٣٢ من كتابه الذي حققه ونشره سعود بن غانـم الجمران العجيمي • وهو يتحـدث عن قبائل جنوب العراق :

ومنهـم : آل قشعم ٨٧ ذي السنان الاغشم ، والعطر لمن شم ، حماة الظعون وما آل الظنون ، الحايزين الفضل عن أقرانهم ، والشامة البيضاء في غرة زمانهم ، أزمة الحرب وحـداتها ورؤسائها وكماتها ، أعجز سعيهم غيرهم أن يناله وأنجز وعدهم من بارق الوسم في خياله ، حلوم ولا جهل ، ومحل المكرمات والأهل ، أرديتهم العجاج ، وأسلحتهم الزجاج[2] ، ما قاموا فحاموا ولا أنعلوا جيادهم إلا وأعدائهم كالجهام •

يقوم هذا النص على المدح فيراهم غرة بيضاء في زمانهم ، أصحاب رياسة وقوة وحماسة ، وكرم وشهامة •

* * *

(١) ابن بسام التميمي النجدي ت ١٢٤٦ هـ •

(٢) الرماح •



قسم في دراسات المعاصرين

١ ــ التحفة النبهانية ٠

٢ ــ مباحث عراقية ٠

٣ ــ عشائر العراق ٠

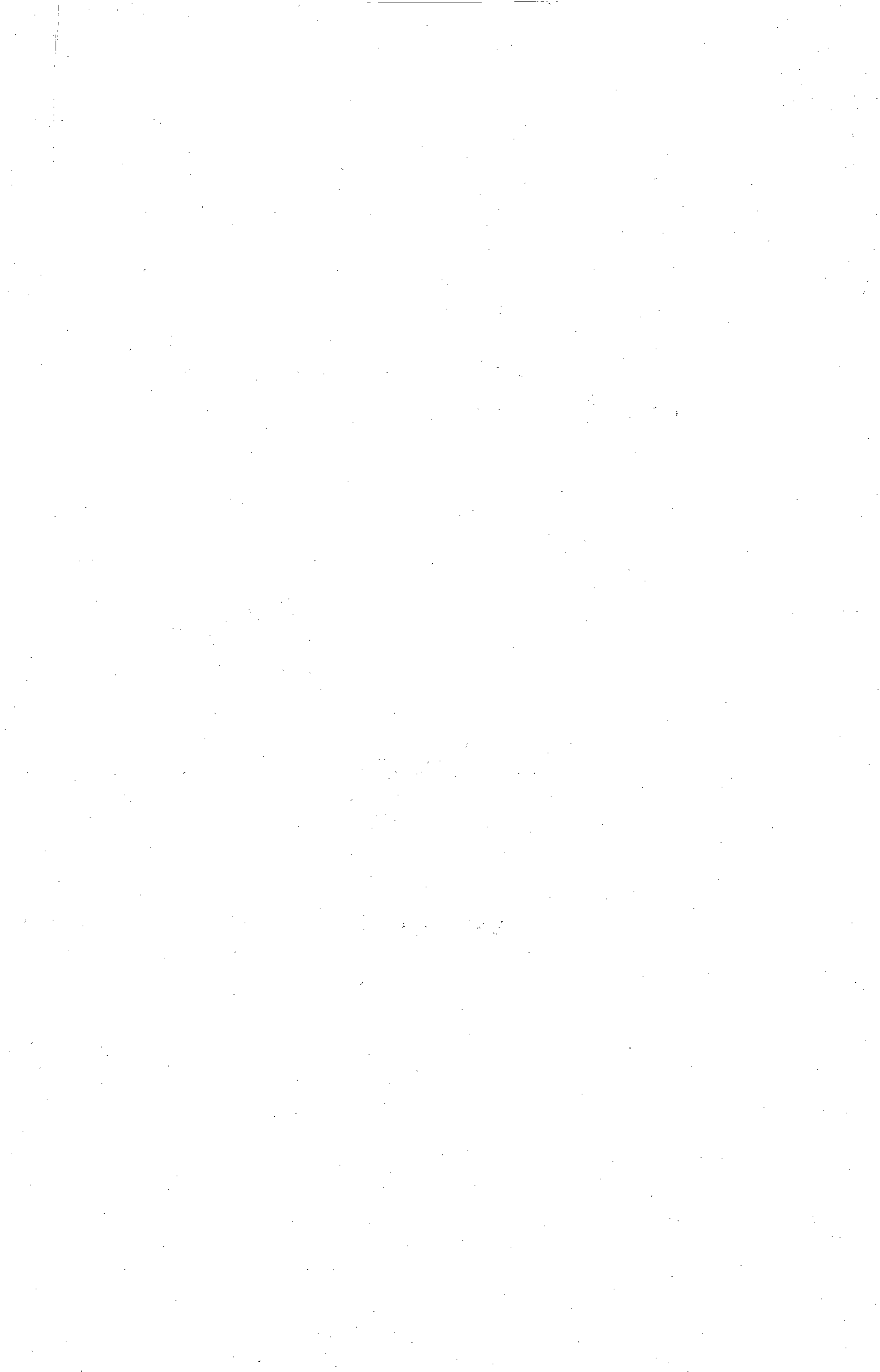
٤ ــ تاريخ العراق بين احتلالين ج ٤ ٠

٥ ــ تاريخ العراق بين احتلالين ج ٥ ٠

٦ ــ تاريخ العراق بين احتلالين ج ٦

٧ ــ معجم قبائل المملكة العربية السعودية ٠

٨ ــ المعجم الجغرافي للمملكة العربية السعودية ٠



١ ـ التحفة النبهانية

ما جاء في كتاب التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية .

تأليف الشيخ محمد بن خليفة بن حمد بن موسى النبهاني الطائي. وقد تحدث عنهم حديثاً موجزاً جداً في الجزء العاشر (المنتفق)[1] .

فقد جاء ذكرهم في معرض الحديث عن المنتفق خلال حوادث عام ١٢٢٧ هـ قال : « عين الوزير (وزير بغداد) على المنتفق نجماً بن عبد الله أخا ثويني . وفي غرّة (ذا) من العام المذكور خرج الوزير من بغداد يقود الجنود بنفسه يؤم بها حمودا ، بعد أن أرسل له رسلاً يطلب منه تسليم سعيد باشا ولما امتنع من تسليمه ، كما هي عادة العرب في الدخيل عندهم ، زحف الوزير عليه بالجنود .

وعند وصوله أرض المنتفق عبر من غربي الفرات الى الجزيرة فانضم إليه شيخ ربيعة (مشكور) وسار بقومه . وكان مشكور هو قائد أول طليعة للجيش فتصادم مع (صالح بن ثامر) وجرت بينهما معركة عنيفة أسفرت عن قتل مشكور وتفرق قومه . فزحف الوزير بالعساكر حتى نزل قريباً من عشائر المنتفق ثم دارت رحا الحرب بين الفريقين ، فطعن (برغش بن حمود بن ثامر) ونقل جريحاً الى مخيمه .

---

(١) الطبعة الثانية سنة ١٣٤٤ هـ المطبعة المحمودية ، القاهرة .
والنبهاني هو محمد بن خليفة بن حمد بن موسى النبهاني الطائي توفي ١٣٦٩ هـ ـ ١٩٥٠ م

ثم حمل علي بن ثامر على نجم بن عبد الله (الرئيس الجديد للمنتفق) فقتله ، فانخذل (آل قشعم) الموالون للوزير ، فقويت شوكة المنتفق » .

ثم يضع هامشاً يتحدث فيه عن شيخ آل قشعم في أيامه ، فقال (عقاب بن صقر بن ثويني بن عبد العزيز بن حبيب بن صقر بن حمود ابن كنعان بن ناصر بن مهنا بن سعد بن غزي) بكسر الغين وهو الذي نزح من نجد الى أطراف العراق في القرن العاشر الهجري ، السادس عشر الميلادي أي (غزي) هو الذي نزح من نجد ، وأنه في سنة (١١٥٢ هـ — ١٧٣٨ م) شق عصا الطاعة عشيرة آل قشعم فحشد وزير بغداد (أحمد باشا) العساكر وسار بها يقودها نحوهم ، وتواقع معهم حتى كسرهم وفر أميرهم (صقر الأول بن حمود) وغنمت العساكر منهم مغنماً مهماً من الأنعام .

وكان قد أمر أحمد باشا الجنود بعدم التعرض لبيت صقر اكراماً لمنزلته . ثم طلب صقر الصلح فصالحه أحمد باشا وعفا عنه .

وقد مدح (أحمد باشا) السيد عبد العزيز فخري زادة بقصيدة أبياتها (٢٣) بيتاً جاء فيها بيت حوى الطباق والتورية والكناية :

عقاب الوغى لما بدا طـــار (صقرهم)

لـــدى حيث ألقت رحلهـــا أم قشعم

والواقعة حصلت سنة ١١٥٢ هـ كما تقدم فأرّخها الشيخ عبد الله السويدي في آخر بيت من قصيدة له امتــدح بها الوالي أحمــد باشا المذكور ، وهو :

إن يضق رحـب الصحـــارى أرّخـــوا

هـــل لصقر في صحارى الهـول وكر

٣٥ ٤٢٠ ٩٠ ٣٠٩ ٧٢ ٢٢٦

ومجموع الأرقام يشكل التاريخ ١١٥٢ هـ ـ ١٧٣٨ م وقد مرّ ذكر ذلك (المؤلف).

والملاحظ هنا أنه لاجديد يضيفه النبهاني، فالموضوع الذي دار حوله خاص بالمنتفق.

* * *

٢ ـ مباحث عراقية

كتب يعقوب سركيس في كتابه مباحث عراقية ، عن المباحث المنشورة في مجلة لغة العرب من سنة ١٩١٢/١٤ وسنة ١٩٢٧/٣١ :

قشعم في التاريخ

يقول الاعراب « جشعم » بجيم كجعفر • وفي مختصر مطالع السعود (س ٢٧) عن القاموس أن قشعم لقب ربيعة بن نزار وفي هذا المختصر « ان المشهور بين العرب انهم « آل قشعم » من بني ماء السماء يعني من قحطان » اهـ •

ويقال ابن قشعم لكل فرد من هذه الحمولة ولا سيما للشيخ منهم إذا أرادت الاعراب تعظيمه أو حكت عن أيام مجد بيتهم • فابن قشعم علم لكل منهم كما يقال ابن سعود وابن رشيد وابن هذال وابن سويط في مثل هذه الحال • وآل سويط هم شيوخ الظفير منذ ثلاثة قرون على أقل تقدير وكان شيخهم في سنة ١٠٨٠ هـ (١٦٦٩ م) وسنة ١٠٩٦ هـ (١٦٨٤ م) سلامة بن مرشد بن صويط (كذا) جاء ذلك في كتاب سمط النجوم العوالي في أنباء الاوائل والتوالي لعبد الملك بن حسين العصامي المتوفى سنة ١١١١ هـ (١٦٩٩ م) • وهذا الكتاب لا يزال مخطوطاً رأيت نسخة من مجلد منه يبتدىء بالمقصد الرابع وهي للكتبي نعمان الاعظمي في بغداد وكان قد جاد علي بها للمطالعة • وذكر تاريخ

آداب اللغة العربية لجرجي زيدان (٣ : ٣١٢) نسخة من هذا المخطوط في الخزانة الخديوية ومنه نسخ منها تامة ومنها ناقصة في خزانة المتحف البريطانيـة والخزانة الاهلية في باريس وخزانة اليسوعيـين في بيروت وخزانة الكتبي بريل في ليدن .

* * *

نعود الى صددنا واذا قالت المنتفق « العراك » (بكاف فارسية) فهي تريد سقي الفرات الواقع بين منحدر الحلة من جهة الشمال ومنحدر السماوة من جهة الجنوب وفي ذلك لواء الديوانية كله ألم يكن موضوع البحث خاصاً بالعراق برمته فتكون المنتفق قـد تمسكت بمفرد كلمة العراقين اللذين قال عنهما معجم البلدان ..... والعراقان الكوفة والبصرة ..... فمـا أحفظ الاعراب للأعـلام ولا تستثنهـم عن شوارد اللغة :

وكان يراد وقتاً بالعراقين قطرنا[1] العزيز وعراق فارس ويظهر أن هذا الاسم بالتثنية بمعنى عراقنا وحده كان معروفاً في فارس حتى العقـد الرابع مـن القرن السابع عشر اذا صـح ما قاله اوياليوس في رحلته التي جاء فيها في ص ٣٦٠ .... والمتعارف أن « عراق آشور » يسمى « العراقين » وجـاء في « اوليا جلبي سيا حتنامه سي » المطبوع في الاستانة سنة ١٣١٥ هـ المجلد ٤ : ٤٠٧ ما قوله في الخطبة التي قرئت بين يدي السلطان مراد الرابع بعد فتحه بغداد سنة ١٠٤٨ هـ : مولانا خـادم الحرمين الشريفين ومولانا ملوك (كـذا) (بمعنى ملك أو أن

---

(١) والكلام لعواد .

الاصـــل هو ملك ملــوك فسمى المرتب الكلمـــة الاولى) العرب والعراقين ••• ا هـ •

سألت الاعراب في المنتفق عما يقصدونه بالعراقين الواردة في لقب ابن قشعم فجاء تعريفهم مطابقاً لسقي الفرات الذي ذكرته وهو الذي يعرّفونه بالعراك وعللوا النسبة باحتمال قسمة ذلك السقي الى شمالي وجنوبي أو الى شرقي وغربي ولكني لا أظن صحة قولهم هذا وللاعراب أيضاً حدس آخر هو أن العراقين هنا ذاك السقي وما فوقــه الى حد يجهلونه فلم يوقفونا عــلى سبب التسمية وفاتتهـم المعرفة بأن البصرة كانت أحد هذين العراقين في عهد بعيد جداً •

ويمكن لبعضهم أن يعللوا سبب تلقيب ابن قشعم بشيخ العراقين توسعاً يوم كانت فارس مستولية على العراق • وعلى وجه آخر انه أريد بهذا اللقب انه شيخ برية الكوفة والبصرة لواقعة لعلها حدثت في أنحاء البصرة كان له فيها الظفر والغلبة : قلت لعلها لأني لا أقبل ما قاله غاية المرام من أمر مانع وابنه محمد وسعدون ابن الأخير منهما الذين عرّفهم بأنهم أمراء آل قشعــم اذ أن الصحيح أنهـم شيوخ المنتفق بلا شك ولا شبهة أو أن غزيّة (بفتح الغين وكسر الزاي وتشديد الياء المفتوحة وفي الآخر هاء) وهم آل رفيع (بضم الراء وفتح الفــاء وآل حميد (بضم الحاء وفتح الميم) وساعدة (بكسر العين) وآل بعيج (بالتصغير) وغيرهم أطلقوا عليه ذلك اللقب الضخم لما كان لابن قشعم من السلطه والنفوذ ولا سيما على ضفتي الفرات وبالأخص على الغربية منهما حسبما روته كتب التاريخ العربية والتركية والفارسية •

وقد بقي على الفرات لهذا البيت رسم من تلك الأيام الغابرة حفظته النسبة للأرض الزراعية المسماة « المهناوية » الواقعة في لواء الحلة وهي

مربوطة بقضاء مركزه وعنانة (كنسابة) الواقعة هنالك كانت لهم أيضاً •

نسب إليّ عقاب بن قشعم شـيخهم الحالي نفسه وهو في أول الشيخوخة من العمر فقال : أنا عقاب بن صقر بن ثويني بن عبد العزيز ابن حبيب بن صقر بن حمود بن كنعـان بن ناصر بن مهنا بن سعد بن غزي كسر الغين كسـراً غير واضح وزاي مشددة مكسورة) الـذي نزح من نجد الى ديار العراق • ويبين من عـدد آبائه الذين ذكرهم أن قدوم حمولته الى العراق كانت حوالي منتصف القرن السادس عشر • وأول ذكر عرفته عنهم لا يتعدى العقد الثاني من القرن الحادي عشر للهجرة (١٦٠٢ هـ /١٦١١ م) كما روى لنا ذلك كلشن خلفا بالتركية (مؤلفه نظمي زاده مرتضى أفندي من رجال القرن الثاني عشر للهجرة) وغيره من الكتب •

وإذ جرني الكلام الى تدوين نسب عقاب فاسترسلت في الموضوع فلا بأس من إيراد كلام عن بعض أجداد عقاب •

إن لناصـر المهنا ذكراً بيّناً في كتب التاريخ الثلاثة ولا سيمـا في كتاب عالم آراي عباسي لاسكندر بك تركمان من رجال القرن الحادي عشر وهو مطبوع في طهران سنة (١٣١٤ هـ) ١٨٩٦ م) •

وذكره من الاوربيـين تكسيراً فنعتـه « يملك عربي » في رحلته المترجمة الى الانكليزية في ص ٥٣ :

فقال : « ان هذه البلدة (مشهد الحسين أي كربلا) ومشهد علي (النجف الاشرف) هما تابعتان لمير (الامـير) ناصر وهو ملك عربي رافد للأتراك يعيش في أعالي تلك الاراضي » وقال في ص ٧٢ بتاريخ

١٣ كانون الاول سنة ١٦٠٤ م (١٠١٣ هـ) وبعـد أن سـرنا فرسخاً ونصف فرسخ حططنا لدفع الرسوم التي يجب دفعها الى المير ناصر وهو ملك عربي من عشـيرة ابن امانة Emana وهو حاكم مشهد علي ومشهد الحسين « وما أمانة إلا تشويه « مهنا » إذ يصعب على سائح أن يضبط الأعلام وهي غريبة عنه •

وذكر ناصراً أيضاً ديلا فاله Dellavalle في رحلته الشهـيرة الصحيح غزي بن سعد كما سيرد تصحيحي له •

(١٦١٩/١٦٢٥) في عدة مواضع جاء فيها في سنة ١٦١٦م(١٠٢٥هـ) ما تعريبه من رسالته السابعة عشـرة المؤرخة في ١٠ كانون الاول سنة ١٦١٦ (١) « فبتنا في بئر النص (أي بئر النصف بين بغداد والحلة)••• وبعد مرورنا بيومين نهبت قافلة هناك أو بمقربة من ذلك المكان • نهبتها جماعة قوية من الاعراب • أما أنا فلحسن حظي ـ فضلاً عن أني لم أر أحداً من هؤلاء ـ لقيت أحد كبار قواد بغداد كان قدم الى هنا قبلي بأمر من الباشا ومعـه نيف ومائتا فارس ليستميل شيخاً ويصحبه الى بغداد وهذا الشيخ هو قائد من قواد الاعراب ـ وان شئت فقل أميراً من أمرائهم ـ وإني لأظنه أميراً لأنه من عداد الذين يهمون الاتراك في النفع ، والغرض من طلب مجيئه الى بغداد هو حشد القوى فيها للشروع بعدئذ بمحاربة ملك فارس وقد أكثر قائد بغـداد من فرسانه زيادة في تعظيم هذا الشيخ •

---

(١) الترجمة الفرنسية طبعة باريس سنة ١٦٧٠ م ص ٥٣

وكان يسمى هذا الشيخ أو الامير ناصر بن مهنا لأنه ابن مهنا أو أنه من ذريته .... » اهـ .

وذكر المؤرخ اسكندر بك وديلافاله ان لناصر ابناً اسمه أبو طالب وقال ديلافاله انه كان قد قام مقام أبيه المتقدم في السن .

قال روسو قنصل فرنسة في بغداد في رحلته في سنة ١٨٠٨ م من بغداد الى حلب : **Voyage de Bagdad a Alep par J.B**

في ص ١٣٦ ما تعريبه : **Louis Reusseau 1808 .**

« فمررنا بجبة على الفرات .... فرأينا على الضفة المقابلة جبل اردي **Erdi** وعلى منتهاه شيء كالقبة قيل لي انه قبر ناصر المهنا ابن جشعم ويعتقد الاعراب أنه من أصحاب الكرامات » اهـ . ولا تزال ذكرى ناصر على ألسنة الأعراب تلهج بمدحه والثناء على أخلاقه ورفعة مقامه .

وذكر كنعان كتاب غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام (مخطوط) لياسين بن خير الله العمري وكانت ولادة المؤلف سنة ١١٥٨ هـ (١٧٤٥ م) فقد قال فيه « وفي سنة ١٠٧٥ هـ (١٦٦٤ م) عين السلطان لفتح مدينة الحسا (الاحساء) الامير يحيى آغا وكنعان أمير قشعم فساروا (كذا أي فسارا) الى الحسا فقاتلوهم (كذا) بني (كذا) خالد ثم هرب أميرهم براق » اهـ . وأظنها براك بفتح الباء وتشديد الراء وكاف عربية في الآخر وهذا الاسم من أسماء الاعراب ولا أعرف لهم براق بقاف .

وجاء في هذا المخطوط ما قوله عن صقر الاول . والحرب سجال « وفي سنة خمسين (بعد المائة والالف) سار (الوالي أحمد باشا) من

بغداد بالعساكر وحارب عرب قشعم فهرب أميرهم صقر وغنم عسكر بغداد وحما (كذا أي حما) أحمد باشا بيت صقر من النهب ثم صالحه وعفى (كذا) عنه ومدح أحمد باشا أحد الفضلاء السيد عبد الله فخر (فخري) زادة بقصيدة طنانة منها قوله :

عقـاب الوغى لما بدا طـار صقرهم
لـدى حيث ألقت رحلهـا أم قشعم

وردت هـذه القصيدة وأبياتها ثلاثة وعشرون في حديقة الزوراء للشيخ عبد الرحمن بن الشيخ عبد الله السويدي (مخطوط) أقول هذا عن مختصـرها المخطوط أيضاً للأديب سليمان آل دخيـل قائم مقـام الجبايش في لواء المنتفق في وقتنا الحاضر) • وهذه النسخة موجودة في خزانة الآباء الكرمليين في بغداد • وقد نقل هذا المختصر ثلاثة أبيات من القصيدة جاء منها البيتان الأولان في مجلة المشرق (١٦ « ١٩١٣ » ١٧٢) بوصفها ديوان الناظم « فخري زادة » •

والصحيح أن هذه الواقعة كانت سنة ١١٥٢ هـ (١٧٣٩ م) على ما ضبطها الشيخ عبد الله السويدي في آخر بيت من قصيدة له امتدح بها الوالي أحمد باشا على ما جاء في مختصر حديقة الزوراء • قال الناظم أبو مؤلف الحديقة :

إن يضق رحب الصحـارى أرخـوا
هل بصقر في صحارى الهول وكر (١١٥٢)

وما يؤيد صحة ورود هذه السنة رواية دوحة الوزراء وأظن أن

مؤلفها قد نقل عن السويدي على ما يبين من عبارات ساقها المؤلف في مقدمة كتابه •

اتفق مختصر حديقة الزوراء ودوحة الوزراء على تعيين السنة لكنهما اختلفا على صقر اختلافاً طفيفاً إذ قال المختصر صقر المسمى سعداً « فقالت الدوحة عن صقر « عـم الشيخ » وأما غاية المرام فإنه اكتفى بقوله « صقر » ولم يزد ويمكن تعليـل قول المختصر « صقر المسمى سعداً » بأحد الوجهين فاما لكون صقر من أحفاد سعد أو لأنهم أرادوا بذلك الكناية عن الصقر الذي يقال له « طير السعد » •

ولم يهمل التاريخ عبد العزيز وشبيب ابني حبيب فإن علي باشا كتخدا والي بغداد غزا آل قشعم في سنة ١٢١٤ هـ (١٧٩٩ م) وكان كل من عبد العزيز وشبيب شيخاً على فريق منهم فلم ينل مرامه فاضطر الى الاستمالة وإلباس الخلع ثم عاد الى بغداد [١]

هذا قليل من كثـير مع ما توسعت في المقـال • ونرى الآن آل قشعم عشيرة خاملة الذكر فيها العرب الأقحاح من جهة الوالدين وفيها أنسال عبيدها المتقشعمين ترعى إبلهـا في لواء المنتفق على الغالب ولم تبق عليها مسحة مما مضى ولقد مسختها العوادي مسخاً •

استدراك بخصوص آل قشعم

قلت في هذه المجلة (٥ : ١٣٩) ان أول ذكر عرفته عن آل قشعم في العراق لا يتعدى العقـد الثاني من القرن الحادي عشـر وفاتني ان

(١) دوحة الوزراء ومختصر مطالع السعود •

كلشن خلفا الذي نقلت عنه الخبر كان قد ذكرهم قبـل ذلك . وهذا تعريف ما فيه :

«ولما دخلت سنة ٩٥٣ هـ (١٥٤٦ م) سار الوالي الوزير « اياس باشا » والي بغداد قاصداً البصرة فزار بطريقه الروضة الرضية لفاتح خيبر (علي بن أبي طالب) لاستحصال الاستعـداد للفتـح والظفر ثم حرك الوالي ركابه الى البصرة بعد أن أتلف شيخ آل قشعم الذي كان قد سلك طريق الطغيان مؤذياً الناس في تلك الانحاء ... »[1] اهـ .

---

(١) انتهى نص (مباحث عراقية) .

٣ ـ كتاب عشائر العراق :

قال المحامي عباس العزاوي رحمه الله في كتابه عشائر العراق [١] أهل الأرياف :

٣ ـ عشائر بني لام الأخرى :

١ ـ الغزّي .. ويعدون من عشائر الأجود ، وإن لم يكونوا منهم ... ثم فصّل الحديث عن فرقهم ، ثم انتقل إلى :

٢ ـ آل بدر : وهؤلاء من عبس وأصلهم في حدود السماوة وهم في عدد الغزي قديماً ، وفروعهم . ثم تحدث عن فروعهم وانتقل إلى الحديث عن القشعم ، فقال :

٣ ـ الجشعم (القشعم) :

من عشائر الأجود بل في عدادها ولم تكن منها . راجعنا الكثيرين وحقّقنا عن أصلهم ، فلم نظفر بطائل . فمنهم من يقول أن قشعماً هو ربيعة بن نزار من العدنانيين ، ومنهم من يقول انه من بني ماء السماء من القحطانيين والتدوينات جاءت للجهتين . ورد ذكره في مطالع السعود، وفي القاموس المحيط .

وفي هذه الحالة رجعنا الى ما يتصلون به من نسب ، والعلاقة بين العشائر الأخرى ، فلم يعوزنا أن نرجع أو نرجح بعض الاقوال . وذلك انهم من غزي رؤساء هذه العشائر . فهم بلا ريب من بني لام من طيء

(١) طبع بمساعدة وزارة المعارف ببغداد سنة ١٣٧٤ هـ . ١٩٥٥ م

من قحطان • وهذا[1] الذي نرجحه • ويؤيده عمود نسب هؤلاء على ما يأتي : استقلت بتسميتها من أمــد بعيد • والقول بأنها الاصل ذو مغزى كما ذكر لي الشيخ محمــد أخو الشيخ عقاب رئيسهم • ومنه اقتبست غالب ما دونت[2] •

وكانت لهذه العشيرة الرئاسة العشائرية مدة ولكن الايام جردتها من عشائرها فمالت الى الارياف وبقيت محافظــة على بداوتها • وأول ما ورد ذكرها في تاريخ ابن الفرات في حوادث سنة ٧٩٥ هـ • جاء خبر ثامر ابن قشعم • وهذا كان قد تألم من الأمــير نعــير أمير طيء ومن حكومة الشام ، فأمر عربانه بالرحيل الى جهة نعير ، فجازوا على أملاكه بالبصرة فاستولوا عليها ونهبوهــا • وهــذه تعد أول علاقة بالعراق وإمارته العشائرية : وان ثامراً أول رئيس عرف • ومن الاتصال بطيء وأمرائهم نعلم العلاقة • والظاهر أنه مال بعشائره بني لام فتمكنوا في العراق من ذلك التاريخ •

وفي تاريخ العراق بين احتلالين في حوادث سنة ٩٥٣ هــ١٤٥٦ م ذكرهم فضولي البغــدادي الشاعر بقصيدة مدح بها إياس باشا والي بغداد في انتصاره عــلى هــذه العشــيرة • ثم توالى ذكرها في حوادث عديدة •

والمعروف أن الرئاسة العشائرية كانت معروفة لابن قشعم إلا أن العشائر التي كانت تحت سلطته انعزلت منه واستقلت بتسميتها أو مالت

---

(١) لقد ناقشنا هذا الأمر في مقدمة البحث ، ولتبيين خطأه والعزاوي لا يملك دليلا على ما يقول ، ولا يحظى بمقولة العشير •

(٢) أنكر القشعم ان يكون للشيخ عقاب اخ اسمه محمد •

الى الارياف وعرفت بأسمائها الحالية مثل الغزي وهي تسمية أصل العشيرة ، ومثل الجوارين ... فتكونت من بيت الرئاسة أفخاذ صارت عشيرة مستقلة . وكنت أظن أنها من الاجود وانما صارت في عدادها ولم تكن منها .

كان الاستاذ يعقوب سركيس نقل بعض ما علمه من رئيسهم الشيخ عقاب وهو أخو الشيخ محمد الذي نقلت منه . فذكر لي أن أخاه الشيخ عقاباً هو الرئيس وهو :

« عقاب بن صقر بن ثويني بن عبد العزيز بن حبيب بن صقر بن حمود بن كنعان بن مهنا بن ناصر بن مهنا بن سعد بن المنذر بن قمقام ابن (من) بن قشعم بن غزي » . ا هـ .

وسبق أن ذكرت ثامراً في حوادث سنة ٧٩٥ هـ مما يدل على أن الحافظة لا تستمر كثيراً ، ولكن المقطوع به انهم يتصلون بـ (الغزي) ويدعون أنهم نزحوا من نجد في أيام جدهم الاخير . ولا شك أنه فاتته أسماء عديدة .

ويصعب ضبط الاسماء . وبين ما علمته من شيخ محمد وما ذكره الاستاذ تفاوت يسير .

والملحوظ أن هذه العشيرة ليست أكثر من إمارة أو رئاسة بدوية على عشائر عديدة ، فتعتبر ناظمة لها ومشتقة منها . وان إمارة المنتفق غطت عليها أو دخلت هي ضمنها بل ضمن أحد أثلاثها ، وصار للخزاعل ذكر بعد ذلك ، ومثله لعشائر زبيد وعشائر أخرى ... مالت عشائرهم الى الارياف فضعفت تلك الوحدة أو القوة وتبعثرت الإمارة . وهكذا كان شأن العشائر كلها في تحول مستمر وتطور لا حدود له . ونخوة

الجشعم (عبـد المشورب) وهو ناصر المشورب • أخـذت فرقها عن الشيخ محمد وهي :

١ ـ الشيوخ • جنعـان وأسـرته • ويتفرعون الى الحسـين والثويني •

٢ ـ الناصر • رئيسهم سلطان بن ناصر •

٣ ـ آل جنعان • وجنعان ورد في عمود نسبهم • ورئيسهم اليوم سرحان بن جنعان •

٤ ـ آل بندر رئيسهم حسن •

٥ ـ اللهيب • رئيسهم شافي • وهم من عشيرة اللهيب •

٦ ـ الشـليهم • رئيسهم بريجي بن مطلق الرحال •

ويلحق بهم :

١ ـ المخالي • رئيسهم شعلان الصران.

٢ ـ الشهبان •

ويساكنهم الجنابيون • المسعود ، والبو براطم وهؤلاء الجشعم في المهناوية المنسوبة لجدهم (مهنا) • وفي أنحاء الكوفة (كرمةالجشعم) عرفت بهم • وكانت لهم الرئاسة العامة عـلى عشائر كثيرة أذعنت لهم بالطاعة • وكان العثمانيون استغلوهم للقضاء على المنتفق فلم يفلحوا • والآن في حالة ضعف ولكنهـم لا يزالون محافظين على عزة نفوسهم ، لا يفترقون عن البـدو في اللهجة ويتعاطون قصيد البـدو ، والحداء وسائر آداب البادية • وكان الشيخ محمد أكثر حفظاً لشعر (رميزان) و (راكان) من شعراء البادية •

ويجاورهم بنو مالك في فروع كثـيرة منهم ، وخفاجة ، واجود وعشائر كثيرة •

٤ ــ تاريخ العراق بين احتلالين (ج٤).

قبيـــلة قشـــعم

معروفة في العراق برياستها القبائلية ، ولكن الأيام جردتهـا من قبائلها فصارت مفردة عن غيرها لمحافظتها على بداوتها • وأول ما ورد ذكرها في تاريخ العراق في حوادث سنة ٩٥٣ هـ ــ ١٤٥٦ م • وأول ذكر لها جاء في قصيدة للشاعر فضولي البغدادي مدح بها اياس باشا والي بغداد في انتصاره على هذه القبيلة كما أن صاحب كلشن خلفا بيّن أن هذا الوالي وجد هذه القبيلة سلكت طريق العصيان فقام بتأديبها • وأعاد القول فيها في حوادث سنة (١٠١٨ هـ ــ ١٠٢٠) •

ثم توالى ذكرها في التاريخ لمجلداته الاخرى ، ولا تزال الى اليوم • والمعروف أن الرياسة القبائلية كانت لابن قشعم إلا أن القبائـل التي تحت سلطته قـد انعزلت منه واستقلت بتسميتهـا ، وعرفت بأسمائها الحالية وضعفت قدرته فتكونت من بيته قبيلة تفرعت الى أفخاذ • ولم تعرف قبيلة قديمة باسم (قشعم) قبل هذا •

والظاهر أن هذه القبيلة من الاجود وابن جشعم أحد رجالها تولى رياستها • ولمـا سارت قبائلها الى الحالـة الريفية انفصلت من الرياسة العشائرية ، ولم تبق على البداوة ، وسألت الشيخ محمداً فقال لي اننا جشعم ، وهي أصل • ولم يزد على ذلك • واختلف في أصلها • فمنهم من يقول أن قشعماً هو ربيعة بن نزار من القبائل العدنانية ، ومنهم من

يقول انهم من بني (ماء السماء) من القبائل القحطانية . والتدوينات جاءت للجهتين [1] . ذكره في مطالع السعود وفي القاموس المحيط .

وكان الاستاذ يعقوب سركيس قد ذكر رئيسهم المعاصر عقاباً فعدد أجداده . ورأيت الشيخ محمداً وهو أخو عقاب فذكر لي الشيخ محمد أن أخاه هو الرئيس وهو (عقاب بن صقر بن ثويني بن عبد العزيز بن حبيب بن صقر بن حمود بن كنعان بن مهنا بن ناصر بن مهنا بن سعد ابن المنذر بن قسام ابن ما (من) بن قشعم بن سعد بن غزي) ويدعون أنهم نزحوا من نجد في أيامه [2] . وهذه الاسماء يصعب ضبطها . وبين ما ذكرته وما ذكره الاستاذ يعقوب تفاوت يسير .

وهؤلاء في تسلسلهم ورد ذكر بعضهم عند الكلام على وقائعهم . وتأتي في حينها . وليس هنا محل بيان الوقائع التالية لما بعد هذا الجزء .

والملحوظ أن هذه ليست أكثر من إمارة أو رياسة قبائلية فتعد قاطبة القبائل البدوية ، وان المنتفق وإمارتها استقلت بناحيتها ثم فاقت على الكل ودخلت هذه وغيرها ضمنها ، بل ان الخزاعل صار لهم الذكر بعد ذلك كما كان لقبيلة عبادة قبلاً ، ولخفاجة ... وان قبائلهم مالت الى الارياف ؛ فانقسمت عرى القوة ، وتبعثرت الإمارة . وهكذا شأن القبائل في تحول مستمر وتطور لا حدود له ...

وفروع القشعم ، أخذتها عن الشيخ محمد (أخي رئيسهم) وهي :

---

(١) مطالع السعود والقاموس .

(٢) كتاب (مباحث عراقية) للاستاذ يعقوب سركيس ص ٩١ وما بعدها وص ١٣١ وفيه تفصيل .

١ ـ الشيوخ . كنعان وأسرته .

٢ ـ الناصر . رئيسهم سلطان بن ناصر .

٣ ـ الكنعان . (هو كنعان) الوارد في عمود نسبهم . رئيسهم سرحان بن جنعان .

٤ ـ البندر رئيسهم حسن .

٥ ـ اللهيب . رئيسهم شافي .

٦ ـ الشليهم . رئيسهم بريجي من مطلك الرحال .

ويلحق بهم :

١ ـ المخالي . رئيسهم شعلان الصران

٢ ـ الشهيان .

ويساكنهم الجنابيون ، والمهناوية منسوبة لجدهم (مهنا) وفيها المسعود واليسار ، والبو براطم . وفي أنحاء الكوفة (كرمة الجشعم) معروفة . وقائعهم في العراق مدونة . وكانت لهم مكانة أذعنت لهم قبائل كثيرة بالطاعة ، وتولوا رياستها العامة . والآن في حالة ضعف ، ولكنهم لا يزالون محافظين على عزة نفوسهم ، ولا يفترقون عن البدو في اللهجة ، وقصيد البدو والحداء وسائر أدب البادية . وهم متصلون بالبدو من جهات عديدة . شاهدت الشيخ محمداً . وكان عارفاً بأحوال البادية . وأكثر ما يحفظ شعر (رميزان) ، وشعر (راكان) من شعراء ويجاورهم بنو مالك في فروع كثيرة منها ، وخفاجة ، والاجود وقبائل أخرى .

هذا • ولا مجال للتوسع بأكثر من هذا • والتفصيل في (كتاب عشائر العراق) •

ابن قشعم (ص ٢٠٨) :

في تاريخ ابن الفرات في حوادث سنة ٧٩٥ هـ جاء ذكر لابن قشعم (ثامر) تألم من الأمير نعير ومن حكومة الشام ، فأمر عربانه بالرحيل الى جهة نعير فجازوا على أملاكه بالبصرة فاستولوا عليها ونهبوها • وهناك تفصيلات عن آل مري وعن نعير وأولاده مما لم نره في غيره (١) • وهكذا يستمر بسعة في حوادث بغداد والسلطان أحمد ••• وفي هذا ما يعين أول علاقة لابن قشعم وامارته بالعراق ، ولم يذكر اسم هذا الأمير في سلسلة الرؤساء الموجودين في ص ٥٠ من المجلد الرابع ، فجاء في هذا ما يبين عن أحد رؤسائهم •

وقد عاد المؤلف إلى ذكرهم مرة أخرى حين تحدث عن الإمارات العراقية ؛ وقد تحدث عن إمارة اليزيدية أولاً ثم ذكر إمارة القشعم ، فقال :

٢ ــ القشعم :

مر بنا أن هناك قبائل أخرى مثل (غزية) وآل قشعم ، وزبيد ولكنها لم تشترك في الحروب ولم تنتصر لناحية ، و لاتزال العشائر محافظة على أوضاعها السابقة• تخشى الحكومات وتود الابتعاد عنها•••

(والقشعم) من هذه القبائل أكثر ذكراً بين قبائل العراق مع طيء. ينطق بها (الجشعم) وهي معروفة •

(١) كلشن خلفاء ومرآة كائنات ص ١٢٧ واولياء جلبي ج ٤ ص ٤١٤ •

وحين ختم بحثه ، عاد إلى ذكر القشعم مرة أخرى ، على أنهم من القبائل الذين ظهروا بمظهر القوة ، خلال حديثه عن أهل العراق وعلمائه وحالته ، قال :

والعراق لم يمت أهلوه ، ولا انقطع العلم منهم بسبب مدارس الاوقاف ، وعناية الدولة بها ارضاء للاهلين • وعلماء بغداد والمدرسون فيها ساروا على ما سار عليه أسلافهم ولا عبرة بالمقياس القليل ، أو الكثير ••• والنتائج لم تعدم ولا يخل الزمن من ظهور نبغاء في علوم مختلفة وفي الآداب العربية الا أن تغلغل الفارسية والتركية كان قويا جدا • قدمنا جملة صالحة من أدبائهما في هذا العهد • والكل من المتعلمين المتوغلين في التركية والفارسية جرفتهم آدابها ، واستولت عليهم أفكارها في التصوف وغالبه غال ••• مما أضر بنشاط الروح ، وأخمد الجذوة أو أدباء وشعراء وما ماثل... وليس للعربية سوق ولولا أنها لغة الدين ، وأنها واسطة تقدم الفارسية والتركية لصارت في خبر كان••

والحالة ساءت أكثر مما عليه في العصور السابقة • ركد الروح علمياً ، أو قل انتشر الى الخارج واستفادت الاقطار الاخرى بل اقتطفت ثمارها ، وما ذلك إلا لقلة أيام الراحة ، وكثرة الاضطراب وتداول أيدي حكومات مختلفة المشارب والمناهج الادارية والثقافية•••

والعشائر لم تظهر بمظهر القوة إلا قبيلة طيء وقبيلة قشعم • وكذا بعض الامارات • فهي لا تزال محافظة على مكانتها الى هذا الحين وبعده.

وأهل المدن كانوا في عناء ووبال لم يروا راحة بل هم في اضطراب• والوقائع تعين نفسياتهم وأحوالهم •

ويعود إلى الكلام عن الشيخ شبيب وزيارته الى بغداد وشكاته قبيلة غزية ، فقال :

جاءه أمير قشعم شبيب يشكو حال غزيّة ويقول أنهم اتفقوا مع شيخ المنتفق مغامس وتعاهدوا فيما بينهم ، ولما انكسر الشيخ مغامس صار يتجول ذهب الى الاحساء مرة والى الحويزة أخرى ، يحاول تجديد العهود مع العشائر ولم يجد من يوافقه إلا غزية ، جدد العهد معها على أن لايأتيه شر منها وتعهدت بسد هذه السلمة أو الثغرة من الشامية ...

وحينئذ هاجم حسكة فانتهب بيادرها ... ونهب (الرماحية) وسائر أنحائها وأحرق الزرع أيام الصيف .

أخبر الوزير بكل ذلك وقيل له اذا داموا على هذا تطاير شررهم وتعسر القضاء على الفتن ...

تحقق الوزير صحة هذه الاخبار كما حكاها أمير قشعم إلا أنه أخر سفرته أياماً ريثما تتم الزروع خشية أن تنتهب ... والصحيح أنه كتب الى دولته فأرسلت اليه مرة أخرى والي ديار بكر ، ووالي كركوك بكهيانهم وبجنود غير قليلة . وكذا والي الموصل ووالي ديار الكرد جعلا تحت أمره فوردت الجنود تترى ... ومن ثم غزاهم إذ أنهم نقضوا العهد فوصل الى الحلة وكان خروجه من بغداد في نهاية شهر رجب . ثم سمع أن القوم تشتتوا حينما علموا بالتأهب عليهم فسكن قسم منهم (الاخيضر) والقسم الآخر أقام في (دبلة) . وحينئذ أرسل الوزير شبيباً (أمير قشعم) مع أربعة آلاف فارس . أمّره عليهم

ليذهبوا الى حدود شفاثة [1] ، وذهب الوزير الى جهة (دبلة) • ولما وصل اليها لم يجد للقوم أثراً • وردت بلفظ (وبلة) •

وفي هذه الاثناء بدر له أن يميل الى الحسكة • وهناك كان الشيخ اسماعيل في بني مالك • ومن صدق لهجته علم الخبر وتيقن أن أصل هذه الفتنة الشيخ مغامس ، وانه حدث بينه وبين المنتفق خلاف •••

وعلى هذا توجه من هناك وقصد منازلهم فوصل الى محل (شوكة)

أما مغامس فلم يطب له المقـام في كل هذه الأصقاع فذهب الى الحويزة فنظم الوزير الامور خلال سبعة عشر يوماً أقامها في تلك الديار. وحينئذ وصل الشيخ شبيب أيضاً فنال اكرام الوزير ولطفه • وذهب الى شفاثة (شفاثا) فعقب الفارين واستولى عـلى ابلهم وأموالهـم ونجوا بأنفسهم فنال من الوزير خلعاً فاخرة وكذا الرؤساء الآخرون أنعم على كل منهم بانعام يليق به وعلى ابن الشيخ شبيب، وقدر سعيهم.

قالوا : « وان آل قشعم من أهـل النسب العريق بين العشائر • وان رئيسهم صادق اللهجـة وله خدمات تذكر له فهو منقـاد لأوامر الحكومة • ولذا عادته العشائر حتى انهم نهبوا بيته مرات • وحاولوا اهانته فاستحق من الوزير كل رعاية ••• » •

كان على المرام • قام بكل ما فوض اليه من المهام حباً في الاطماع والرئاسة •••

---

(١) وردت في معجم البلدان بلفظ (شفاثا) راجع (عين التمر) منه •

ثم عين الوزير ضابطاً لناحية (الجوازر) ورجع • ولما وصل الى شريعة (أبو عمّار) هلّ شهر الصيام فقطع المراحل بلا توقف • وفي اليوم السابع وصل الى بغداد •

★ ★ ★

٥ ــ تاريخ العراق بين احتلالين ج ٥

مرّبنا حديث الغزاوي في الجزء الرابع من كتابه (تاريخ العراق بين احتلالين) عن القشعم ، وهو هنا يتطرق الى ذكر القشعم وشيخهم شبيب مع قبائل غزيه ، قال :

غزية وقبائل أخرى :

بينا الوزير والاهلون في راحة إذ ورد الشيخ شبيب أمير قشعم يشكو من عشيرة غزية و (ساعدة) و (آل حميـد) و (آل رفيع) مبيناً أنهم أغاروا على المجاورين وأخذوا أغنامهم وأموالهم وعاثوا في أنحاء السماوة والرماحية ونهر الشاه وماوالى • فأحدثوا أضراراً بليغة •

وفي هـذه الاثناء جـاء رسول من ضابط الحلة فأيد ما قـال (أمير قشعم) • فاهتم الوزير للامر خوف استفحاله وسارع للذهاب • وفي يومين أو ثلاثة أيام وصل الى قرب الحلة فاستراح قليلاً وسار تواً فعبر الشط ومضى لجهتهم بقصد أن يدركهم • وكانت المسافة أربعين ساعة • قطعها بثلاثة أيام أو أربعة أيام لكنه لم يدركهم • سمعوا بالخبر ففروا وتفرقت جموعهم •

ولم يتركهم الوزير وشأنهم وانما بعث خلفهـم بألف فارس من جنده ليدكوهم • وصار هو أيضاً يتحرى عنهـم ويتعقب أثرهم يمنة

ويسرة الى نصف الليل . ولما بدت بشائر الصبح تبين أثر أظعانهم فوجدهم قرب القائم ، وحينئذ تركوا الاثقال والعيال والاطفال ونجوا بأنفسهم ... والكثير منهم ألقى بنفسه في الماء ...

وحينئذ غنم الجيش أموالهم وخيامهم وابلهم وبقرهم وخيلهم وعاد من ناحية القائم .

ومن هناك مضى الجيش لتعقيب عشيرة ساعدة فظفروا بها وغنموا أموالها وأرسلوها الى الحلة . فعادوا ظافرين منتصرين وألقي القبض على اثنين من مشاهيرهم فكان لهذه الوقعة تأثيرها .

حوادث سنة ١١٤٧ هـ ـ ١٧٣٤ م

الوزير اسماعيل باشا

عزل ونصب :

عزل الوزير أحمد باشا ووجهت اليه إيالة حلب فامتثل الامر ونصب مكانه اسماعيل باشا ، وكان والي طربزون [١] .

آل قشعم :

حارب والي البصرة عبد الرحمن آل قشعم فصالحوه على مال [٢].

---

(١) تاريخ صبحي ص ٦٣ ـ ١ ودوحة الوزراء ص ٣٩ .

(٢) عمدة البيان في تصاريف الزمان.

حوادث سنة ١١٥٣ هـ ـ ١٧٣٩ م

آل قشعم والسرحان والاسلم وبنو صخر :

قالوا : ان آل قشعم سلكوا طريق النهب والغارة وشوشوا على الحكومة • اتفقوا مع عشيرة السرحان ، وعشيرة الاسلم ، وبني صخر ، تجمعوا في محل يبعد عن شفاثا بضع ساعات • وهذا مكان منقطع خالٍ من المياه تحصنوا فيه •

ولما رأى الوزير ذلك عزم على القضاء على غائلتهم ، جعل جيشه قسمين قسماً منه تحت قيادة كتخداه سليمان باشا ، وكانت وجهته بلدة هيت ، والآخر تحت قيادته وتوجه به من أنحـاء كربلاء ، أغاروا من جانبين • ودامت غارة الوزير أربع ساعات بلا راحة ولا وقفة في شدة الحرّ والعطش فتيسر له الوصول وقت السحر الا انه هلكت منه نفوس كثيرة وحيوانات وفيرة • وان بقية الجيوش لبثت في مكانها ولم تتمكن من الدوام نظراً لما نالها من الاعياء •

كان الوزير أمام الجيش سائراً ولم يكن معه سوى من هم بصحبته من أعوانه ولم ينتبه الا والشمس علت بارتفاع رمحين • وحينئذ رأى جموع الاعداء قد خفوا عن الابصار بسبب ما كان من حواجز وعوارض طبيعية •••

شاهد الوزير الاعـداء فرتب جمعه ومن عنده ومن ثم هاجمهم وهكذا كان والده يفعل فوجه عنان فرسه وصال صولته المعروفة •••

وبينا الاعداء تأهبوا لحربه ومناوأته من جميـع أطرافه إذ رأوا

الاثقال أتت ظنوها الجيش الاصلي فداخلهم الارتياب وكسرت قوة صبرهم ، فاستولى الرعب عليهم وشغلوا بأنفسهم .

وفي هـذه المعركة قتل ابن عم رئيسهم صقر ، وهو سعد وكان أعور وخذل الباقون ، تركوا أموالهم وسائر أثقالهم وأخبيتهم . وكان من جملة ما استولى عليه الجيش زوجة صقر فردّها الوزير مكرمة ولم يتعرض لها أحد ...

ثم أمر بنصب الخيام . ولم تأت العساكر المنقطعة الا بعد أن مضى نصف النهار . رأى هؤلاء في طريقهم كثيراً من الجرحى والفارين وفلولهم فكانوا يعجبون ويقولون ما هذه الا فعلة ملائكة أعانت الوزير ليوقع هذه الوقيعة ...

أما سليمان باشا فانه ذهب بجيشه ولم يصل الى المطلوب إلا أنه وقع بغير هؤلاء من أهل الشقاء فمزق شملهم وشتت جموعهم ورجع ظافراً ... [1] وجدهم آمنين فأصابهم على غرة ولم يسسهم ...

ثم عاد الوزير الى بغداد غانماً . وكل غزواته مثل هذه سلب ونهب لا تختلف عن عمل العشائر .

وللشيخ عبد الله السويدي قصيدة طويلة في مدحه .

وفي الحديقة أن الوزير سار من بغداد في يوم وليلة طالباً آل قشعم فأدركهم في الرحالية فوق شفاثا بأربعة فراسخ ، وكانت المواقعة في شدة الحرّ ، فأخذهم أخذ عزيز مقتدر ، وصرف في تلك الغزوة على عساكره

(١) حديقة الزوراء ص ١٥٠ ـ ١ وما بعدها ، ودوحة الوزراء ص ٤٩ .

مقدار خمسمائة كيس . ولما جمعت الغنائم وهبها لأخت شيخهم كرماً منه ؛ وأبدى همة يعجز عنها ذوو الهمم العلية من الوزراء ومكرمة يعجز عنها سخاء حاتم في وقت الرخاء ، ونظم السيد عبد الله الفخري قصيدة في مدح الوزير ، قال فيها :

عقاب الوغى لما بدا طار صقرهم
لدى حيث ألقت رحلها أم قشعم

٦ ـ تاريخ العراق بين احتلالين (ج ٦)

ثم عاد العزاوي فذكرهم في الجزء السادس (ص ١٢٧) فجاء بنص طريف يعلل سبب فرض الغرامة التي فرضها والي بغدادي على الشيخ ناصر بن حبيب قال :

قشعم :

ثم ان الكتخدا لم يكتف بما أخذه وما انتهبه بل أعاد الكرة على قشعم وأبدى أن شيخها (ناصر الحبيب) تراخى في الخدمة أثناء سفره الى الاحساء فطلب منهم خمسمائة بعير وألفي شاة فلم يستطيعوا والتمسوا العفو فعفا عن النصف وأخذ النصف الباقي وتوجه الى بغداد .

٧ ـ معجم قبائل المملكة العربية السعودية [1]

---

(١) معجم قبائل المملكة العربية السعودية ص ٦٥٨ . النادي الأدبي الرياض ١٤٠١ هـ

قال الشيخ حمد الجاسر : القشاعمة (القشعم) من آل جعفر من عبده من شمّر (١) . وقد ناقشنا الشيخ حمد في هذه المقولة ، وسيرد ذكر ذلك أثناء الحديث عن القشعم في المملكة العربيـــة السعودية إن شاء الله .

٨ ــ المعجم الجغرافي للملكة العربية السعودية.

وكتب الأديب عبد الله بن خميس يقول [١] في معرض حديثه عن أشهر الأسر في الزلفي ومنهم .. « آل قشعم .. » ومنهم المسفر طبعاً ، والفايز ، والنصّار .

كما ذكر هؤلاء حمد الجاسر في كتابه (جمهرة الأسر المتحضرة في نجد ، قال : (ومنهـم) .. (آل فايز ، وآل قشعم ، وآل مسفر في بريدة والكويت ، وآل نصار) [٢] .

* * *

---

(١) عبد الله بن خميس ، المعجم الجغرافي للمملكة العربية السعودية معجم العمامة ج ١/٥٣٤ .

(٢) القسم الثاني من جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد ص ٧٢٦ دار اليمامة الرياض ، ١٤٠١ هـ .



حروب آل قشعم وغزواتهم



حروب القشعم وغزواتهم

خاض القشعم كثيراً من المعارك والغزوات ، انتصروا في بعضها ، وانكسروا في بعضها الآخر شأنهم في ذلك شأن كل القبائل والجيوش .

وتعتبر غزواتهم الأولى المدوّنة في تاريخ ابن الفرات ، أول ما نقف عليه من حروبهم ، وقد كانت موجهة ضد امير الفضول نُعَيْر فنهبوا عربه في البصرة ، وسلبوهم . ثم بدأت شوكتهم تقوى ويستفحل أمرها الى أن صاروا يفرضون الرسوم على القوافل فقد مر ذكر ذلك أثناء الحديث عن تاريخ القشعم كما جاء في كتاب (مباحث عراقية) حين يروي قنصل فرنسا في رحلته من حلب الى بغداد أنه كان عليهم النزول لدفع الرسوم والضرائب للملك العربي ناصر بن مهنا ، وهـذا كان في نهاية القرن العاشر ، وبداية القرن الحادي عشر .

ثم خاضوا حرباً نظامية مع جيش بغداد ضد حملات نادر شاه الذي كان يسعى الى احتلال العراق فقد ذكر أن والي بغداد أرسل مئتي جندي بقيادة أحد الضباط الكبار محمّلين بالهدايا لأمير القشعم زيادة في تكريمه يستحثه الحضور الى بغداد مع عربه للدفاع عنها ، وقد تم له ذلك (مباحث عراقية) .

ثم خاضوا حرباً نظامية أخرى في الإحساء ، حين خرج من بغداد جيش بقيادة أميرين ، الأول هو الأمير يحيى من قبل والي بغداد قائداً للجيش النظـامي ، والثاني هو الأمـير كنعان آل قشعم من قبل والي بغداد أيضاً ، لكنه قائد العربان التي جاءت مع الحملة سنة ثلاث عشرة ومئتين وألف[1] .

(١) هنـاك اضطراب في تاريخ الخبر، فقد ورد في غير هذا الموضوع عن تولي شيخه كنعان أنها كانت سنة ١٠٧٥هـ.

حــين جهز سليمـــان باشا والي العراق جيشاً كثيفاً من العساكر النظامية ، ومن الأكراد ، والمجرّة ، ومن أهل البصرة ، وأهل الزبير ، ومن البــوادي • بني المنتفق •• وآل بعيــج ، والزقاريط ، وبوادي شمّر ، والظفير والقشعم ، وكان أمير العساكر النظامية هو الأمير يحيى، وأمير عرب البوادي هو الأمــير كنعان آل قشعم ، وبلغ عــدد خيلهم ثمانية عشر ألفاً ، ومعهم المدافع الضخمة ، فسار الجيش متوجهاً الى بلد الإحساء ، وحصروا بلد الهفوف حتى احتاوها ما سوى قصر الكوت ، وما أحاط عليه سور الكوت •

وباحتلال الهفوف سلمت لهم جميع قرى الإحساء ، ثم توجهوا الى بلد المبرّز ، وحاصروا قصر (صاهود) الموجود بها ، من سبع ليالٍ خلت من شهر رمضان ، الى سبع ليالٍ مضت من ذي القعدة ، وهاجموه بالزحافات ، ورموه بالمدافــع ، وحفروا نفقاً يصل الى جــدار القصر وشحنوا النفق بالبارود ، وأشعلوا فيه النار ، ولم يقدروا على فتحه ، وكلما حدث في جدرانه شيء من الخلل أصلحه من كان داخل الحصن ، وكان فيه مئة رجل من أهل نجد ، أميرهم محمد بن سليمان بن ماجد من أهل ثادق ، ولما يئس الجند من فتح الحصن ، وأضرّ بهم المقام ، ألقى الله في قلوبهم الرعب وزلزلوا ، فارتحلوا راجعين الى العراق •

وكان الإمام سعود وآل سعود قد سار بأهل نجد الحاضرة والبادية حتى وصل الى (ثاج) القرية المشهورة بين الإحساء والبصــرة ، وجاء علي الكيخيا ، ونزل الشباك المــاء المعروف ، وهو قريب من (ثاج) وجرت بين الجيشين مناوشات ، وأقامــوا عــلى ذلك أياماً ثم تصالحوا ورجع كل جيش الى وطنه ، ورحــل الإمام سعود وسار الى الإحساء ،

ورمم حصونه »[1] .

وأضاف صاحب كتـاب (مباحث عراقية) شيئاً آخر عن موقف القشعم مع آل عريعر يمكن الرجوع إليه في كتابنا هذا .

ومن الحروب التي خاضها القشعم ، وتروى شفاهاً ، ولم أقف لها على خبر مدوّن ، حروبهم مع أشراف مكة ، فقد استنجد الظفير بالقشعم ليعينوهم في حربهم ضـد الأشراف ، فتوجـه القشعم بقيادة ناصر بن حبيب (المشورب) إلى منطقة يقال لها (عريق الدّاث) بالقرب من الرّس بنجد ، وخاضوا حرباً ضروساً مع الأشراف ، انتهت بمقتل ٢١ شريفاً منهم ، وبتخليص الظفير من سطوتهم ، وعادوا بهم الى العراق .

إلا أن أغلب حروب القشعم كانت مع الولاة الذين حكموا بغداد. ويبـدو أن الأمور في البداية كانت تسير لصالحهـم ، فمنذ أن كلّف الأمـير ثامر بن قشعم بمحاربة نُعَيْر أمـير الفضول ، كانت تحركاتهم رسمية مغطاة من قبل السلطان الملك الظاهر برقوق .

وحين جاء العثمانيون علا شأن أميرهم ناصر بن مهنا الذي يعتبر أعظم شخصية ظهرت في تاريخ آل قشعم ، وهو من أحفاد ثامر آل قشعم وقد كانت علاقته بالقصر في بغداد وثيقة ، وكان والياً فعلياً على الكوفة والبصرة والحلة ، وعلى بوادي هذه القصبات في جنوب العراق . وقد نال عدة ألقاب خلّفها لأبنائه فيما بعد .

---

(١) انظر : فصل تاريخ القشعم ، وانظر (تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء في القديم والحديث) ص ١٣٦ ــ ١٣٧ ، محمد بن عبد الله آل عبد القادر الأنصاري الاحسائي ، طبع باشراف حمد الجاسر ، الرياض ، ١٣٧٩ هـ ١٩٦٠ م .

وكان يأخذ الرسوم والأتاوات ، وبعد وفاته أخذت الأمور تسير بين مدّ وجزر ، لا سيما بعد أن سيطر المماليك على بغداد .

فتارة تكون علاقتهم طيبة مع آل قشعم فيحاربون معهم ، وتارة أخرى يحاربونهم وينتصرون عليهم ، أو يصالحونهم ، وربما انتصروا عليهم دون أن يمسّوا بيت أميرهم لمكانته عندهم ، كما حدث سنة ١١٥٢ هـ حين حاربوا القشعم بقيادة الأمير صقر ، وانتصروا عليهم ، وصدرت الأوامر للجيش المنتصر ألاّ يمسّ بيت الأمير صقر ، ثم عفا عنهم الباشا .

وأحياناً يتحالف القشعم — مع ما لديهم من قبائل — مع عرب الأردن ويستنهضون همم أعمامهم في حايل لمساعدتهم ضد الولاة المماليك في بغداد كما حدث سنة اثنين وخمسين ومائة وألف حين تحالفوا مع السرحان وبني صخر والأسلم وشمّر ضد الكتخدا سليما باشا وقد مر ذكر ذلك .

حروبهم كما وردت في كتب التاريخ باختصار :

١ — تاريخ ابن الفرات :

يذكر خروج ثامر بن قشعم لحرب نعير أمير الفضل وآل فضل وانتصاره عليهم حوالي سنة ٧٩٥ — ٨٠٧ هـ .

٢ — كلشن خلفا :

يذكر أنهم تمردوا على والي بغداد التركي سنة ٩٥٣ هـ فسار إليهم إياس باشا ، فقضى على تمردهم ، ولكنه لا يذكر اسم أميرهم .

٣ — تاريخ بغداد :

أصدرت حكومة بغداد قراراً بعزل شيخ القشعم عبد العزيز بن حبيب وتنصيب أخيه شبيب ، فثار عليهم عبد العزيز وقوم من عربه ، فخرج اليهم الوزير علي باشا ، وحاربهم •

خرج الشيخ شبيب بن حبيب لمحاربة آل غزية ، وآل حميد ، وآل ساعدة ، وآل رفيع حوالي سنة ١١٤٢ هـ فحاربهم وانتصر عليهم • وتأمّر على جيش نظامي أيضاً ، فخرج الى هور نجم على الحدود العراقية الإيرانية فانتصر على المتمردين وعاد الى بغداد مظفراً •

٤ ــ غاية المرام :

ضمن أخبار سنة ١١٣٨ هـ •عصى أمير القشعم محمد بن مانع [1] فحاربه والي البصرة عبد الرحمن باشا وانتصر عليه •

وفي سنة ١١٥٢ هـ انتصر عليهم الوزير أحمد باشا وهرب أمير القشعم صقر ، وحمى أحمد باشا بيت صقر من النهب ، ثم صالحه •

٥ ــ مطالع السعود :

يذكر حرب صقر مع أحمد باشا سنة ١١٥٢ هـ أيضاً ، ويذكر شفاعتهم لعنزة عند الوالي •

٦ ــ دوحة الوزراء :

الجديد فيه تحالف قشعم مع السرحان وبني صخر ، وأسلم سنة ١١٥٢ هـ ضد أوامر الحكومة العثمانية في بغداد ، ومقاتلة علي باشا

(١) وقد سبق القول منا بأن هذا الاسم من أسماء شيوخ المنتفق •

لعبد العزيز بن حبيب آل قشعم ، وذلك لعدم موافقته له على غزو الإحساء •

وفي العصر الحديث كانت آخر حروبهم ضد الانكليز جنباً الى جنب مع عجمي السعدون من عام ١٣٣٣ ـ ١١٣٥ هـ • وكانوا قد حاربوا مع أبيه سعدون السعدون في موضع يقال له (الجريبعات) ، ثم حاربوا معه في وقعة (هدية) ، وهم بقيادة الشيخ عبعوب •

وكان الشيخ عقل القشعم خاض وقعة السبلة في جيش الملك عبد العزيز رحمه الله ، وهي آخر وقعة قاتل فيها القشعم •

القشعم والمنتفق

في سنة ١٢٢٧ هـ = ١٨١١ م فرّ سعيد باشا بن سليمان باشا الاول من بغداد والتجأ الى شيخ المنتفق حمود بن ثامر ليساعده على توجيه وزارة بغداد له بمكاتبة الدولة في الآستانة ، وكان وزير بغداد آنذاك عبد الله باشا ، وقد قفل راجعاً من محاربة الأكراد والعصاة في نواحي الموصل ، فغضب عبد الله باشا ، وأصدر أمراً بعزل حميد عن مشيخة المنتفق لقبوله التجاء سعيد باشا إليه ، وعين بدلاً عنه نجماً بن عبد الله ابن محمد بن مانع ، وهو أخو ثويني • وأرسل له رسلاً يطلب منه تسليم سعيد باشا ، ولما امتنع من تسليمه كما رأينا زحف عليه بالجنود ، وكانت نتيجة المعركة أن حمود بن ثامر استطاع اعتقال عبد الله باشا ومعه طاهر بك ، وشخص ثالث ثم قتلهم ، وعاد بسعيد باشا الى بغداد بمحفل عجيب •

ثم كاتب سعيد باشا الدولة العثمانية طالباً وزارة بغداد لنفسه فأرسلت الدولة له مرسوماً بإسناد إيالة بغداد إليه وشهرزور والبصرة •

وكان هذا الأمر قد انعكس سلباً على القشعم ، فصاروا تحت رحمة حمود بن ثامر الذي أكرمه سعيد باشا بتأميره للمرة الرابعة ، ومنحه جميع مافي جنوب البصرة من القرى والنخيل يستوفي وارداتها لنفسه هي وما جاورها • ثم ابتسم الزمان المنتفق فأطاعهم الحاضر والبادي •

وكان الوالي سعيد باشا غير مرتاح للقشعم ولا لأقربائهم من شمّر ، فإنه ما كاد يستقر ويضع القشاعمة تحت رحمة حمود بن ثامر ، حتى التفت الى بنية بن قرينس الجربا الطائي الذي هرب من الوالي • وفي سنة ١٢٣١ هـ = ١٨١٥ م نزل بنية بعشيرته على قبيلة خزاعة ليكتال منهم ، وكان بينه وبين الدريعي الرويلي العنزي ضغائن قديمة فاقتفى الدريعي أثره ، واستنفر حموداً بن ثامر ومدداً من وزير بغداد بقيادة قاسم بن محمد الشاوي وحصلت معركة دامية انجلت عن قتل بنية وقطع رأسه وإرساله الى الوزير [1] ، وهذا ما فتّ بعضد القشاعمة أيضاً •

وظل الزمان يدير لهم ظهره ، حتى جاء داود باشا الذي ثار على سعيد باشا سنة ١٢٣٢ هـ = ١٨١٦ م فخفف عنهم بالحد من سلطة حمود بن ثامر •

ثم صارت أمور القشعم والمنتفق صالحة إذ تصالحت القبيلتان ، وصار موقف حمود جيداً معهم ، حتى إذا كان عام ١٢٤١ هـ جنح الوزير داود باشا الى عزل حمود وتولية (برّاك بن ثويني الشبيبي) ، ولما فشا خبر عزل حمود وبلغه ذلك تظاهر بالعصيان على الدولة ، وأرسل يستقدم محمد بك الكتخدا العاصي على الدولة والمقيم في الحويزة ، فجاءه مسرعاً فجعلا يثيران الفتن •

---

(١) التحفة النبهانية ج ١٠/٧٨ •

وهنا ما كان من آل قشعم إلا أن انضموا الى المنتفق ضد داود باشا ، وشاركهم آل الحميد ، والرفيع ، وهذا أمر طيب .

فأعلن داود باشا بشكل رسمي تولية عقيل بن محمد بن ثامر بن أخي حمود على إمارة المنتفق ، فغضب حمود ، وجاهر بالعصيان ، وأمر ابنيه ماجداً وفيصلاً بمحاصرة البصرة بمن معهما من الأعراب . واستقدم لمساعدتهما بني كعب شيعة المحمرة ، وسلطان مسقط ، السيد سعيد ، فأقبل بعساكره الإباضية ، ولكنهم انهزموا وتفرّقوا ، وتفصيل ذلك في التحفة النبهانية [1] ، لأني أريد الوقوف على أمر القشعم ، فإنهم حين خرج عقيل بن محمد بن ثامر من بغداد نحو مركز حكمه سنة ١٢٤٢ هـ . كان معه صفوق الجربا ، ومر على سليمان بيك الميراخور فوجده محاصراً لعشيرة الأقرع من الجبور ، وكان القشعم مع الأقرع ومعهم محمد بك الكتخدا العاصي على الدولة العثمانية ، ومعهم رستم خان رئيس بعض عشائر الشيعة ، فجرت معركة دموية انكسر فيها الأقرع والقشعم [2] . وهذا يعني أن القشعم ظلوا متحالفين مع المنتفق ، بينما كان قريبهم صفوق الجربا مع داود باشا ، برفقة عقيل بن محمد أمير المنتفق من قبل داود .

* * *

(١) الجزء العاشر ٨٧ .

(٢) المصدر السابق نفسه .

التشيّع في البلاد العربية

١ ـ في عمان .

٢ ـ في اليمن .

٣ ـ في مصر .

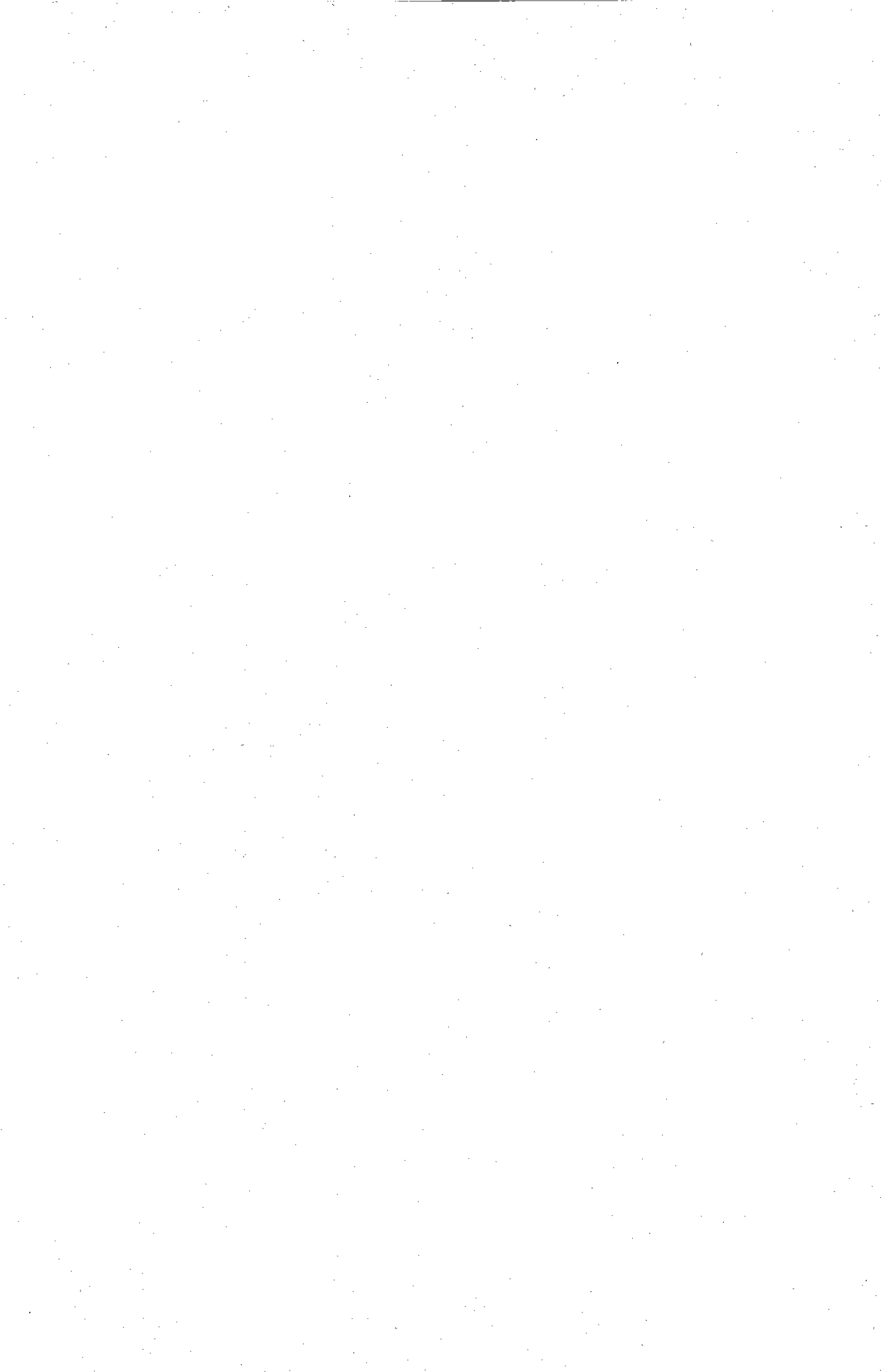
٤ ـ في الكويت .

٥ ـ في الأردن .

٦ ـ في سوريا ولبنان .

٧ ـ في العراق .

٨ ـ في السعودية .



القشعم في البلاد العربية

رحلات الشيخ عبد اللطيف آل قشعم

قبل أن أتحدث عن القشعم في العصر الحديث ، وعن مركزهم وتواجدهم ، وعن انتشارهم في البلاد العربية ، لابد من الحديث عن أعمال الشيخ عبد اللطيف آل قشعم وجهوده في سبيل البحث عن أفخاذ هذه القبيلة وفروعها المنتشرة في بلاد العرب وقد آليت على نفسي منذ بداية البحث أن أتجنب الحديث عن الشخصيات لأسباب عديدة يمكن إجمالها بالآتي :

١ ـ أريد أن آخذ بيد البحث ليمتاز من البحوث في هذا الميدان فلا يمدح القبيلة التي يتناولها على حساب غيرها أو دون ذلك لأنني أريد بحثاً علمياً صرفاً يمكن أن يعتبر عيّنة اجتماعية لمجتمعنا العربي الكبير وأسأل نفسي وأنا أسعى وراء هذا المطلب ، هل يمكن لباحث أن يمسك بالغصون ، ثم ينتقل منها الى الفروع فالجذوع، ، ثم الجذور ؟ ان البحث عن تاريخ قبيلة معاصرة ، ومحاولة الوصول بها الى الأبعاد العميقة أمر يكاد يكون مستحيلاً ، بالنسبة لي على الأقل ! •• إنني عاجز عن إعادة نسب رجل ما في هذه القبيلة أو في قبيلتي أو غيرهما الى أكثر ما هو محفوظ في الصدور •• أو ما هو في القمطر •

ولكن اليد تحسس الجذوع مجتمعة ، والقدم تمشي على الأرض تحاول أن تكون هي المطلوبة ، وهي المقصودة •

٢ ـ منذ البداية أيضاً كان هدفي أن أقدم دراسة علمية مشتركة بين معطيات علم الاجتماع ، ووقائع علم الأنساب ، على ضوء الأحداث والأخبار التاريخية . ومثل هذا الهدف يجعل البحث بعيداً عن المدح والثناء . ثم لنسأل أنفسنا ، ماذا ينفع المدح ، وأنا لست بشاعر ، ولا أطمع أن أتاجر في صناعة الكتابة ، بل إنني أؤمن أشد الإيمان بقول الله تعالى « إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا » وماذا يستفيد الباحث حين يستعمل معسول الكلام ، ومنمق الألفاظ ؟ !. وأنا ـ عبد الله الفقير الى رحمته دائماً وأبداً ـ لا أريد أن أحمل إثماً من وراء بحث يأتي في أمر من أمور الدنيا .

٣ ـ من أهداف هذا البحث متابعة الأسماء . والأمكنة ، وأثر الزمان والمكان في تبدل الأسماء . فقبيلة مالها اسم معروف في الجاهلية ، جاء الاسلام فانتقلت من ديرتها ، وخرج بعضها مع جند الفتح ، وربما خرجت بأكملها ، وربما خرج قسم منها مع جحافل الفتح على الجبهات الشرقية في بلاد فارس ، وبلاد ماوراء النهرين ، وخرج قسم آخر منها الى الجبهات الغربية في الشام وبلاد الروم ، وخرج قسم ثالث الي بلاد المغرب غازياً في سبيل الله . فاكتسبت في كل مكان نزلته اسماً جديداً ، وربما بقي اسمها مدة طويلة ثم جاءه حين من الدّهر فتبدل ، ثم صار اسم القبيلة في المشرق شيئاً ، وفي المغرب شيئاً آخر ، وبقي في الجزيرة العربية حيث الأرومة محافظاً على جذوره الجاهلية .

وربما بقيت القبيلة الواحدة داخل البلاد العربية ، لكن حدث فيه مايحدث في اللفظة العربية من إبدال موضعي ، فقشعم وجدناها في اليمن قعشم وفي عمان قشعم وقمشع كذلك ، وأحياناً يحدث قلب في المكانة لافي المكان فقبيلة طي معروفة في الجاهلية ، والاسلام ، الى نهاية القرن العاشر تقريباً حيث بدأ اسم شمّر يطغى على اسم طي ، رغم أن شمّر

مجموع قبلي يشكل قبيلة طي في الأصل لكن اختفى الأصل وظهر الفرع بدلاً منه ، وهكذا فدراسة مثل هذه الأمور هدف آخر لنا في هذا البحث .

٤ ـ موقف الاسلام من العصبية القبلية هدف مهم لنا في هذا البحث بدأنا به ولابد من فتحه بالحديث عن الحسب ، وفرق ما بين النسب والحسب واضح ومعلوم . وهذا الحديث يضفي الصبغة العلمية على البحث وهذا ما نريده له من أوله الى آخره .

كل هذه الأمور وغيرها درجت في ثنايا البحث وتضاعيفه تجعلنا نبعد عن درب بعض الشعراء ، فلا مديح ولا هجاء ، إنما هي الدراسة الجادة والاستقصاء .

ومع كل مامضى ، وما قيل هل يستطيع المنصف أن ينسى دور الرجل الذي بذل كل مايسكن في سبيل الحقيقة ، وفي سبيل لمّ شتات القبيلة المترامي المتناثر في كثير من البلاد العربية .

ومن أجل أهله وعشيرته قام الشيخ عبد اللطيف آل قشعم ، بما لم أقم به ، وكان من الواجب عليّ مادمت كاتباً للبحث ، وباحثاً في أمور القبيلة ، وعلى مدار ثلاث سنوات أقول كان من الواجب علي أن أقوم أنا بالمهمة الكبيرة التي قام بها ، ولكني أقولها صريحة ، لم أكن قادراً على القيام بما قام به الشيخ عبد اللطيف .

فقد حل ورحل ، وقام ونزل ، وانتقل من بلد الى آخر ، ومن قرية الى جزيرة ومن سهل الى جبل ، ومن سلم الى حرب في سبيل عشيرته ، وقبيلته ، ولم يكتف بذلك ، بل كان يستأنس بالمكتبات ، وبالكتب

يبحث فيها ، أو يأتي لنا بالكتب التي تتحدث عن القبيلة ، وطبعت طبعة قديمة ، أو هي مفقودة نادرة .

ولم يكن الشيخ يتوانى ، أو يتهاون في المساعدة ، وقد كانت رحلاته العديدة متعبة ، ولكنها وباستمرار كانت تفتح لنا أبواباً للبحث والتنقيب ، فإذا ما حل في بلد ما ، ونزل ضيفاً على قشاعمتة ، راح يسأل ويستفسر ، ويأتي لنا بالأوراق والثبوتيات التي تثبت انتماء تلك القبائل إلى القشعم ، وعليها أختام وتواقيع ثم يأتي فنجلس إليه نستمع منه ، ونأخذ عنه الذي سمعه هو ، ونستلم منه الأوراق التي جاء بها ، لتبدأ رحلة البحث التاريخي والتقصي القبلي لهـذا البلد الذي جاء منه ، لنرى واقعية ما أعطته إياه القبيلة التي تدعي أنها من القشعم ، ونقف أمـام سؤال آخر متى ذهبت تلك القبيلة الى هـذا البلد ؟ وهـل هم يعلمون أنهم من القشعم ، وأن لهم فروعاً أخرى في بلاد عربية أخرى ؟ وما هي القصة الكائنة وراء تواجدهم في مكانهم الذي زارهم فيه الشيخ عبد اللطيف .

المهم في الأمر هنا أنني كنت أمام رجل بذل مجهوداً كبيراً ، وكان في كل مرة يضعني أمام رحلة جديدة في بطون الكتب ، فهو يرحل على الأرض من بلد الى بلد ليأتي فيدفعني إلى رحلة من نوع آخر أجد فيها نفسي على الأوراق من كتاب الى كتاب .

وقد رحل الى عمان ، واليمن ، ومصر ، والكويت وهي الرحلة الوحيدة التي رافقته فيها ، ثم عدنا فرحل إلى الأردن ، ثم الى الكويت ثانية، ثم الى العراق، ومنها عاد الى الكويت ، فالمملكة العربية السعودية.

وقد كنت قمت برحلة الى القشعم المتواجـدين في تدمر حاضرة بادية بلاد الشام ، كما كان أمر القشعم في لبنان معروفاً لدى أقربائهم

في تدمر وبينهم صلات دائمة ومستمرة ، ولم تسمح الظروف التي يعيشها لبنان بالوصول إليهم والوقوف على أخبارهم التي دوّنت عن طريق أبناء عمومتهم في سورية ، وعن طريق بعضهم الذين يعملون في السعودية •

وهكذا كان لا بد من تسجيل الدور الكبير الذي قام به الشيخ عبد اللطيف القشعم ، ولا بد من تقديم ملخص عن رحلاته تلك . وما فيها من حديث عن القشعم •

قشعم عمان

الرحلة الأولى :

كانت أول رحلة قام بها الشيخ عبد اللطيف القشعم في سبيل البحث الى عمان ، وكان خروجه سنة ١٤٠٣ هـ حيث سلك طريقاً برياً قاده الى الإمارات العربية المتحدة ، ومنها الى عُمَان فقصد مدينة(عبري) حيث يتواجد القشعم ، وكانت صلات قديمة تربطهم بآل قشعم المملكة العربية السعودية ، فقد كانوا ينزلون الى الرياض في الستينات الهجرية أيام الشيخ عقل بن جاسر القشعم والد الشيخ عبد اللطيف • وأمرهم معروف لدى الكثير من قشاعمة الرياض • فقد كانوا ينزلون في بيت الشيخ ، يأتون من عمان ، ولا قصد لهم سوى الزيارة ، زيارة الاقارب والأهل •• ومن خلال تتبع قصة رحيلهم الى عمان • تبين أن هذا كان بحدود القرن الحادي عشر •

وإذا تركنا حديث الروايات القبلية الى أحاديث الكتب ، وجدنا آل النبهان فرعاً معروفاً في عمان ، وهم يعودون الى نبهان طي الذين ورد ذكرهم في هذا البحث •

قشعم مصر

الرحلة الثانية :

كانت الرحلة الثانية سنة ١٤٠٣ هـ أيضاً الى مصر ، الى بِلْبِيس في الشرقية ، وما أدري ما الذي دفع الشيخ عبد اللطيف الى الشرقية دون غيرها ! •• ولم يخطر ببالي أن أسأله لماذا ذهب الى تلك المنطقة من مصر دون غيرها ؟ ••

يبدو أنه معروف لـدى الناس أن سكان تلك المنطقة من العرب الرّحل الذين سكنوا هناك في القرون المتأخرة ، وكانت مقابلته في المرة الأولى للأستاذ المهنـدس شكري أيوب ، وكان يبحث عن قبيلة أولاد مهنـا ، إلا أنه لم يظفر بعائد فعـاد منها وهو ينوي أن يعود إليهـا مرّة أخرى •

قشعم اليمن

الرحلة الثالثة :

كانت هـذه الرحلة سنة ١٤٠٥ هـ الى اليمن ، وقـد خرج إليها بالطائرة ، حيث حط في صنعاء ومن صنعاء أخذ طريقاً صعبة جداً الى الجوف موطن القشاعمة اليمنيين ولا بأس أن أنقـل ما كتبه الشيخ عبد اللطيف بخطه ، قال : (كان مرورنا الرحبة لبني حارث ، وخرجنا لغيلة أرحب بيت العذري ثـم بيت مران ، ثـم مركز الحيفة ، ثـم خرجنا الى ذيبـان أرحب • ووقفنا في بيت (أبو مرعي) بأسفل قمـة جبل زيام •

وقد حللنا على المدعو محمد أحمد عبده ، أبو دجانة ضيوفاً فأكرمنا واستقبلنا استقبالاً عربياً عريقاً • وقد أوضح أن المسؤول عنهم (يريد القشاعمة) بعيدون والطرق وعرة وخطرة ، وتفضل مشكوراً بأداء السيارة التي كنا جئنا بها من صنعا ، وأخذ من عنده (جيب ابكس) وتشاور وإخوانه ، وجماعته على مرافقتنا ، وفعلاً رافقوني ، وأخذوا أسلحتهم حماية لنا ولأنفسهم ، واستعدوا السفر معنا ، وهم :

المذكور محمد أحمد عبده أبو دجانة ، وأخوه عبد الله ، وابن أخيه حميد ، وصهرهم على محسن الخياري ، ومعنا كذلك حسن بن بكيل بن سعيد منصّر ••

وذهبنا سوية ، وسرنا حتى وصلنا وادياً يسمى هران ، ثم قطعنا حدود أزحب ، ودخلنا حدود قبيلة نهم ، ومنها حدود قبيلة سفيان ، ثم منها دخلنا حدود قبيلة ذو حسين ، وهم في الجوف ، ووصلنا الى بلد الزاهر ، وبتنا ليلتنا تلك عند رجل أرحبي يسمى عبد الله أحمد علي الباردة ، وفي الصباح ذكروا لنا القشاعمة (القعاشمة) وأنهم في غيل الجوف •

وقد كانت الطريق خطرة مليئة بالأحداث القبلية لايأمن راكبها ، ولكننا توكلنا على الله وسرنا ، وقد رافقنا للزاهر مدير ناحيتها الشريف حسين محمد حسين ، وعبد الله أحمد الباردة ، ومعهم رفقة آخرون ، ثم ذهبنا الى نفس الغيل (الغيل نفسه) ومررنا بالمطحة من حدود (بني) حسين ثم خرجنا مع وادي مذاب ودخلنا حدود بني نوف حتى وصلنا الى ديار القشاعمة،الواقعة يسار ديار قبيلة همدان الجوف،وهناك التقينا بأقاربنا كبار السن منهم والشباب ، وشربنا القهوة العربية ، ثم تناولنا الضيافة العربية ، وتم التعارف وتسجيل هذه الأوراق ، ولله الحمد •

وكان الشيخ عبد اللطيف قد التقى بوجوه القبيله هناك منهم الشريف أحمد منصّر القعشم (القشعم) الذي كتب بخط يده العبارات التالية ، قال (بسم الله الرحمن الرحيم لقد وصل الينا الأخ الشيخ عبد اللطيف بن عقل بن جاسر آل قشعم ، يسأل عن قبيلة آل قشعم ، أو (آل قعشم) • نعم نحن قبيلة آل قعشم في الجوف الغيل محل العرظي كبيرهم محمد منصّر قعشم ، عدد هذه القبيلة قدر مئة عائلة عدد الرجال ثلاث مئة رجل البيوت ، مئة وخمسون بيتاً نعم لنا إخوان في الزاهر قدر مئة رجل ولهم أسر كثيرة وبيوت قدر أربع مئة بيت نعم لنا اخوان بنجران محل المخباة بجوار المستشفى القديم كبيرهم يحيى صالح عفيجان قشعم قدر أربعة رجال بعوائلهم.

وأنا كاتب الاحرف الشريف أحمد منصر قعشم).

وبعدها كتب هذه العبارة. الخلاصة قعشم وقشعم واحد والأصح قشعم هما أسرة واحدة ترجع لأصل واحد، وتحتها توقيع الشريف علوي منصر قشعم والشريف أحمد منصر قعشم.

وهذه الرحلة في سبيل لقاء أناس تربطهم بالشيخ عبداللطيف جذور قديمة، وما لقي فيها من مشاق ومخاطر تتمثل في صعوبة الانتقال في ديار قبيلة إلى أخرى، أمر هام، ولولاها ماعرفنا شيئاً عن قشعم اليمن.

وكان الشيخ أحمد منصّر آل قشعم قد حضر الى الرياض يوم ٩/٥/١٤٠٥ هـ • وصار لي معه اللقاء التالي :

بعد التعارف وتناول القهوة العربية ، دارت بيننا مجموعة أسئلة وأجوبة :

ـ ما هو المعقل الرئيسي لقشاعمة اليمن ؟

ـــ معقل القشاعمة الرئيس في اليمن هو جوف اليمن ، وهو شمال شرقي صنعاء وحدوده متصلة مع السعودية في نجران ، ومنهم في السليل في السعودية ويسمّون (الفهّاد) شيخ (آل حامـــد) ولهم ديرة في شمال الطائف مقصورة عليهم في منطقة (الحويّة) وهي تبعد حوالي ٢٥ كيلاً عن الطائف . ولهم محلات في برحة العباس في الطائف .

وكان الشيخ أحمد منصـــر قد قدّم لي وثيقة أملاك قديمة في نجران موقعة من قبل أمير نجران ابن ماضي . والوثيقة عبارة عـــن خلاصة حكم بين آل جوده الأشراف (وهم القشاعمة) وآل ريمان ، وسألته عن لقب الأشراف من أين جاءهم ؟ فقال هو لقب الشيوخ في اليمن ، ولا يعني أنهم من آل البيت ، فتذكرت حديث الرسول صلى الله عليه وسلم « أشراف أمتي حملة القرآن » . وهـــم في الجوف الزاهر آل ضمين ، والقشاعمة ، والناصر وآل عفيجان ، وآل مانع ، والعبيدي ، والقشاعمة يسكنون الغيل العرضي .

وأما آل قشعم (قعشم) في الحد لواء ذمار ، فشيخهم عبد العزيز ابن أحمد بن علي بن عبده بن أحمد بن ناصر بن أحمد بن عبد الله بن حصن بن سعير بن عامر بن عمير القشعمي في زراجة بلدة القشاعمة ناحية الحدى لواء ذمـــار . وهم موجودون في المشاخرة في لواء ذمـــار في خودان لواء بريم في وادي رماع في لواء ذمار ، وقشاعمة في آنس ، وفي خولان الطيال عزلة وادي حباب ، وفي أماكن أخرى وعددهم حوالي ستماية بيت .

والشيخ عبد العزيز القمشعي ، شاعر ومندوب القشعم لـــدى حكومة اليمن ، وقد احتفى بقدوم الشيخ عبد اللطيف آل قشعم إليه ، فقال مرتجلاً :

ألا يــامرحبــا بشـــيخ قشــعم

تشــرفنــا جميعــاً في قــدومــك

تراحيــب الأخـــا اللحــم والــدم

عرفنـــا محتــواها في علــومك

إذا كــان اليمن لك خــير ملــزم

معــاذ الله أن نبقــى خصــومــك

فقد صرنــا اخوا بــدءاً ومختــم

معك وعشيرتك وأبنـــــاء عمومك

وهذه أبيات للشاعر القشعمي علــي عباد ، قالهــا بمناسبة قدوم الشيخ عبد اللطيف الى اليمن :

أقــول يا بــادع القيفــان تســلم

وصــح الله لسانك كــل يومــك

والطيف ذي وصلنا يرحب أعظــم

له التقــدير بقـــا ولا عزومــك

ولا بـــــد نلتقي غــــرّة محـــــرم

لنعــرف كيف تناشيـــــدك وقــومك

وهذان بيتان قالهما الشاعر أحمد معلى القشعمي رحب فيهما بقدوم الشيخ عبداللطيف :

ألا يـا مرحبـا مرحـب معشّـر

وصـول القشعمي اشـتاق فـؤادي

ورحب به جبـل ظركام ومسور

ومـن وادي عبيـدة لبـلادي

ويعد هؤلاء في نسبهم الى عسير ثم يقفون • وعسير قد ذكرناه أثناء الحديث عن الضياغم ، وأخبارهم مذكورة في كتاب (طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب) وقد تحدثنا عنه •

قشعم مصر (الرحلة الثانية)

الرحلة الرابعة الى مصر مرة أخرى :

خرج الشيخ عبد اللطيف آل قشعم من اليمن بالطائرة الى مصر مرة أخرى ، ونزل في القاهرة ، ثم خرج منهـا الى منطقة الفاروقيـة بالشرقية ، حيث عمدة أولاد مهنا ، وكتب له أحمد عبد الله نوح عمدة أولاد مهنا وثيقة وختمهـا من ثلاثة أطراف بختـم رسمي ملخصها أن أولاد مهنا ينسبون الى قبيلة القشعم وأنهم جـاؤوا الى مصر وسكنوا الشرقية ما بين السويس والقاهرة بمنطقة بُلْبيس قرى ومزارع أولاد مهنا وذلك في عهـد الملك الظاهر بيبرس ، وأنه أسند الى أجـدادهم حفظ القوافل التي تنقل المؤن والغـلات من مصر الى الحجاز ، وكذلك المحافظة على الحجاج المارين بهذه المنطقة.. وعددهم يقارب عشرة آلاف نسمة تمثلها عائلة نوح من أولاد مهنا... وفيها أيضاً أنهم ينتمون إلى القشعم القحطانيين.. والوثيقة موقعة ومختومة بختم العمدة، ومنهم رشاد المهنا، ويوسف علام وجيهان كبيران في مصر وتحت مجموعة تواقيع.

والذي نذهب اليه ، والله أعلم أن هؤلاء هم بقايا عرب جرم الذين قتلوا وأدخلوا الى بلبيس سنة ٧٥٠ هـ بعد مقتل أميرهم أدي بن فضل وقد ذكر المقريزي ذلك ، قال : بأن العربان في أوائل سنة ٧٥٠ هـ (١٣٤٩ م) خرجت عن الطاعة لضعف السلطة المركزية في القاهرة ، وكثرت الحروب ، بينهم ، كما اشتغل عرب الكرك والبلقاء بأعمال النهب والسلب ، واحترف كثير منهم اللصوصية ، وتمرد بنو ربيعة، وبنو نمير، فحاول الأمير جركتمر نائب الكرك أن يقضي على حركتهم ، ولكنهم أنزلوا بقواته هزيمة نكراء ، وقتلوا عشرة من أصحابه [1] .

وقامت جموع العشير من جرم وثعلبة والعائذ باجتياح أرض فلسطين والعبث في البلاد وقطع الطرقات على المسافرين [2] .

واحتال الأمير قبلاي أحد أمراء مصر على أمير جرم أدي بن فضل ، فاعتقله ، وقدم به الى القاهرة حيث ضرب وأبناء عمومته ، وألزم بألف جمل ومائتي ألف درهم ثم سمّروا ، وأرسلوا الى غزة ، فثار أخو أدي ، وتصدر الهجوم على غزة ، فكتب السلطان الى نائبه بالكرك ونائب صفد بالخروج لمساعدة نائب غزة .

وتمكن دلنجي بمساعدة قوات الكرك ، وصفد من قتله بعد معركة دامت أربعة أيام ، عندئذ تفرق العشير ، وضعف أمرهم فدخل قسم منهم إلى مصر..» [3] .

وجرم هم بطن كبير من طي ، ومنهم النبهان كما سبق أن شرحنا ذلك ، وقد ذكرهم الحمداني وذكر أخوتهم . جاء في كتاب (مسيرة الى قبائل الأحواز) أن من النبهانيين في صعيد مصر في بر

---

(١) المقريزي ، السلوك ج ٢/ ٧٧١ ، ٧٩٩ .
(٢) المصدر السلوك السابق ج ٢ ، ص ٧٩٨
(٣) المقريزي ، السلوك ٢/ ٨٠٥ و ص ٨٠٨ .

الشرقي ، وذكر الحمداني أن بني سهل ، وبني عامله أخوتهم ، وبني عمومتهم ، وعاملة هذه بنت مالك ، وقد سمّى الجبل والوادي الواقعين في جنوب لبنان باسمها (جبل عاملة) ، والشاعر عدي بن رقاعة العاملي منهم ، وآل نبهان المقيمين في الأحواز منهم ..[1] » .

وذكر المقريزي العائد، ولهم جذور قديمة مع طي وكبيرهم المهندس محمد السيد أيوب المعروف بشكري أيوب محافظ المنطقة الشرقية سابقاً.

قشعم الكويت

الرحلة الخامسة : كانت الرحلة الخامسة سنة ١٤٠٥ هـ الى الكويت وكنت والشيخ عبد اللطيف والأستاذ المهندس منصور عبد اللطيف القشعم ولد الشيخ عبد اللطيف .

أقلعت الطائرة مساء ١٤٠٥/٤/١ هـ وبعد ساعة ونصف حطت بنا الطائرة في مطار الكويت ، وقد كان لقاؤنا جميلاً وطيباً منذ اللحظات الأولى التي هبطنا فيها أرض المطار إذ كان عدد كبير من القشعم باستقبال شيخهم (عبد اللطيف) ، وسرعان ماتلقفنا أحد شبابهم ، فأخذ الحقائب، وأنهى اجراءات المطار ، ثم خرجنا لنجد جمعاً طيباً من القشعم ، ولا يسعني الا أن أذكر منهم الصرّان بكل خير وفخر وعز ، فقد كانوا فرحين جداً بلقاء شيخهم ، وبأخبار الكتاب الذي يعدّ في قبيلتهم ، فقاموا بخدمة كبيرة حقاً ، وتعطل قسم منهم عن العمل طيلة مدة إقامتنا في الكويت .

وأخص بالشكر منهم الأخوةغازي الصرّانوسعد الصرّانوصلال الصران ، وحيال الصران ، وإبراهيم الصران ، وطلال الصران ، والابنة الطالبة الجامعية سعدية مفرج الصران . وقد قاموا بالخدمة اللازمة لقبيلتهم في سبيل إخراج الكتاب ، وحشدوا كل ما لديهم من طاقة في

---

(١) جابر خليل المانع ، مسيرة الى قبائل الأحواز ص ٢٨٦ ، البصرة ، مطبعة حداد لا تاريخ .

سبيل ذلك ، ولن أنسى أنني أخذت منهم صوراً لبعض المصادر ، قاموا بتصويرها من مكتبة جامعة الكويت ، وفخر لهم أن تشارك بناتهم في العمل من أجل اخراج تاريخهم ، فقد قامت الابنة سعدية الصّران بواجب البنت المثقفة تجاه أهلها ، وقبيلتها وعبرت عن فرحتها بعدة قصائد.

وفي الكويت وقفت على أفخاذ القشعم وأقسامهم ، ويمكن ذكرهم بشكل مقتضب ، فهم :

١ ــ الثويني ، وهم شيوخهم ، ونخوتهم الخاصة (راعي الشعلة) والعامة عصاة [١] .

٢ ــ العدوان ، وينتمون الى عرار بن مهنا أخي ناصر بن مهنا .

٣ ــ الحمدان ، وجدهم حمدان بن ناصر بن مهنا .

٤ ــ الناصر ، وينتمون الى ناصر بن مهنا .

٥ ــ النصّار ، وهم يعودون بصلة الدم إلى القشعم من الضياغم ، ويروى أن نصاراً هذا أخ لقشعم ، وهم من حضر الكويت المتمدنين ، منهم أطباء ومهندسون ، وموظفون كبار في سلك الدولة . وقد تحدث الشيخ حمد الجاسر في كتابه معجم قبائل المملكة العربية السعودية عن نصار المملكة ، وهم أولاد عم النصار في الكويت هم والمسفر والفايز

---

(١) وقد جاءتهم هذه النخوة العامة من مواقفهم التي كانوا يتخذونها من الولاة العثمانية في بغداد ، ومن ولاة المماليك ، فقد اشتهر أمر القشعم بالعصيان على ولاة بغداد وهم يجزمون أنهم لقبوا بالعصاة لذلك ، فصارت نخوة لهم لانهم يعصون على العدو . أي يمتنعون ، ولا ينال منهم شيئاً .

والقشعم تجمعهم أرومة واحدة [1] .

٦ ـ الجفيل ، ونخوتهم الخاصة أخوة (دوية) شعلة ، والعامة عصاة .

٧ ـ الصّران ، ونخوتهم الخاصة أخوة هدلة ، والعامة عصاة .

٨ ـ الشليهم ، ونخوتهم الخاصة أولاد دارم ، والعامة عصاة .

٩ ـ الطارش ، ونخوتهم الخاصة أخوة موزة ، والعامة عصاة .

١٠ـ الصبيح ، ونخوتهم الخاصة أخوة صبحة ، والعامة عصاة .

١١ـ الخسام ، ونخوتهم الخاصة أخوة خنسة ، والعامة عصاة .

١٢ـ الـدريني ، ونخوة الخاصة أخوة زهية ، والعامة عصاة .

١٣ـ الذياب ، ونخوتهم الخاصة أخوة حاجمة ، والعامة عصاة .

١٤ـ الزعيتر ، ونخوتهم الخاصة أخوة فاطمة ، والعامة عصاة .

١٥ـ السْعَيِّد ، ونخوتهم الخاصة أخوة فاطمة ، والعامة عصاة،

١٦ـ الشهبان ، ونخوتهم الخاصة أولاد الأشهب، والعامة عصاة.

١٧ـ الشويرد ، ونخوتهم الخاصة بهكة ، والعامة عصاة .

١٨ـ الثميل ، ونخوتهم الخاصة أخوة شيخة ، والعامة عصاة .

١٩ـ البادي ، ونخوتهم الخاصة أخوة موزة ، والعامة عصاة .
وبمناسبة ذكرهم ، فمن حق الأ خهلال البادي على البحث أن نذكره

(١) وفي الكويت التقيت والأستاذ أحمد حسن النصار أمين السر عضو مجلس ادارة جمعية الشامية والشويخ التعاونية . والشيخ عبد اللطيف .

بكل خير فقد قدّم مايستطيع مثله أن يقدمه، كما أنني رأيت فيه رجلاً واعياً، خرّج أسرة مثقفة متعلمة وهذا بالنسبة لوضع القبيلة العربية المعاصرة سبق طيب.

٢٠ـ البريج ، ونخوتهم الخاصة أخوة صويرة ، والعامة عصاة .

٢١ـ البرطمانييون، ونخوتهم الخاصة أخوة رثمة ، والعامة عصاة.

٢٢ـ الجنابيون ، ونخوتهم الخاصة أخوة قمرا ، والعامة عصاة .

٢٣ـ العبيان ، ونخوتهم الخاصة أخوة غرة ، والعامة عصاة .

٢٤ـ العبدان ، ونخوتهم الخاصة أخوة السجمة . والعامة عصاة.

٢٥ـ العبيـــد والسعيد ، ونخوتهـم الخاصة أخوة سعـده ، والعامة عصاة .

٢٦ـ الشبّه (العصيدة) ونخوتهـم الخاصـــة أخوة صالحة ، والعامة عصاة .

٢٧ـ اللهيبات ، ونخوتهم الخاصة خيال العرجة ، والعامة عصاة ، وقد اشتهر منهم رجل اسمه شافي اللهيبي أيام زمان ... وكان يقال له : رواك العرب ، كناية عن كرمه .

٢٨ـ المحيميد ، ونخوتهم الخاصة راعي السحمة ، وأخوة فرية ، والعامة عصاة .

٢٩ـ المذْيَخ ، ونخوتهم الخاصة ، عبدلوته ، والعامة عصاة .

٣٠ ـ الملالي، ونخوتهم الخاصة، أخوة ميثه، والعامة عصاة. وفيهم الأستاذ الحقوقي جواد الملا القشعمي.

٣١ ـ العاذور أم الملحم ، وهم من كبار حمايل القشعم من أولاد عمهم الفارس الذين يعيشون في الرياض •

٣٢ـ الويسي ، ونخوتهم الخاصة راعي السودة ؛ والعامة عصاة•

٣٣ـ الشومر ، ونخوتهم الخاصة أخوة قـــرا والعامة عصاة •

وكان يقال لقصير بن كوكب الشومر رواق العرب أيضاً لشدة كرمه.

٣٤ـ القشعم الذين يعيشون مع بني هاجر ، وهم أحـد أفخاذ المحـد من القشعم الذين يعيشون في المملكـــة العربية السعودية في المنطقة الشرقية •

ووسم إبلهم موزع حسب الأفخاذ كالآتي :

١ ـ الثويني : ذوارع ، وهو وسم إبل غليص «السواريت» على الذراع الأيمن إشارة يساوي عمودياً ١١ ، وشاهد على رقبة البعير من يمين •

٢ ـ المخالي وهم :(الصران ـ البريج ـ الدريني ـ الويسي ـ الحلو ـ الذياب •

الملاني ـ الصبيح ـ العصيدة (الشبه) الصهبان ـ العبيان ـ الزعيتر)

وقد قادهـم جميعـاً في فترة من فترات الزمن القريب مذروبهم ـ قديماً ـ المسؤول عنهم أمام أمير القشعم شعلان الصّران وقد سمعت حديثاً مطولاً من الناس عن شخصية هذا الرجل وكان فارساً وشاعراً • ووسمهم الخطام على الخشم •

٣ ـ الخطبة ، ووسمهم مقص .

٤ ـ الشليهم ، ووسمهم باكورة .

٥ ـ الجنابيون ، ووسمهم شق أذن الناقة اليمنى .

٦ ـ الرملي ، ووسمهم مطارق صادر وكاصر .

٧ ـ الشهبان ، ذوارع .

٨ ـ العبيد والسعيد ، ذوارع .

٩ ـ المذيخ ، ذوارع .

١٠ ـ السْعَيِّد ، ذوارع .

١١ ـ الخمام ، عركات على الفخذ .

١٢ ـ اللهيبات ، باب على الفخذ الأيمن .

١٣ ـ البادي ، مقص .

١٤ ـ الشميْل ، مقص .

١٥ ـ الجفيل ، ثلاثة مطارق على الرقبة .

١٦ ـ الطارش ، صادق وكاصر وله شاهد .

١٧ ـ البرطمانييون ووسمهم الرداد .

وقبل أن أنتقل الى الفقرة التالية ، فإنني قد سألت الشيخ عبد اللطيف مسبقاً ونحن في الرياض عن شيوخ القشعم في الكويت ، فحدثني عن طيب معدنهم وأصالتهم ، وخص لي بالذكر الشيخ سعد بن كحيط بن عنبر بن عكلة بن ثويني ، وخص لي الشيخ عبد الله بن عقاب

ابن صقر الثويني ، وخص لي بالذكر الشيخ حمد بن خليوي بن عقل ابن ثويني ... وقد وجدتهم على جانب من الطيب كبير ولا سيما الشيخ سعد أبو بندر ، فقد كان متحمساً لكتابة تاريخ أجداده ، متجاوباً سخياً بالمعلومات قدر استطاعته ، وهذا موقف تاريخي طيب بالنسبة له . في مرحلة الاعداد لكتابة تاريخ القشعم . وخص بالذكر النصار وأنهم جماعة متمدنون وعلم العلم عندهم مرفوع منذ عهد قديم في الكويت ، وكنا قد قابلنا منهم في الرياض الشيخ حمد النّصّار ، قنصل الكويت في الرياض ، وجلسنا إليه ، وهو رجل شهم وواعٍ ومحب لتاريخ بلاده .

وقد رأيت في قشعم الكويت عرباً أقحاحاً أصحاح المنبت والعادات والتقاليد، وهم يشغلون كثيراً من الوظائف، وحادثتهم فرادى وجماعات، ورأيتهم محبين لبلادهم مخلصين لأميرها ، يشعرون بفخر واعتزاز بالكويت العربي الأصيل، فانشرح صدري العربي مخلصاً لدينه ولأرضه وأميره .. فبارك الله فيهم وبارك في الكويت الحرّ الأصيل ، وهنيئاً لهم حبهم وإخلاصهم للكويت ، وهنيئاً للكويت بهم .

وفي الكويت توصّلت الى معرفة المزيد عن نسب القشعم من الروايات التي تؤكد انتماءهم الى الضياغم ، وقد سمعت من يعد نسب الملك ناصر بن مهنا الى راشد بن ضيغم وهو كما سلسله أبو بندر سعد ابن كحيط بن عنبر بن عكلة الثويني كما يلي :

ناصر بن[1] مهنا بن كنعان بن حبيب بن صقر بن ثامر بن مانع بن غزي بن سعد (راعي الذلول) بن زيد بن عامر بن راشد بن قشعم بن راشد بن عجيل بن راشد بن ضيغم . وإذا وصل الأمر الى ضيغم فإن البقية معروفة كما جاءت في كتاب عمر بن يوسف بن رسول الموسوم بـ (طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب) .

(١) هذا التسلسل غير صحيح إلى ثامر، وهو معروف عندي.

آل ضيغم أو آل منيف وآل راشـد من جنب وهـم المعروفون بالمعضة وهو منيف بن ضيغم بن منيف بن جابر بن علي بن عبد الرب ابن ربيع بن سليمان بن عبد الرحمن بن روح بن مدرك بن عبد الحميد ابن مدرك ...

وقيـل انهم من بكيل إلا أنهـم حالفوا عنس من عنس مذحج ، فسمّوا جنب وقيل أنهم من نزار بن عنز بن وائـل بن قاسط بن هنب ابن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معـد بن عدنان دخلوا في نسب جنب لأن أمهم عبيدة بنت مهلهل بن ربيعة التغلبي من تغلب بن وائل أخي عنز بن وائل تزوّجها روح بن مدرك من بعد معاوية بن عمرو بن معاوية بن الحارث الجنبي (١) .

ولي بعض ملاحظات على التسلسل الذي ذكره الأخ سعد ، وهذه الملاحظات مبنية على وقائع تاريخية لم يدركها الأخ أبو بندر (سعد) ذلك أنه ذكر أن (حمود ، ومحمـد ، وحمـدان ، وكنعان ، وحسين ، وبنيان)، ووعير أولاد ناصر ابن مهنا ، والحقيقة أنهم ليسوا أولاد ناصر ابن مهنا لأن الملك ناصر كان حياً سنة ١٠١٣ هـ وقد بلغ من الكبر عتيا ، وجاء بعده ولده أبو طالب ثم حفيده كنعان ، ثم ولد كنعان شبيب ، ثم ولده ناصر سنة١٢٢٦هـ وهو أمير القشعم في ذلك الوقت،يوم قام الامام عبد الله بن سعود بن عبد العزيز بغزو جنوب العراق ، ومحاربة القشعم ، وعليهم يومئذ ناصر ، فيكون التسلسل المنطقي كالتالي بالنسبة لثويني شيخ القشعم بحدود سنة ١٢٩٠ هـ :

ثويني بن عبد العزيز بن جبيب بن صقر بن حمود بن محمد بن

---

(١) طرفة الأصحاب : ص ١٢١ وسنتحدث عن هذا في فصل الثويني .

مانع بن كنعان بن أبو (طالب) بن ناصر (الملك) بن مهنا [1] [بن ثامر بن مانع بن غزي بن سعد بن زيد بن عامر بن راشد بن قشعم بن راشد بن عجيل بن راشد بن ضيغم بن منيف بن جابر، بن علي بن عبدالرب بن ربيع بن سليمان بن عبدالرحمن بن روح بن مدرك بن عبدالحميد بن مدرك].

ونلاحظ وجود ناصرين ناصر الأول وهو الملك ناصر الشهير استلم الإمارة بحدود سنة ٩٩٣ ـ ١٠٢٥ هـ وهناك ناصر الثاني استلم الإمارة بحدود سنة ١٢٢٦ ـ ١٢٣٥ ـ ١٢٣٨ هـ •

وقد حاولت أن ألتقي بأكبر عدد ممكن من عرب القشعم في الكويت • كما حاولت الوقوف على الجذور القديمة لكل فخذ ، أو لنقل لكل قبيلة ، لأنهم في الأصل مجموعة قبائل ، ولكل قبيلة منها شيخ معين ، وابن قشعم شيخ هؤلاء الشيوخ ، وهو الذي اشتهر بهذا اللقب شيخ الشيوخ • وسوف نأتي على تفسيره في حينه إن شاء الله ، ولكن ليس قبل أن نستعرض قبائل القشعم في الكويت مرة أخرى ، مع بعض التفصيل الجديد •

١ ــ الثويني ، حمولة القشعم ، وهم أولاد ابن قشعم وسنفرد لهم فصلاً خاصاً •

٢ ــ المخالي [2] ، ورؤوسهم الضمران وهم أولاد فريحان بن

---

(١) انظر فصل الثويني حمولة القشعم •

(٢) وهم : العبدان ، البريج ، الدريني ، الويسي ، الحبيب ، الحلو ، الذياب ، الملالي ، المحيمين ، الصبيح ، الغضيدة ، الصهبان ، والعبيان ؛ =

صران وقد اشتهر منهم شعلان الصر ان فكان شاعراً وفارساً •

٣ ــ البرطمانيون ، وقد اشتهر منهم ضرب البرطماني ، وعساف البرطماني ، ورثاع البرطماني •

٤ ــ الشليهم ، وهم من أذكياء القشعم المعدودين ، ولا أشك في نباهتهم ، وذكاؤهم وقد جلست الى السيد احمر الشليهم وسمعت منه ، ورأيته رجل مجالس يجيد الكلام ، ويحسن الحديث • ومن وجهائهم بريجي بن مطلق الرحال بن دخيل بن مشعاب بن ثامر بن كحيص بن رحال بن شليهم.وكرمة الرحالية غزو الحسينية فيجنوب العراق الشليهم•

٥ ــ الخطبة، وهؤلاء ينسبون الى لقب جدهم خطيب ابن قشعم، ويروى أن جدهم هو الذي هاجر من نجد مع سعد راعي الذلول •

٦ ــ الجنابيون، وهم قوم أشداء ، بأسهم معروف وكانت الدولة العثمانية تنقيهم ، فتجعلهم حراساً على القوافل •

٧ ــ المسفر ، والنصار ، أما النصار فقد تحدثنا عنهم ، وأما المسفر فإننا سنفرد لهم فصلا حين تتحدث عن آل مسفر في المملكة العربية السعودية •

٨ ــ وبقية القشعم : الجفيل ــ السُعَيِّد ــ الثميل ــ الطارش

= والشويرد ، وهؤلاء كلهم يقال لهم المخالي ، وقد ورد ذكرهم ، وربما حذفنا منهم أحداً ، أو أضفنا اليهم ما ليس منهم ، وتعود ذمة هذا على من يملي علي •

الرملي، الخمام، العبيد والسعيد المذيخ، واللهيبات، البادي وهم أهل السبع مجاريز، وممن ذكر منهم بالشجاعة مقصود الملقب بـ(أبو الرمح). وجدهم خوار بن نهابة بن جهمان. وهم من كبار حمايل القشعم، وقد صاهروا الثويني.

١٠ــ العدوان ، وجدهم عرار بن مهنا ، أخو ناصر بن مهنا ، وقد قابلت منهم الأخ سمير العدوان في الكويت ، وله من الأخوة مطرود ، وجاسم وجابر وشعلان •

١١ــ الحمدان وجدهم حمدان بن ناصر بن مهنا ، وهم من سكان جزيرة زبيد بالعراق ، ومنهم نعمة وطعمة وحمزة في منطقة الصويرة •

١٢ــ الهواجر فخذ المحمد من القشعم ، وبنو هاجر موجودون في الكويت ، وفي السعودية مجاورين للعقير ، وهو ميناء في الجنوب الغربي من مدينة القطيف [١] ، ويتجاوز عددهم ٦٠٠٠ نسمة وذلك حسب ما جاء في كتاب جزيرة العرب في القرن العشرين علماً بأنه مؤلف سنة ١٣٦٥ هـ • وفيه أيضاً وتنتمي عشائر الكويت الى ••• وبني هاجر [٢] ، ومعهم يعيش فخذ المحمد من القشعم ، وهم متوزعون بين هواجر الكويت وهواجر السعودية •

وجاء في خبر آخر ذكره خير الدين الزركلي [٣] أن بني هاجر كانوا مع الملك عبد العزيز في نجدته للكويت بحدود سنة ١٣٢١ هـ وكانوا يتبعون زحوف الملك عبد العزيز رحمه الله تعالى في بعض

(١) جزيرة العرب في القرن العشرين ص ٧٤ حافظ وهبة ، القاهرة ١٣٦٥ هـ ــ ١٩٤٦ م •

(٢) المصدر السابق ص : ٧٧ •

(٣) شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ج ١٣٩/١

الوقائع (١) ، وفيه .. وقد استبد العجمان بالاحساء ، وبنو هاجر ، وبنو خالد بالقطيف » (٢) .

الرحلة السادسة :

قشاعمة الأردن

كنت منذ ثلاث سنوات قبل طبع الكتاب قد سمعت أن القشعم في الأردن معروفون باسم السردية ، والصقور ، وحين كنت في الكويت سمعت بهذا أيضاً ، وسمعت رجلاً طاعناً بالسن يوصي الشيخ عبد اللطيف القشعم بالوصول الى الأردن لمقابلة القشعم هناك والتعرف إليهم . وحين عدنا الى الرياض ، ذهب الشيخ عبد اللطيف الى الأردن حيث حصل التعارف بينه وبينهم في بيت الشاعر القشعمي كريدي ، وقد كتب الشيخ عبد اللطيف في دفتر مذكراته ، يقول : « في بيت الشيخ كريدي الردعان حصل لي الشرف في مقابلة الأخ يونس عبد القادر حسين كتكت من عشيرة عيسى المهنا في قرية الفالوجا بفلسطين قضاء غزة ، وهم الآن في الأردن ، في مأدبة .

وذكر لي بأنه ينتسب الى عيسى المهنا القشعم وهم يبلغون خمسمائة بيت في مدينة غزة في فلسطين وفي دير البلح ، وفي عريش مصر ، وفي الأردن في مأدبة ، وفي وادي السير وإربد ، وسحاب ، وعمان ، وحضر على ذلك الشيخ كريدي الردعان القشعمي، وعبد القادر شعبان الرفاعي، ثم رأيت تواقيعهم أسفل الكلام . حرر بتاريخ ١٨/١/١٩٨٥ م » .

وفي دفتر مذكرات الشيخ عبد اللطيف وجدت الكلام التالي عن عشيرة الصقر : حضر الشيخ عبد اللطيف بن عقل آل قشعم الى منزل الشيخ

(١) المصدر السابق ص ١٨٥ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٠٢ .

ماجد فاضل العرسان باحثاً عن فروع وأفخاذ عشيرة القشعم ، وتبين له أن المعلومات التي أحاطه بها الشيخ ماجد العرسان أن عشيرة الصقر هي فخــذ من أفخــاذ عشيرة القشعم ، وفرع أصيل ، تقيم في المملكة الأردنية الهاشمية ، وهي وعشيرة السردية من الأفخاذ الأصيلة في مواقع العشيرة قبل عام ١٩٤٨ م كانت تقيم العشيرة (هكذا ورد) في فلسطين وأراضيها في بلــدة بيسان ، وتمتد أراضيها من لواء الجليــل شمالاً ، ومن الجنوب أراضي محافظة نابلس ومن الغرب مرج بني عامر وشرقاً نهر الأردن ، ومن المدن الرئيسية بيسان ، ومن قراها الحمراء خنذير ، وكفر مصر ، والمرصص ، ويبلا ، والساخنة ، وكفرا ، وجبول والزراعة ، والفاتور ، والأشرفية ، وتل الشوك ، والعريضة ، والصفا ، وأم عجرة ، وقوميا ودابو •

ويبلغ عــدد أفراد عشــيرة الصقور حوالي (٥٥) ألف نسمة ، وتبلغ نسبة المتعلمين حوالي ٨٥٪ ويعملون بالتعليم والتجارة والزراعة وموظفين في ملختف الدوائر الحكومية •••

ومنهم فخذ يقيم في غزة يقال له أبو ستة ، ومنهم فخذ آخر يقيم في جنوب سورية يقــال لهم المــلاك والمقداد ، ويتواجدون في بصرى وسلخد من أعمال محافظة درعا وشيخهم خلف السلمان أبو فاضل في صيدا (من أعمال درعا) • والكتاب مذيل باسم ماجد فاضل ، عرسان مطلق ، وسعيد سلامة ملاك •

ثم التقى الشيخ عبد اللطيف آل قشعم في يوم الاثنــين الموافق ١٩٨٥/١/٢١ بالسيد عيد بن سفهان بن زامل الشلالخــة ، وقد جاء على لسان هذا الأخير قوله : اننا قشاعمة الاصل وتربطنا بهذه القبيلة (القشعم) رابطة الدم واللحم والأصل وقد وقع على ذلك سليمان بنيه حمد الشلالخة كبير العائلة ، وفلاح صالح بزيع الشلالخة ، وعيد سفهان

ابن زامل الشلالخـة ، ويعتبر الشلالخة من الشليهم الفخـذ القشعمي المعروف في الكويت والعراق •

والقسم الآخر من قشعـم الأردن ، هـم السـردية ، وهم أقرب الأفخـاذ الى النبهان الفخـذ القشعمي المعـروف في العراق والكويت والسعودية •

وقد كتب شيخ عشائر السردية الشيخ حمادة سعود الفواز يقول : بعد الحديث عن صلة قربى تبين اننا الجميـع من القشعم وهـذا شرف عظيم لنا (أي الفواز والسردية عامة) • ويسكن السردية والفواز في المناطق التالية :

١ ــ بلدة صبحا ، وعدد سكانها ٤٩٠٠ نسمة •

٢ ــ بلدة صبحية ، وعدد سكانها ١٢٠٠ نسمة •

٣ ــ بلدة سبع صير ، وعدد سكانها ٥٨٠ نسمة •

٤ ــ بلدة زملة الأمير غازي ، وعدد سكانها ٦٣٠ نسمة •

٥ ــ بلدة المنصورة ، وعدد سكانها ٨٣٥ نسمة •

وتتكون عشيرة السردية من عـدة أفخـاذ كبيرة ، ولكن زعامة السردية تعود للفواز ، كما يوجد عشيرة الصقر وزعامتهم تكمن بفخذ الملاك وهم أبناء عم الفواز [1] • وقد نزحت العشيرة من الضفة الغربية بعد الاحتـلال وسكنت في مخيم الحصن ، وعـددهم يتجاوز العشرين ألف نسمة وكان كبير هذه العشيرة الشيخ سعود الفواز في عام ١٩٤٢ م

---

(١) وقد التقيت وشيخ الصقور ، الشيخ ماجد العرسان في مضافة الشيخ عبد اللطيف القشعم في الرياض عدة أيام ، فرأيت فيه رجلا خبر الحياة، وأحسن فهمها وممارستها ، وهو كبير في المقام والجاه •

عضواً في مجلس النواب السوري ، دورة كاملة ، ومن ثم انتقل الى الأردن ، ونجاله سبعة ، وهم : هايل ، حمادة ، مثقال ، فواز ، كليب ، غالب ، فارس . وشيخهم حمادة سعود الفواز وقد عين في سنة ١٩٧٤ م عضواً في مجلس الأعيان الى عام ١٩٧٨ م حيث شكل المجلس الوطني الاستشاري الى عام ١٩٨٢ .

وأما السيد هايل سعود الفواز ، فقد خدم في القوات المسلحة ووصل الى رتبة عقيد ، ثم أحيل الى التقاعد ، وأخوهم مثقال سعود الفواز ما زال رئيساً للمجلس البلدي في صبحا وصبحية من عام١٩٧٥م.

وأول ذكر أقف عليه للسردية في الأردن وجدته في كتاب (تاريخ شرقي الأردن وقبائلها) [1] وقد ورد ذكرها في الصفحات التالية :

١ ــ ص ١٦٨ حين تحدث المؤلف عن أول قدوم بني صخر من العلا في الحجاز الى الأردن ، وكيف هجروا بلادهم ونزلوا في البلقاء ، .. وبتوالي الأيام نزح بعض بطون هذه القبيلة ، وأخذوا يتجولون في فلسطين وحوران حيث اصطدموا بعشائر السردية التي كانت قد تغلبت على عشائر السرحان ، وانتزعت السيادة منها في تلك البلاد ، وأخيراً قر قرار بني صخر على السكنى في البلقاء في حدود سنة ١٧٣٠ م ص ١٦٨ ــ ١٦٩ .

٢ ــ ص ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، أثناء الحديث عن بني صخر أيضاً . قال : (أول من انفصل عن حرب من بني صخر الكعابنة ، وكان الاسم (بنو صخر) يطلق عليهم فقط ... ثم هاجروا من الحجاز الى الشمال صوب العلا وقد مكثوا فيها قرابة مئة عام ، أثناءها التحق

---

(١) تأليف اللفتننت كولونيل فردريك ج بيك تعريب بهاء الدين طوقان مطبعة دار الأيتام الاسلامية بالقدس سنة ١٩٣٤ م .

بهم الطوقة الذين انفصلوا عن حرب بعد هجرة الكعابنة بقليـل ، ولما كانوا في العلا أي حوالي عام ١٦٤٠ م (١٠٥٠ هـ) اصطدموا وعشائر الظفير بقيادة ابن صويط واضطروها الى الهجرة من شرقي الأردن الى جنوب العراق بطريق الجوف ... وتخلف عن قبيلة الظفير في شرقي الأردن أخوان أحدهما جد قبيلة العدوان ، التي صارت فيما بعد العدو اللدود والمنافس الوحيد لبني صخر .

.. وأراد أمير السردية وكان يلقب بالمحفوظ أن يخضعهم لسلطانه، فطلب منهم (الخوة) تلقاء سماحة لهم بمنطقة نفوذه وحمايتهم من أي تعدٍّ أو هجـوم . ويظهر أن بني صخـر لم يقبلوا بسيادة المحفوظ السردي ، ولعل ذلك كان السبب لهجرتهم الى جهات غزة وبئر السبع قبل مئتي عام تقريباً .

يروى أن أول نزاع فعلي حـدث بين السردية وبني صخر كان السبب فيه فرساً .

قال صاحب تاريخ شرقي الاردن ، وقبائلها ص ٢١٥ :

أول من انفصل عن حرب من بني صخر الكعابنة ، وكان الاسم « بنو صخر » يطلق عليهم فقط . وبعد انفصالهم هاجروا من الحجاز صوب الشمال ونزلوا في العلا حيث لم يزل كثير من حدائق النخيل تحمل أسماء بعض بطونهم وعائلاتهم . وقد مكثوا في العلا قرابة المئة عام ، اثناءها التحق بهم الطوقة الذين انفصلوا عن حرب بعـد هجرة الكعابنة بقليل . ولما كانوا في العلا أي حوالي عام ١٦٤٠ م (١٠٥٠ هـ) اصطدموا وعشائر الضفير بقيـادة ابن صويط واضطروها الى الهجرة من شرقي الاردن الى جنوب العراق بطريق الجوف ، ومنازل الضفـير

اليوم في بادية العراق غربي البصرة والكويت • وقد تخلف من قبيلة الظفير في شرقي الأردن أخوان ، احدهما جد قبيلة العدوان البلقاوية [1] التي صارت فيما بعد العدو اللدود والمنافس الوحيد لبني صخر •

اعتاد الكعابنة عندما كانوا في شمالي الحجاز ارتياد المناطق الزراعية على أطراف الهلال الخصيب لابتياع الحبوب أو لقضاء فصل الصيف في جبال شرقي الاردن ولما تعدد ارتيادهم وكثر عددهم اصطدموا وعشائر السردية التي كانت باسطة سلطانها على حوران والقسم الشمالي من شرقي الاردن •

أراد أمير السردية وكان يلقب بالمحفوظ أن يخضعهم لسلطانه ، فطلب منهم « الخاوه » تلقاء سماحة لهم بدخولهم مناطق نفوذه حمايتهم من أي تعد أو هجوم • يظهر أن بني صخر لم يقبلوا بسيادة المحفوظ السردي ، ولعل ذلك كان السبب لهجرتهم الى جهات غزة وبير السبع قبل مايتي عام تقريباً ، لانه عندما أغارت عشائر عنزه على قبيلة السرحان وحصرتها في الجوف في أوائل القرن الثامن عشر خرج بنو صخر بقيادة شيخهم حينذاك محمد الخريشة من ديار غزة لنجدة السرحان •

يروى أن أول نزاع فعلي حدث بين السردية وبني صخر كان السبب فيه فرساً سبوقاً يمتلكها بنو صخر وارادها المحفوظ السردي لنفسه • فأرسل يطلبها منهم بإلحاح شديد ، فحملوا هذا الطلب على أن المحفوظ السردي أراد اذلالهم ومس كرامتهم فتشاوروا في الامر واتفقوا

---

(١) راجع صفحة ١٦٦ من المصدر السابق •

على إيفاد وفد يلتمس من المحفوظ عدم معاداتهم والكف عن نائب الفرس • وقع اختيارهم على سليمان بن حنيف الخريشة شيخ الكعابنة ودبيس بن فايز شيخ الطوقة •

ولما كانا في خيام المحفوظ الضاربة حينذاك في الهزيم لم يحفل بهما ؛ ولما أحضروا امام المحفوظ لم يحتفل بهما أيضاً بل كان ينظر اليهما نظر احتقار واستهتار • ولما شاهدا هذه المعاملة منه لم يفاتحاه بالأمر الذي قدما لاجله وقفلا راجعين الى قومهما في « أم شاش هدرج » في أسفل جبل الطبيق من الشمال •

وفور وصول سليمان الى أهله دعا رؤساء القبيلة لوليمة غداء • ولما وضع الطعام (المنسف) أمام المدعوين رسم بسيفه دائرة حوله وطلب أن لا يضع أحد يده في الطعام قبلما يقسم اليمين باطاعة أوامره والعمل حسب ارشاده • أقسم الجميع يمين الاخلاص لسليمان وأكلوا طعامهم ، فذهبت هذه الحادثة مثلاً فيقال « لقمة الخريشه متبوعه » •

اشتهر السردية بثرائهم وقوتهم فقد كانوا يجندون عدداً كبيراً من الفرسان بينما بنو صخر لم يكن لديهم الا القليل من الخيل ولهذا كان من العبث أن يقفوا أمام السردية وجهاً لوجه ويتغلبوا عليهم فعقدوا النية على أن يخرجوا فريقاً مؤلفاً من ستين فارساً لنهب إبل السردية حتى اذا هب السردية لرد الغارة ولحقوا بهم يقودونهم الى مكان يكمن فيه هجاناتهم فينقضون عليهم ويعملون فيهم السيف • نجحت هذه الخدعة وهلك بها معظم فرسان السردية فكانت هذه الواقعة أول ضربة نزلت بنفوذ السردية وسيادتهم •

وفي ذلك العهد كان المحفوظ السردي يزود موكب الحج بالجمال ويحميه من تعديات العدو وغاراتهم في حوران والبلقاء تلقاء مبلغ من المال كانت الحكومة تدفعه اليه كل سنة • وفي احدى السنين اختلف المحفوظ مع الوالي العثماني ولعله طمع في زيادة جعله فلم يسلم الجمال المطلوبة لموكب الحج في تلك السنة • ولما بلغ سليمان الخريشة هذا الخبر خرج الى دمشق وعرض على واليها أن يقوم بتقديم مايلزم من الجمال وبحماية الحاج وتأمين راحتهم فقبل الوالي طلبه وبذلك سلب السردية مورداً كانوا يتمتعون به منذ عهد بعيد وكان سبباً في ثرائهم وقوتهم •

لاشك أن هذه الحادثة مظهر من مظاهر العداء الذي استحكم بين السردية وبني صخر حتى ولو كانت مبالغاً فيها • وقد انتصر السرحان ، أعداء السردية القدماء ، لبني صخر في هذا النضال •

ولما كان الكفاح بين بني صخر والسردية على أشده ظهر في الأفق قبيلة أعظم وأكبر عدداً • كانت هذه القبيلة عنزه وهي بطن من ربيعة من العدنانية [1] ولم تزل حتى يومنا هذا أكبر قبيلة في الجزيرة العربية • نهضت في ديار خيبر بالحجاز في الوقت الذي خرجت فيه قبيلة بني صخر من العلا •

نزلت طلائع عنزة،وهم الفدعان ، في أعالي الفرات ثم تبعهم « ضنى مسلم » بقيادة زعيميهم الكبيرين الطيار وابن سمير • وقد ذكرنا في بحثنا عن السرحان حصار الطيار للسرحان في الجوف ، بينما كان بنو صخر ضاربين خيامهم في جنوبي فلسطين •

(١) الحقيقة أن عنزة بطن من وائل ووائل بطن من ربيعة من العدنانية ، وتعرف عنزة الى يومنا هذا عند بدو الصحراء ببني وائل •

أغارت عشائر عنزه على شرقي الاردن وحوران وانتزعت السيادة من السردية وطردت معظمهم وأحلافهم الى وادي الاردن • ولعل ذلك حدث في أوائل القرن الثامن عشر لان نيبور Niebuhr ذكر في عام ١٧٦١ أن عنزة أعظم وأقوى قبيلة في صحراء سوريا (١) •

وجاء للسردية ذكر أثناء الحديث عن السرحان ، قال (ص ٢٣٤) :

السرحان

السرحان قبيلة عريقة في القدم قال عنها ابن دريد الأزدي أنها بطن من الأسبع من كلب بن وبرة ، وكلب قبيل عظيم من قضاعة (٢) •

كانت هذه القبيلة أقوى قبائل حوران واعظمها سلطاناً في القرن السادس عشر ، وقد كانت على رأس حلف قبائلي كبير يدعى بأهل الشمال ويضم قبائل العيسى والفحيلي والفضل •

وحوالي عام ١٦٥٠ م نازع السردية بزعامة محمد المهيدي سيادة السرحان فاقتتل الطرفان قتالا عنيفاً سقط فيه عدد كبير من القتلى منهم شافع شيخ مشايخ السرحان ودفن غربي دمشق ولا يزال قبره هناك • فآلت سيادة المنطقة الممتدة من دمشق الى البلقاء بعده الى المحفوظ السردي • ثم انفصل العيسي والفحيلي عن حلفائهم السرحان فتضاءلت قوتهم وتزعزع سلطانهم وأصبحوا مرغمين على الرحيل من حوران •

---

(١) رحلات نيوبور خلال العرب ، وبلاد أخرى في الشرق ج ٢/١٧٩ ادنبره ١٧٩٢ م •

(٢) ابن دريد الازدي ــ الجزء الاول من كتاب الاشتقاق (١٨٥٤) ص ١٨٤ الطبعة المصرية ص ٥٣٧ •

خرج السرحان من حوران حوالي عام ١٦٥٠ ـــ ١٧٠٠ م • ونزلوا في الجوف بعد أن اغتصبوه من أصحابه وشرعوا في بناء مجدهم الغابر الذي قضى عليه المحفوظ السردي في حوران • ويظهر أن السرحـــان اقتبسوا شيئاً من المـــدنية ابان إقامتهم في حوران وتعلموا فيها الزراعة والفلاحة لانهم فور احتلالهم الجوف شرعوا في بناء الحصون والقلاع وانشاء الحدائق والمزارع •

يقال ان الوادي المعـــروف الان بوادي السرحـــان كان يدعي في الماضي وادي الأزرق وانما اكتسب هذا الاسم بعد أن احتله السرحان • ويروى رواتهم أنهم أقاموا فيه بعد خروجهم من حـــوران مدة سبع سنوات وقال آخرون أن المدة كانت تنوف عن العشرين سنة •

وفي ذلك الزمن كانت قبائل عنزة بما فيها الروله « وضَنى مسلم » لا تزال في الحجاز ومنازلها خيبر وكان يجاورها من الشمال قبيلة بني صخر فسبب هذا الجوار عداء شديداً بين الفريقين ظهر أثره في الحوادث التي أعقبت خروج عنزة من الحجاز •

كانت هجرة عنزة من الحجاز الى أطراف الهلال الخصيب طبيعية وهي إحدى الهجرات البدوية العديدة التي لم يقف سيلها ولا بزمن من الأزمان • وفي طريقها شمالاً مرت بالجوف فاصطدمت وقبيلة السرحان ودحرتها وظلت تتبعها الى أن طوقتها من جميع الاطراف • وحدث أن كان بين السرحان رجل من بني صخر تمكن من الهرب الى قبيلته التي كانت نازلة حينذاك في ديار غزة وأعلمها ما حـــلّ بالسرحان من القهر والانكسار •

استثمر بنو صخر هذه الفرصة للانتقام من أعدائهم الألداء عنزة فجمعوا جموعهم وسيروها تحت لواء زعيمهم محمد الخريشة لنجدة

السرحان وبعد مسير ثلاثين يوماً وصلوا الى الجوف و زلوا على عنزة على حين غرة ودحروها لكن لم تلبث أن أغارت عليهم وهزمتهم هزيمة منكرة ، وعطفت على السرحان وأخرجتهم من الجوف جميعاً ، عدا نفر قليل شق عليهم هجر مزارعهم وبيوتهم فتخلفوا في الجوف وكان لهم أعقاب لا يزالون يقطنون فيها الى يومنا هذا •

يغلب على الظن أن انتصار عنزة على المحفوظ السردي كان في منتصف القرن الثامن عشر ، وقد ظل حلف أهل الشمال ضعيفاً متفككاً بعد أن صدعته عنزة حتى أوائل القرن التاسع عشر عندما تولى قيادته مشايخ بني صخر الذين كانوا أقوى عضو فيه •

استقر قسم من الفحيلي وفريق من السردية يقال لهم الصقر في

بعد هذا الانكسار خرج بنو صخر والسرحان الى البلقاء وتبعهم العنزيون الذين اصطدموا والمحفوظ السردي في معركة حامية الوطيس بجوار المزيريب الواقعة شمالي اربد على الحدود بين سورية وشرقي الأردن ، وأسفرت النتيجة عن اندحار المحفوظ وحلفائه أهل الشمال وتفرقهم • فالتجأ قسم منهم وهم بنو صخر والسرحان الى فلسطين وبذلك انتقلت سيادة البلاد الممتدة من دمشق وحوران الى الاردن ووادي السرحان والجوف الى عنزة • أما منطقة عجلون فقد كانت خاضعة لسيادة ظاهر العمر صاحب عكا فلم تجسر عنزة على دخولها •

كان حلف أهل الشمال مؤلفاً من البادى والسرحان والفحيلي والعيسى ثم انخرط فيه السردية وكانوا زعماءه وفي أواخر أيامه انضم إليه بنو صخر ونقلوا زعامته اليهم •

فلسطين وامتلكوا قطعاً من الأراضي يعيشون عليها الآن (١) .

وبعد أن ثاب أهل الشمال مما حل بهم من الوهن واستعادوا مكانتهم الاولى أخذوا يتحدون قبائل عنزة ويغيرون على قطعان مواشيها وإبلها . ولما كثرت تعدياتهم اضطر العنزيون الى الهجرة تدريجياً الى قلب الصحراء . وحدث في ذلك الزمن أن انتشرت الزراعة في غربي الخط الحديدي الحجازي فاضطر أهل الشمال أيضاً الى الرحيل جهة الشرق وربما أن الحكومة كانت ترغمهم على ذلك لحماية الفلاحين من تعدياتهم . فكانوا بالطبع يضغطون على عنزة ، وهؤلاء توغلوا في الصحراء كثيراً حتى صاروا وجهاً لوجه أمام قبائل ابن رشيد وشمر من نجد . انتهز أهل الشمال فرصة حصار عنزة على هذا الشكل فاتحدوا وتقووا وصاروا يجسرون على التوغل في البادية حتى وادي السرحان والجوف ولكنهم كانوا يعودون الى غربي طريق الحج حالما تبدأ قطعان عنزة ترتاد المراعي السورية صيفاً .

العدوان

كما جاء لهم ذكر أثناء الحديث عن قبيلة العدوان ، قال :

سبق فذكرنا تاريخ هذه القبيلة والدور الذي لعبته في تاريخ البلقاء (٢) . والآن نأتي الى البحث عن أصلها ومنشئها .

ورد في الأعلام للأستاذ الشاعر الزركلي أن عدوان (واسمه الحارث) بن عمرو بن قيس بن قيس عيلان من العدنانية وأن منازل بنيه كانت بالطائف ومنها خرجوا الى تهامة ثم تفرقوا بإفريقيا وغيرها .

---

(١) يقطن الفحيلي اليوم بجوار سمخ والصقر بجوار بيسان .

(٢) انظر صفحة ١٦٦ .

وروى القلقشندي في بلوغ الأرب عين الرواية تقريباً وزاد عليها أن العدوان والظفير وغيرهم من القبائل تحت امرة آل الفضل من عرب الشام ولم ينسبهم لقبيل • أما رواة البدو فينسبونهم الى الصويط أمراء عرب الظفير • ويقصون الحكاية الآتية عن منشئهم •

عندما شرع بنو صخر بالزحف من الحجاز شمالاً اصطدموا وعرب الظفير الذين كانوا نازلين في الجزء الجنوبي من شرقي الاردن • فأسفرت النتيجة عن اندحار الظفير وهربهم شمالاً فتبعهم بنو صخر الى أن لحقوا بهم في جهات الازرق حيث اقتتل الطرفان قتالاً عنيفاً كانت نتيجته انكسار الظفير شر كسرة وقتل شيخ مشايخهم سلطان الصويط في موقع يقال له شجرات المحيلان بجوار الازرق من الجهة الغربية ودفن هناك ، وقبره لا يزال باقياً حتى يومنا هذا • ويوجد بالقرب من هذا الموقع غدير ماء يقال له غدير السلطان سمي بهذا الاسم نسبة الى زعيم الظفير بعد أن قتل في تلك البقعة •

وبعد هذه الهزيمة لم يقو الظفير على الوقوف أمام بني صخر فاضطروا الى الهجرة الى المنتفق في العراق حيث هم الآن • لكن خرج منهم فريق والتجأوا الى السردية ويقال لهم الآن عشيرة العون • وذهب فريق آخر الى البلقاء •

ومن قشعم الأردن عشيرة العيسى، في لواء المفرق محافظة اربد ضمن عشائر بد والشمال. وهم بطن العلي، ويقطنون قرى أم السرب، وروضة الرويعي، والحمائل هي: الرشده، القطاشه، الرمحه، الشروان، وبطن السويلم، وشيوخهم الماضي، وهم شيوخ العشيرة كافة، والثروان والحريز، والحوثه اللطفه، الدخيل، الشويران، الزقم وهناك فخذ الصيفي في بلدة الصويح محافظة أربد وفخذ الغريب في يادودة أبو جابر محافظة عمان، وفخذ اللويهر في ماركا محافظة العاصمة. وشيخ عشيرة العيسى صيتان بن مجحم الماضي يسكن المفرق.

قشعم سوريا ولبنان :

يتواجد القشعم في سوريا في عدة أماكن ، ولكن كثرتهم في مدينة تدمر ، وهم قوم أماجد يعتزون بنسبهم القشعمي ، ويفتخرون به ، وقد زرتهم سنة ١٩٨٤ م — ١٤٠٤ هـ ، أثناء الاعداد لهذا الكتاب ، ونزلت ضيفاً في بيت خالد النواف القشعمي ، أبو منير ، وزرت عدة بيوت من بيوتهم واستمعت الى الكثير من حكاياتهم ، وأنا أسأل عن سبب تواجدهم في تدمر ، ومتى كان قدومهم ومن أين ؟ •••

فذهبت بعض حكاياتهم الى أنهم جاؤوا من جنوب العراق ، وسبب ذلك أن رجلاً منهم كان قد أخذ امرأة من الموالي ، ويبدو أنه اختطفها ثم تزوجها ، ويدعون أن اسمها (عنقا) ثم جرى الصلح بين الفريقين بعد عدة سنين ، كانت عنقا خلالها قد أنجبت عدة أبناء ويبدو أن زوجها وأهله من القشعم سيّروا في الصلح ، ثم جاؤوا الى بادية السلمية قريباً من تدمر حيث كانت منازل الموالي مصالحين بعد أن ادعى الموالي قبول الصلح ، ولكنهم غدروا بهم فذبحوهم وهم على الطعام ، وفر منهم من بقي حياً الى تدمر والى يونين في لبنان قريب من طرابلس •

هذه روايتهم الشعبية ، ولكن الأمور على ما يبدو غير ذلك ، وأقصد هنا أمور التاريخ المدوّن ، فقد مرّ بنا أن الملك الظاهر برقوق كان قد أصدر مرسوماً سلطانياً وخلعة بتولية ثامر بن قشعم وكلفه بمحاربة نُعَيْر بن حيار بن مهنا ت. ٨٠٨ هـ وذلك سنة ٧٩٥ هـ ونُعَيْر هذا كما هو معروف أمير آل فضل بالشام ، وكانت إقامته في سلمية (بسورية) وقد قامت بينه وبين القشعم حروب كثيرة ، ظلت إلى أن جرت المعركة الكبرى التي كسر فيها نعير ثم جيء به الى حلب [1] حيث قتل ، ثم انكسرت شوكة آل مهنا •

(١) انظر : الضوء اللامع ١ /٢٠٣ ، وصبح الأعشى ٤/٢٠٨ وتاريخ ابن الفرات : مج ٢/ ٣٤١ •

ويبدو أن قسماً من القشعم الذين كانوا في الحرب ضد نُعَيْر وجماعته ، قد وقعوا في مكيدة دبرها لهم الموالي الذين كانوا مع الفضول ، وفرّ منهم من بقي حياً الى تدمر ولبنان. والله أعلم على كل حال.

وربما كانوا بقايا من حارب الموالي مع أبو طالب بن ناصر بن مهنا . وقد ذُكر لي هذا مشافهة في كتاب (دليل الخليج) فصل تاريخ العراق ولم أستطع الوقوف عليه مع الأسف. ويتراوح عدد القشاعمة في تدمر ما بين ٣٠٠ إلى ٤٠٠ رجل ، ويدخل معهم المليسان وعددهم ٣٠٠ رجل تقريباً ، والشليل ، وبني كربه ، وفطاحله ، وبني عمرة .

وقد خرج منهم منذ مدة رجل الى سلمية اسمه علي بن محمد القشعم ، وقد كان الشيخ نواف القشعم والد خالد رجلاً معروفاً بالكرم والمروءة ، وبينهم وبين بني لام علاقات قديمة ؛ وهم موجودون في تدمر ، وشيخهم ابن عرّوج ، وهؤلاء أيضاً أبناء عمومتهم في الجذور البعيدة فكلتا القبيلتين من قحطان ، وقد مرّ بنا أن بني لام كانوا أصحاب عز ومجد ، وأنهم في القرنين الثامن والتاسع صالوا وجالوا بعد أن كانوا مع الفضول ، ويبدو أن المتواجدين في تدمر كانوا من عرب نُعَيْر أيضاً . وهم اليوم أحباب وأصحاب للقشعم ، بعد منافرات كانت بين القبيلتين الى عهد قريب .

وفي سوريا قشعم في محافظة الحسكة ناحية لحديثية قرية مخلف عبد الله الجفال القشعمي من البنيان . وقد انحدروا إليها في الأصل من العراق ، لا سيما أن قسماً من القشعم يعيش في عانة وراوة ، وهيت . والبنيان موجودون في محافظة الموصل المقابلة للحسكة والقريبة منها .

ومنهم قسم يعيش مع البقارة جماعة أسعد البشير ، وراغب البشير ويقال لهـم النكايلة والرفة وهـم قشعم من فخذ يقال له الحسين أو (كليب) .

وكـذلك منهـم يتاق الأول في دير الزور الحميدي واخوانـه وأولادهـم ، وأخوه نايف الـذياب الفارس القشعمي في الرياض ، ثم عادت الأسرة بأكملها الى وطنها المملكة العربية السعودية وهم من حمايل القشعم من الملحم وقد مر ذكر الملحم أو الحادور .

والثاني في الرقة من فخذ البرطمانيين أو (البو براطم) كما يقال لهم أحياناً . وهم عناد (علي) اللواح البرطماني وأولاده .

قشعم حوران يتواجـدون في منطقة إبطـع تابعة لمحافظة درعا وهؤلاء ينتمون الى أربعة أخوة جاؤوا من نجد الى الكرك في الأردن ثم إلى إبطع حيث استقر محمد وأحمد وعوض ، وانتقل أخوهم الرابع الى الامتاعية شرق درعـا بمسافة سبعة وعشرين كيـلاً . وهم أولاد ياسين القشعمي .

وفي الامتاعية تزوج خلف بالسيدة شيخة الحريري أخت الشيخ فهد الفارس الحريري إمام وخطيب جامع الامتاعية ، وما زالت أطلال داره التي سكنها قائمة هناك .

وقد صار لخلف منها أربعة رجال هم : موسى ، وعيسى ، ومتعب ، وماجد . ولهم أولاد وذراري .

وأما محمـد أخو خلف فقـد استقر بإبطـع وخلف ولداً اسمه

عبد الرحمن وله أولاد وذراري ، وأخوهم الثالث أحمد صار له ولد اسمه حسن ولحسن هذا ولد اسمه أحمد الذي خلّف أربعة رجال • لكن أخاهم عوض انقطع •

قشعم لبنان :

وأما قشعم لبنان ، فهم أبناء عمومة قشعم تدمر ، ومركزهم (يونين) ولهم مع قشعم تدمر زيارات متبادلة ، ولقاءات تعبر عن روابط النسب والدم ، وفي بعلبك عائلة قشعمية أيضاً • ومنهم عائلات أخرى في (زبوغا) وفي (حراجل) ، وفي (بيروت) •

القشعم في العراق (١)

(١) مع الشكر للاستاذين راهي وعبد الكريم الكزار للذهاب بمعية الشيخ عبداللطيف الى جامعة البصرة والحصول على مراجع ومصادر ٠



القشعم في العراق

١ ــ عشائر الفرات الأوسط [١] :

على ضفتي نهر الفرات في القسم الأوسط منه بقعة تمتد من حدود الأنبار شمالاً الى حدود أور جنوباً تسمى الفرات الأوسط ، وهي تشمل ألوية كربلاء ، الحلة ، الديوانية .

كربلاء :

وفيها الحسينية، مركزها خان العطيشي . تبعد المياه عن النجف ستة أميال وارتفاع أرضها حال دون وصول المياه إليها من الشط ، وهي محاطة بسور ضخم شيده الصدر الأعظم محمد حسين خان العلاق وزير فتح علي شاه القاجاري عام ١٣٣٢ هـ لصد غارات الوهابيين [٢] .

قناة الحسينية :

هذه القناة تنتسب تاريخياً الى القشعم فهم الذين قاموا بحفرها ، وكانت الدولة تقدم لهم شيئاً من المال لقاء هذا العمل سنوياً [٣] .

---

(١) عامان في الفرات الاوسط ، عبد الجبار فارسي ، النجف ، مطبعة الراعي ط ١٣٥٣ .

(٢) المصدر السابق ص : ٨ .

(٣) والجدير ذكره أن صلتهم بعوامل النهضة الزراعية ، هي دليل حضاري =

وهي تتفرع من الجهة اليمنى من شط الفرات ، ومعدل ما تأخذه من الماء في النبوة العالية ٨ أمتار مكعبة وتجري بعد مسافة قصيرة من جنوب المسيب غرباً حتى تأتي كربلاء ، وتبعد ميلاً واحداً عن البلدة .

وفي طريق (كربلاء ــ بغــداد) أنشئت دائرة الري ناظماً يسمى (قنطرة البيضة) ذو أبواب حديدية ترفــع بمفتاح لتوزيع الميــاه بين المقاطيــع حسب الاحتياج ، وتنتهي قنــاة الحسينية بأراضي الرزازة الواقعة بأطراف هور أبو دبي ، والعائدة الى عشائر عنزة .

وهذه مسألة تحتاج الى توضيح وبيان . فالرزازة هي عطية ابن قشعم ، لعنزة ، هكذا سمعت من رجال كبار في السن والله أعلم .

٢ ــ عشائر لواء كربلاء :

ليس في هذا اللواء عشائر ذات أهمية نظراً لقلة الاراضي الزراعية فيه ، وأهم العشائر التابعة له ، هي :

ــ عنزة ، ومسكنهــم أراضي الرزازة السابقة الذكر هدية ابن قشعم لهم ، وهي واقعة على قناة الحسينية .

=

لهم والشط المعروف حالياً بالعراق باسم شط المشورب . منسوب باسمه هذا الى الأمير ناصر بن قشعم الملقب بالمشورب ، وكذلك شط المهناوية نسبة الى مهنا بن قشعم .

والمعانية : وهي بئر مياه معروف على الحدود العراقية السعودية ، وقد حفرها ناصر بن قشعم للخيل .

وكذلك آبار اللصف وقصر اللصف هي للطيور وغدير الشيخ مجمع كبير للماء حفره جيش ابن قشعم بعناكز الرماح والغيوم تملأ السماء .

- آل مسعود : وتسكن بين سدة الهندية وكربلاء على قناة الحسينية ويسكن قسم منها بين السدة وطويريج ، ونخوتهم (السن عيش) (بسعد) وبجوارهم بنو أسد .
- اليسار : ويسكنون في ناحية سدة الهندية ، وناحية أبو غريب والقسم الأعظم من بزايز الحسينية . ونخوتهم (اكطع) .
- البو عامر : منتشرون في النجف ، والرزازة ، واليوسفية .
- آل موّاش : مسكنهم الكوفة ، ويشتغلون بزراعة النخيل ، ونخوتهم (جرّاح) .
- البوحداري : ومسكنهم ناحية الكوفة ، غنامة ومزارعون ، نخوتهم (حدرة) .
- الحواتم : مسكنهم ناحية الكوفة ، غنامة ومزارعون ، ونخوتهم (ماجد) .

٣ ـ عشائر لواء الحلة :

ينسب بناء الحلة الى الأمير صدقة بن منصور بن دبيس الأسدي سنة ٥٩٥ هـ .

وفي الحلة قناة المهناوية ، وهي تتفرع من الجهة اليمنى من شط الحلة وتسقي أراضي المهناوية الخصبة ، والمهناوية نسبة الى مهنا والد ناصر بن مهنا الأمير القشعمي .

أهم عشائر الحلة :

منذ أن بنيت الحلة قامت على تركيبة اجتماعية قبلية ، فقد قام بنو مزيد الأسديون ببنائها ، فكانت ملاذاً لكثير من القبائل العربية ، لا سيما

تلك التي جاءت من نجد لطيب أراضيها ، وجود مراعيها ، وهذا ما يبحث عنه العربي في البادية •

وقد حل آل قشعم في بادية الحلة وعلى أطرافها عدة قرون ، ثم جاء ناصر بن مهنا فحكمها حكماً رسمياً ، وكانت الأرض التي شهدت دولة القشاعمة وجولتهم في التاريخ •

— الجنابيون : تسكن هذه القبيلة في ناحيتي جرف الصخر والاسكندرية • وفي أكثر العشائر الفراتية أفراد من هذه العشيرة ، مهنتهم حراسة القبائل التي يحطون رحالهم فيها •

ويقدر نفوس هذه العشيرة بـ ٦٠٠٠ نسمة • وهم من عداد قبيلة القشعم ومن المخلصين ، وما زال قسم كبير منهم في العراق ، وفي الكويت قسم تكوت ولد على ترابها وعاش حياته فيها ، ومنهم قسم في المملكة العربية السعودية في الرياض • وفيهم فرسان وشجعان • شأن اخوانهم القشعم • ونخوتهم (عصاة) •

— عشيرة زبيد : وتسكن بين المسيب والحلة ، ويسكن قسم منهم على شط دجلة ، وهم من اليمن ، وأهم بطونها المعامرة ، الجحيش ، البو سلطان ونخوتهم (حمير) • كما أن لكل من بطونها نخوة خاصة •

— عشيرة الجبور : وأفرادها منتشرون في أماكن عديدة، ويسكن قسم عظيم منهم على قناتي الجربوعية ، وعلاج من فروع شط الحلة وفي أماكن كثيرة ، ونخوتهم (عجم) •

- عشيرة خفاجة : وتسكن في ناحيتي الكفل والقاسم على الجانب الأيمن من شط الحلة ونخوتها عامر أو عمور • وخفاجة كما هو معلوم قبيلة كبيرة ولها دور تاريخي معروف كما أنها منتشرة في أغلب البلاد العربية •

- بنو حسن : من أعظم قبائل الفرات وأكبرها عدداً تسكن ناحية جدول الغربي ، والكفل وقسم منهم يسكن الكوفة ، وهي مجموعة قبائل متحالفة • وأكثر أراضي هذه القبيلة تقع على ضفتي الهندية ، وقد دعا انقطاع المياه عن هذه العشيرة الى انتشار أفرادها المتحالفين ، ونخوتهم (زغبة) •

- عشيرة طفيل : وتنتمي هذه القبيلة إلى شمر ويسكن معظم أفرادها في ناحية الكفل على قناة الجورجية وقناة بني حسن ، ويسكن قسم منهم في ناحيتي جدول الغربي بين السدة وطويريج ؛ ونخوتهم (منصور) •

- عشيرة كريط : ويسكن القسم الاعظم منها في ناحيتي السدة والكفل وفي الشامية ، وتشتغل بالمزروعات وتربية الماشية ، وقد عرف أفرادها بقوة الشكيمة وصلابة العود ، ويقدر نفوسها بألفي نسمة ومع قلة عددها ، فإن العشائر تحسب لها ألف حساب لجرأة أفرادها • وأصل هذه العشيرة يرجع الى شمر ، ونخوتهم العامة (سنا عيس) و (الجلبي) •

٤ — عشائر لواء الديوانية :

- عشيرة آل فتلة : وهي أهم عشائر الفرات الأوسط ، وأكثرها سطوة وأعزها جانباً ونفوذاً وأغزرها مالاً ، وأهلها كرماء

أقوياء مترفون • وهم منتشرون ، ولكن أغلب هذه العشيرة في المشخاب • ونخوتهم (ناصر)• وأصلهم من عشائر الدليم، ويرجع نسبهم الى أنس بن مالك (هكذا يدعون ولم أقف على أدلة قطعية بهذا النسب) ، ويدعي شيوخهم أنهم من اليمن من عشائر قحطان ، ويتبعهم عند الحروب الجبور ، طفيل ، الكرافة ، كريط •

- عشيرة الخزاعل : بيت شرف ورئاسة من أقدم الأزمنة وأصلهم من خزاعة • وقد آخى أجدادهم النبي صلى الله عليه وسلم ، ولذلك فنخوتهم اليوم (فاطمة) •

- عشيرة آل زياد : يرجع أصلهـا الى عنزة فخـذ من الرولة ، ونخوتهم (مبارك) •

- عشيرة آل ابراهيم : نسبة الى إبراهيم بن مالك الأشتر ، وهم من سكان العراق القـدامى في المشخـاب • ونخوتهـم (أولاد حسن) •

- عشيرة آل شبل : مجموعة عشائر متحالفة • أصلها يرجع الى شمر طوكه • نخوتهم العامة (شبل) •

- عشيرة الغزالات : أصلها من عنزة من فخذ وائل • ونخوتهم (شر ما هي) •

- عشيرة الكرد : ونخوتهم (عجمي) •

- عشيرة آل بدير : ونخوتهم العامة (حمير) • وهم قريبون من عفك •

- عشيرة السعيد : تسكن ناحية الدغارة التابعة لقضاء عفك • ونخوته (صبحة) •

ـ عشائر الأكرع : ومسكنهم الدغارة ، وسيل الديوانية ، وقد قصدت العراق من اليمن • ويرجع أصلها الى شمر • ونخوتهم (أخوة علية) •

ـ عشائر عفك : أصلها من باهلة ، وقد قصدت العراق من نجد ونخوتهم (باهلة) •

عشيرة بني عارض : مسكنهم ناحية الرميثة ، وأصلها يرجع إلي شمر وعرفوا بالجرأة والفراسة ونخوتهم (مصوخ ومنصور)•

ـ عشائر بني حجيم : تتألف من عدة بطون منها الظوالم ، وأصلهم من شمر • ونخوتهم (باشا) [1] •

ولا أعتقد أن ما جاء هنا شامل لكل عشائر الفرات الأوسط ، ولم استطع ـ مع كل أسف واعتذار ـ أن أطوف على الألوية الثلاثة وأسجل المعلومات دراسة ميدانية ولذا فقد اعتمدت الكتاب المذكور ، إلا أن الكتابة في علم الأنساب تجعل الانسان حذراً دائماً فلا يعتقد أن ما جاء هنا صحيح مائة في المائة • وإني أعتذر إلى كل قبيلة لها وجود وذكر ، ولم أذكرها هنا بسبب ما ذكرته •

وقد ذكرنا عشائر لواء الحلة وكربلاء ، والديوانية ، لمجاورتهم لعشائر القشعم ، وقد رأينا في الصفحات السابقة كيف كان توجه آل قشعم إلى العراق ، وقدمت لنا كتب التاريخ مجموعة قيمة من الأخبار الخاصة بأعمال آل قشعم ، وحروبهم وصلاتهم مع القبائل الأخرى ، ورأينا كذلك كيف كان انتقال القشعم إلى شمال الكويت ، وجنوب العراق وشمال المملكة •

---

(١) المصدر السابق ص : ٨١ ـ ٩٢ بتصرف يسير •

ولا أريد أن أعود إلى ذكر ما مرّ ، ولكنني قبل أن أشير إلى ذكر القشعم في العراق ، لا بد من الحديث عن نقطة مهمة جداً ، وهي أن حمولة القشعم الأرومة انطلقت من نجـد ، وقشعم المملكة العربيـة السعودية هم الأصل الثابت ، وأن القبائل التي التفت حول ابن قشعم في العراق هم فرع نابت ، مر عليهم مئات السنين مـع القشعم ، وهم اليوم الأصل الكبير المشهور ببطولاته ، وأخباره ولهم مكانة الصدارة بين قبائل القشعم ، ومنهـم قشعم الكويت فهم لا ينفصلون عنهـم إطلاقاً ، والفروع التي نجدها في العراق ، نجـد منها أقساماً كثيرة في الكويت .

وكانت شمّر في العصور المتأخرة تفتخر بشخصيتين شمّريتين الشخصية الأولى ابن قشعم في العراق ، والشخصية الثانية ابن رشيد في حايل ويبقى لقشعم العراق صولة وجولة كبيرة ، معروفة لدى القبائل كـافة .

وفيما يلي ذكر لما وقفنا عليه من أفخاذ القشعم وفروعهم في العراق . وقد لا نذكر فخذاً أو أكثر ، وهذا ليس مقصوداً إنما هي المعلومات التي وصلنا إليها ، والمرجو أن يكتب إلينا من كان قشعمياً لم يجد لفخذه ذكراً ليصار إلى استدراك النقص في طبعة أخرى إن شاء الله .

وذكر هذه القبائل لا يتبع تسلسلاً معيناً .

١ ـ حمولة القشعم الثويـني . ومركزهـم في الحلة (بابل) والكوفة والبصرة . وفروعهم كثيرة منتشرة في جنوب العراق .

في الركى (الرجى) وشيخهم عبد الله الناصر .

٢ ـ أم العباس ، تبع قضاء الكوفة وكبيرهم ظاهر بن علي الحاج حسين المهنا القشعم . وهم حوالي ٢٠ بيتاً .

٣ ـ النواصر في الديوانية محافظة القادسية ، وشيخهم حسين بن زيارة وهم حوالي ثلاثمئة بيت ، وكذلك مثلهم في محافظة الحلة (بابل) وشيخهم حمزة لازم الناصري . وهم حوالي ثلاثمئة بيت أيضاً ، ومنهم غربي الديوانية عند الأقرع (والأقرع شمّر) ومنهم في الفلوجة .

٤ ـ البوصيبع ، وهم كثر يتجاوزون ٧٠٠ بيتاً وهم وجوه بارزة بالنجف .

ولهم وزنهم الكبير بين قبائل القشعم في العراق ومشيختهم محصورة في اسماعيل بن حسين بن علي البوصيبع ، ومنهم حج أحمد عباس اسماعيل ، وحج حسين بن جواد بن عليوي بن اسماعيل . وحج خضير ابن عليوي بن ناصر بن حسين بن اسماعيل .

٥ ـ البنيان ، وهم من القشعم المتحضرون يسكنون الموصل .

٦ ـ الكنعان ، ومنهم في قضاء الصويرة محافظة واسط بيت لفتة الحمداني العفتان بن سليمان الكنعان القشعمي ، وهم أربعة بيوت .

٧ ـ العدوان ، وهم في الرجي جنوب العراق .

٨ ـ الحسين . وهم أهل الحسينيّة منهم بيت خضير الحج عباس القشعم وأخوانه عشرة بيوت .

٩ ـ الوعير .

١٠ ــ النبهان، ومنهم في محافظة الكوت قضاء الحي المعلم مجيد جاسم الشداد القشعمي، وجماعته من النبهان ومنهم في كربلاء في باب طويرج. ومنهم بالعمارة ناحية الكحلا قسم وكبيرهم فيه حج حميد عبود ذياب القشعمي، ومنهم الدغمان في منطقة (أبو الخصيب)، ومن النبهان جماعة مع الجواريين مابين الخميسيّة وسوق الشيوخ ومن النبهان في السعودية حمود ومحمد النشمي النبهان.

١١ ــ البندر وهم يعودون إلى بندر بن عبد العزيز أخي ثويني.

١٢ ــ المخالي ، وقد مرّ ذكرهم في الكويت وهم أيضاً (الويسي الصرّان وجماعتهم وقد رأينا تجمعهم في الكويت ، ولكننا سنذكرهم فرادى هنا) .

١٣ ــ الصهبان .

١٤ ــ الشميل .

١٥ ــ الجنابيون ، وهم : الجدران أو التومان ، والغبير ، والجاروب وشيخ الجنابين نعمة الحسون ، وهو نائب في البرلمان العراقي وشغلوا مناصب حكومية عالية وشيوخ الجنابيين في الشمال يقولون لهم الحسون ، شيخان هما قصب بن جنديل وعبد المنعم الرشيد .

١٦ ــ الملالي .

١٧ ــ الخطية .

١٨ ــ الطارش .

١٩ ــ الرملي .

٢٠ ــ الجفيل .

٢١ ــ البرطمانيون قريب النعمانية غرباً، وفي الزبير، وفي السلمان، وغالبيتهم.

في (بصيّة) وكثر منهم في الحلة وكبيرهم اليوم قطامي عفات ، وطارش كزار الجبر •

٢٢ ـ العبيان •

٢٣ ـ الشليهم ، ومنهم في الرجي •

٢٤ ـ اللهيب قبيلة قشعمية تحدث عنها عمر رضا كحالة في كتابه معجم قبائل العرب القديمة والحديثة (١) ومنهم (لهيبات الجعّارة) قرب الحيرة وأبو صخير •

وكان كبيرهم هندي الشنيتر عارفة للقشعم •

٢٥ ـ العساف •

٢٦ ـ الكليب ، وهم في الرجي •

٢٧ ـ الشريفات •

٢٨ ـ الصبيح •

٢٩ ـ الأبازيد (أو الملحم) ، ومنهم نجم عبد حسين علي وهو من النسر أبا زيد ، والحادور والفارس من فخذ واحد (الملحم أو الأبازيد) ومنهم في ناحية العزيزية محافظة الكوت قرية الحفرية علي بن جبارة السبع القشعمي وجماعته في مزرعة الصويره ، وهم ثلاثون بيتاً •

٣٠ ـ الشهبان •

٣١ ـ قشعم لا أعرف لمن يعودون ولكنهم وراء الكوت مع شمر طوكه •

٣٢ ـ الزيود ، كانوا مع القشعم ثم ذهبوا الى الكويت ، ومنهم

(١) ج ١٦٩/٥ •

الأملح بن مجول الزيدي ذهب مع الدهامشة • وهم بيت مع الجميشات من عنزة في عرعر شمال السعودية •

٣٣ ـ البادي •

٣٤ ـ العكيلي ـ القاطنين مع قبيلة الظفير ـ وهم الان عدة بيوت في حفر الباطن •

٣٥ ـ الحبيب،وربما كانوا منتسبين الى حبيب بن صقر القشعم •

٣٦ ـ الحمدان عند زبيد شرقي بغداد •
بالحمزه بديرة الخزاعل • ومنهم قسم في الزبير.

٣٧ ـ العصيدة ، أبوهم (ساكت النجم) شرقي الديوانية بالحمزة بديرة الخزاعل ، ومنهم في الزبير •

٣٨ ـ قشاعمة راوة وعانة ، وأغلبهم في منطقة الدرجة ، دون الرمانة ، على كتف شط الفرات الأيمن • وشيخهم حبيب بن حميد الظاهر القشعمي ، وحج مد الله بن شويخ القشعمي •

وقد كان جدهم زيد أيام الشيخ ناصر بن جيب رحل مع قصير له من طيء ، وكان ناصر بن حبيب فيما يروي بعض العرب قد طلب فرساً لقصيرهم ، فهربوا معه الى الرمانة ، وتوثقت علاقتهم مع طي •

عائلة آل قصاب في بغداد من قشعم راوة وهذه العائلة حسيبة نسيبة ذات أعمال رفيعة المقام وحسبهم من الرجال عبدالعزيز القصاب الذي كان وزيراً لعدة وزارات على عهد الملك فيصل الأول بالعراق، التي ألفها عبدالمحسن السعدون، وناجي السويد، وجميل المدفعي، ثم انتخب نائباً عن بغداد، ورئيساً لمجلس النواب عدة مرات، واستقال من آخر رئاسة للمجلس عام ١٩٤٨م احتجاجاً على معاهدة بورت سموث لعدم استشارته بشأن عقدها ثم على ضرب المتظاهرين ضدها بالرصاص.

ثم خلفه ابنه الدكتور عبدالمجيد القصاب، الذي استوزر عدة مرات عام ١٩٥٢م وزيراً للصحة، وعام ١٩٥٣م، وزيراً للمعارف، وعام ١٩٥٤م وزيراً للصحة مرة ثانية. وهو باحث وأستاذ في علم السلك الدبلوماسي وله بحوث قيمة في الصحة والاقتصاد والتاريخ وأدب الرحلات.

٤٠ ــ قشعم بالحي مع المعضّة شمال العمارة مع لفته الطوقي

٤١ ــ آل العذري ، وهم من قشاعمة الحلة وأصلهم من قبيلة الدغيرات ، وهم في الأصل شمّر • ومنهم الشيخ علي العذري ، والشيخ عبد الله العذري ••• (١) ومنهم في قضاء الكوفة •

٤٢ ــ الشمرت والزكرت ، (الدراغات) ويعودون ، الى قشعم بالتحالف كما سمعت هذا من العرب ، وقد ورد ذكرهم في مقدمة قصيدة مدح للشاعر السيد جعفر كمال الدين الحلي ، وهو يمدح خير الله أفندي قائمقام النجف بمناسبة نفيه لبعض الأشقياء من طائفتي الزكرت والشمرت الذين كانوا يقلقون راحة الأهلين ، وطلبة ، العلم والزوار (٢) كما ورد ذكرهم في ترجمة الشيخ يعقوب الخطيب الذي (هاجر الى الحلة على أثر خصومة بينه وبين الملا يوسف بن الملا سليمان في أمور تتعلق بقضايا الزكرت والشمرت ، ثم سكن السماوة ، ثم رجع الى الحلة) (٣) •

٤٣ ــ الخمام ، وهم متواجدون في الزبير •

٤٤ ــ الشويرد ، وهم متواجدون بالرجي والزبير •

---

(١) تاريخ الحلة ، يوسف كركوش القسم الثاني ص : ١٥٤ •

(٢) المصدر السابق ص : ١٩٢ وكتاب شعراء الحلة ، علي الخاقوني ج ١/ ٢٤١ بيروت دار الاندلس •

(٣) المصدر السابق ص : ٢٤٠ •

ولا ينكر التاريخ ولا أحد من شيوخ القبائل ما كان للقشعم من دور كبير في جنوب العراق ، فقد كانوا يأخذون الزكاة على ما يسمونها على عدد كبير من القبائل ، ولا شك أنهم ظلموا لدرجة أن رجلاً منهم قال مرة في مجلس شيخ من شيوخهم (الله يظلم بالظالمين) ، فانزعج الشيخ وأمر بضربه لأنه يدعو على الظالمين ، وهو يقول له : كيف تدعو علينا ! .. وهذا عجيب حقاً .. وقد كانت قبائل غزية تدفع الزكاة لقشعم مدة طويلة جداً من الزمن ، وهذا الأمر يفسّر لنا التفاف كثير من قبائل الحميد ، والرفيع وساعدة ، والبعيج ، والخزاعل حول القشعم لدرجة أنها على مدى الزمان ؛ فمن الحميد كانت القبائل التالية تدفع الزكاة لآل قشعم :

١ ــ السوالم .

٢ ــ عويس .

٣ ــ عتول .

٤ ــ السحيمي .

٥ ــ المهملي .

٦ ــ الشويلي وهم (حضر) .

٧ ــ الصريفي .

٨ ــ عابد .

ومن قبائل الرفيع التي كانت تدفع الزكاة لآل قشعم

١ ــ النافع .

٢ ــ الحسين .

٣ ــ البويزيد .

٤ ــ النملة .

٥ ــ الشريه .

٦ ــ بني طوق .

٧ ــ الندى .

٨ ــ الفضل .

٩ ــ الشواريج .

ومن ساعده دفعت القبائل التالية الزكاة لآل قشعم :

١ ــ المفلح .

٢ ــ الطواش .

٣ ــ البكعان .

٤ ــ غيث .

٥ ــ غويث .

٦ ــ طنبه .

٧ ــ كرغول .

٨ ــ الطلاس • وهم شيوخ الكرغول •

٩ ــ الصهيب •

ومن البعيج الذين كانوا يدفعون الزكاة لآل قشعم :

١ ــ السويد •

٢ ــ الشيحان •

٣ ــ العزيز •

٤ ــ الطريف •

٥ ــ حراكصه •

كما دفعها قسم من الخزاعل ، والأقرع ، والجبور ، وشبل ، وشلال • والسعيد من زبيد ، والزكاريط من شمر • (١)

(١) على ذمة من روى.

الشعر في المملكة العربية السعودية



القشعم في المملكة العربية السعودية

الجزيرة العربية الموطن الأول لكل العرب ، والتاريخ حافل بذكر الهجرات العربية إلى خارج الجزيرة ، وهذا أمر مشهور معلوم لا أريد العودة إليه ، من قريب أو بعيـد ، ولكنني أريد أن أذكّر بالهجرات الداخلية التي كانت ، وما زالت وستبقى داخل الجزيرة •

هجرات من الشمال إلى الجنوب ، وهجرات مـن الجنوب إلى الشمال ، وأخرى من الشرقية إلى الغربية ، أو من الغربية إلى الشرقية ، ومن نجد وإليها • وهذا أمر قديم جديد لكن ذكره مرّة أخرى لا بد منه ونحن نتذكر هجرة الضياغم من وادي تثليث وما حوله في الجنوب الى الشمال في حائل • وذلك لانتساب القشعم الذين هـم موضوع البحث إليهم •

وقد رأينا أن بعض الباحثين ينسب الضياغم إلى ضيغم بن قيس ابن شمّر (١) الذي تزوج عبدة ابنة سالم المهلهل ، وأن قيس بن شمّر هذا كان سيد آل ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيء •

ورأينا أن صاحب كتاب (طرفة الأصحاب •••) عاد بالضياغم الى منيف بن ضيغم بن منيف بن جابر بن علي بن عبد الرب بن ربيع ابن سليمان بن عبد الرحمن بن روح بن مدرك بن عبـد الحميد بن مدرك •• وكان روح ابن مدرك قد تزوج عبيدة بنت مهلهل بن ربيعة ، وكلام آخر يمكن الرجوع إليه في مصدره (٢) •• المهم في هذا هنا أن

---

(١) انظر فصل الضياغم من كتابنا هذا •

(٢) الفصل السابق (الضياغم) •

منيفاً هو الأب الذي ولد له ضيغم وراشد ، وأن ضيغم بن منيف خلّف ثمانية بنين هم (منيف ، وشكر ، وعلي ، وسنان ، وعامر ، وحارث) وأن أخاه راشد خلّف عشرة بنين هـم (علي أو ضيغم ، ومحمود ، وأحمد ، ومحمد ، وحامد ، وحميدان ، وجابر) .

وقد ورد أن علي بن ضيغم بن منيف خلف ولدين مجلب وعرّي (غزّي) وقد ذهبنا إلى أن المحقق أخطأ حين قال (في الأصل عرّي) وظنه عزيز، وهذا خطأ واضح فهو غزّي، وهو الذي نعتقد أنه من أجداد القشعم المنتمين أصلاً إلى هؤلاء الضياغم، ولاسيما أن الشخصية المعروفة عند القشعم بسعد بن غزّي تشكل عندهم جداً بعيداً، وربما تكرر هذا الاسم (غزي) مرة أخرى ومن الصعب جداً تحديد زمن دقيق لوجود شخصية سعد ولكن شخصيته معروفة عند البدو، وحولها روايات وشعر شعبي وأشياء كثيرة.

ورحلة الضياغم من وادي تثليث وما حوله معروفة شعبياً لا سيما عند الشعراء الشعبيين الذين يذكرون الأماكن التي مر بها الضياغم أثناء رحلتهم الى الشمال ، ويذكرون الحوادث التي حصلت لهم ، وحروبهم فيما بينهم وحروبهم مع السلطان مارد (الباشا التركي) وحوادث كثيرة مصاغة باسلوب شعبي قريب جداً الى ما نعرفه في حكاية بني هلال وسيرتهم .

وكان فارس بن شهوان بن ضيغم قد عدد كثيرا من تلك الأماكن التي مروا بها في رحلتهم ، وعنه أخذ كثير من الشعراء ، ومنهم خفيج الأديب الشمّري (١) .

---

(١) انظر قصيدته في فصل الضياغم من هذا الكتاب .

وجميع ما يعرف الآن بالضياغم ينتمون الى ضيغم ، وقد اشتهرت منهم عدة أسر تعاقبت في العزّ والسلطان أشهرها آل قشعم ، وآل علي ، وآل رشيد ومنهم الفغمة ، والشهوان • وفي الوقت الذي تفرق فيه آل قشعم في عدة بلاد عربية بعد خروج ثامر بن قشعم أميراً الى العراق ، بقي آل علي وآل رشيد في حائل ، وبقي معهم قسم كبير من القشعم في حايل ، والزلفي ، وحين أظهر آل علي فيما بعد سلطة ونفوذاً غربت شمس القشعم في حائل ، وهاجر منها سعد المعروف براعي الذلول الى جنوب العراق ليلحق بمن قد سبقه من القشعم مع ثامر الذي هاجر الى جنوب العراق سنة ٧٩٥ هـ ، وهذا التاريخ الثابت علمياً هو شفيعنا في ذكر تقدم القشعم من الضياغم على أبناء عمومتهم آل علي •

وقد كتب الشيخ العلامة حمد الجاسر في كتاب (معجم قبائل المملكة القسم الثاني) [١] يقول : القشاعمة (القشعم) من آل جعفر من عبده من شمر • هذا كل ما كتبه الشيخ حمد • وقد ناقشته في هذا في منزلة ــ أطال الله عمره ــ ففتح الكتاب ليتذكر ما كتب ، وقرأ ، فاستغرب أن يكون هذا كل ما كتب ، وسألته كيف يكون القشعم من الجعفر ، وهم أقدم منهم ! ••• فأجاب الشيخ بأن هذا يكون أحياناً من غلبة الفرع على الأصل وهذا كلام صحيح يوضح قلب المفاهيم •

وعلى كل حال فهذه مسألة ناقشناها في غير هذا الموضع • وكتب [٢] الأديب عبد الله بن خميس ، يتحدث عن أشهر الأسر في الزلفي ، قال :

---

(١) ص ٦٥٨ نشر النادي الأدبي بالرياض ١٤٠١ هـ

(٢) عبد الله بن خميس ، المعجم الجغرافي للمملكة العربية السعودية معجم اليمامة ج ٥٣٤/١

« فمن أشهر الأسر في الزلفي ، آل عبـد اللطيف ، وآل بداح ، وآل ناصر ، وآل مقحم وآل حاثل ، وآل شايع ، والخنانا ، وآل مسفر : وآل دعفس ، والجديع والزنادا ، وآل قشعم ، والعصامي ، و ...الخ»

كما تحدث حمد الجاسر عن عوائل وأسر الزلفي التي من شمر ، فقال : (وفي الزلفي أسر كثيرة تنتسب الى شمر منهم آل جميل وآل حمدان ، والدّواخا (آل دوخي) والزنادا (الزنيدي) وآل فايز ، وآل قشعم ، وآل مسفر في بريده والكويت ، وآل نصار » [1] .

والحقيقة أن المسفر ، والنصار ، والفايز والقشعم ، والبوازع كلّهم أولاد عم ، وكلهم من آل قشعم أصلاً نسباً وليس تحالفاً أو تعاضداً . فهم جميعاً أبناء أرومة واحدة ، ومعهم كذلك بقية أفخاذ القشعم في حايل حيث يوجد (الفتيح، والغانم) وكل منهما يقسم إلى عدة أفخاذ، هي:

أولاً الفتيح ويقسمون إلى :

١ ـ النّعيم ، منهم في حايل ، وفي الرياض . ومنهم مازال في البادية .

٢ ـ الدعيع ، وهم متوزعون أيضاً في الأمكنة السابقة .

٣ ـ الهلال .

٤ ـ الحجافة .

---

(١) جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد ، القسم الثاني ص ٧٢٦ دار اليمامة ، الرياض ، ١٤٠١ هـ .

٥ ــ البراغشة •

٦ ــ الرواحلة •

٧ ــ الفتيح •

٨ ــ البيّاح • في حايل ، وديرتهم الجثامية •

٩ ــ البواهل •

١٠ ــ الجراهدة •

١١ ــ البشر •

١٢ ــ العكلة •

١٣ ــ العبدان.وهؤلاء كلهم أولاد فتيح •

ثانياً : الغانم وهو أخو فتيح ، والأفخاذ المتشعبة منه هي :

١ ــ المهيني •

٢ ــ الهرماس •

٣ ــ العجالة •

٤ ــ الربعي •

٥ ــ الداغر •

٦ ــ المغيص •

والمسفر والنصار والفايز والبوازع والقشعم الذين ذكرهم الشيخ حمد الجاسر •

هذه حمايل كبيرة وهم يعودون إلى القشعم بصلة النسب ، والدم ، وهم من الأسر المتمدنة المتحضرة ، وتذهب بعض الأخبار الى أنهم أخوة لقشعم • وهم متوزعون بين بريدة ، والزلفي ، والكويت •

فالمسفر من كبار أهل بريدة ، ومنهم أحمد المسفر أمير الجبيل [1] ، وهم من علية القوم ، ومكانتهم كبيرة اجتماعياً ، وعلمياً ، وقد صاهروا الجلوي من آل سعود • وقد عرفت منهم في الرياض الأخوة مسفر المسفر (أبو أحمد) وأخاه فهد المسفر ، وابن مسفر أحمد المسفر ، فرأيت فيهم عراقة وأصالة •

والنصار في الزلفي، وهم أبناء عمومة قريبة جداً للنصار في الكويت وتعرفت في الرياض على بعض شخصيات من النصار ممن يمتون بصلة القربى الوثيقة إلى نصار الكويت وهم جميعاً من أرومة واحدة.

والفايز والقشاعمة والبوازع من أهل الزلفي ، المتمدنين ، وهم من الحمايل الكبيرة في القشعم ، والبوازع أمراء الربعية • والى وقت قريب جداً كان للمسفر والنصار والفايز والقشعم جليب ماء بقي مدة طويلة من الزمن ورثة لهم جميعاً الى عهد قريب جداً تم اقتسامه وبعض الناس حدثني أنهم لما يقتسموه حتى الآن •

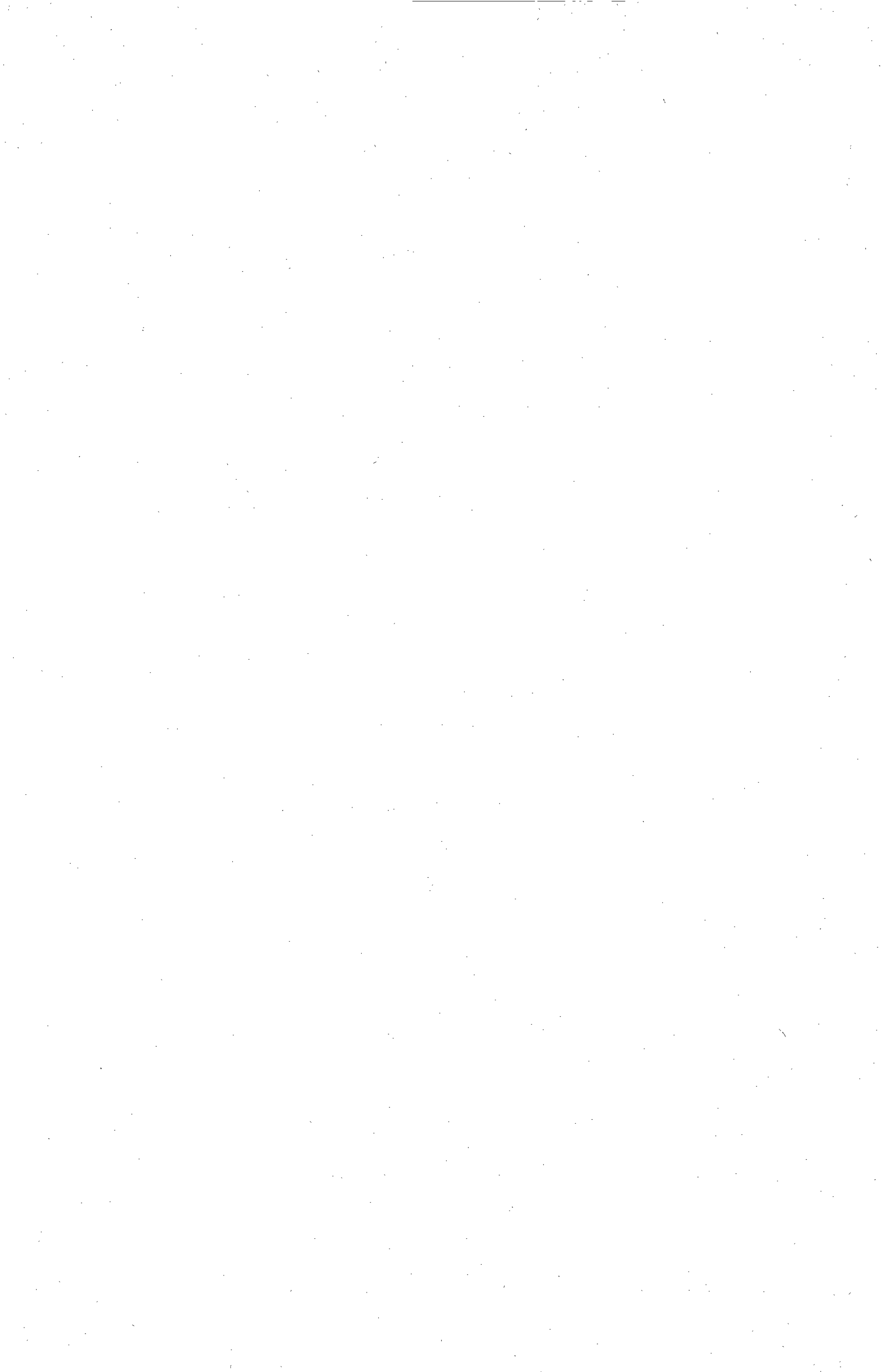
وهناك فخذ من القشعم من المحمد مع الهواجر ـ بالمنطقة الشرقية، وهم أبناء عمومة مع الفايز والنصار والقشعم •

---

(١) توفي أثناء تصليح هذا الكتاب •

شيوخ آل قشعم وأمراؤهم

- مقدمة تاريخية .
- ثامر بن قشعم .
- ناصر بن مهنا .
- أمراء آخرون .
- لقب شيخ الشيوخ .



شيوخ آل قشعم وأمراؤهم

شهد القرنان السابع والثامن من الهجرة أوضاعاً سياسية مضطربة جداً انتهت بسقوط الخلافة العباسية في بغداد سنة ٦٥٦ هـ ـ ١٢٥٨ م . وقد كانت المنازعات قائمة بين الخليفة في بغداد ، والسلاطين السلاجقة (١) وبين الخليفة وأمراء الأطراف كصاحب الحلّة (٢) .

كما دب الخلاف والنزاع بين السلاجقة أنفسهم ، وبينهم وبين حكام الولايات المتفرقة (٣) .

كذلك وقع الصراع بين الأتابكة والأيوبيين (٤) ، وبين أعضاء البيت الأتابكي أنفسهم(٥) وكان العالم الاسلامي في المشرق بين (فكيّ كماشة) يحاصره المغول في الشرق ، والصليبيون في الغرب .

وفي سنة ٦٣٥ هـ قام العوام في بغداد بشغب راح ضحيته عدد من

---

(١) انظر (أخبار الدولة السلجوقية) ص : ١٣٤ ـ ١٣٦ و ١٤٠ و ١٤٣ ، ومرآة السبط ١٨٩/٨ وتاريخ ابن كثير ١٩٦/١٢ ـ ١٩٩ و ٢١٠ و ٢١٨ .

(٢) مرآة السبط ١٠٩/٨ و ١١٠ ، وتاريخ ابن كثير ١٩٠/١٢ ـ ١٩١ و ٢٣٠ و ٢٠٦ و ٢١٨

(٣) ابن خلكان ٢١٧/١ ، وأخبار الدولة السلجوقية ، ١٩٥

(٤) المنتظم ١٠٥/١٠ ، ومرآة السبط ٢٣٢/٨ ـ ٢٣٤ و ٣٦٣ .

(٥) ابن الأثير ١٦٨/١٢ ـ ١٧٣ .

الناس[1] وهذا يدل على الفتن التي كانت بين الناس في مجتمعات المدن ، ولم تكن حال البوادي بأفضل منها .

كل تلك الأمور أدّت الى تمزيق العالم الاسلامي،وكان تجمع المماليك الأتابكة أو المماليك البحرية رحمة للمسلمين إذ شاءهم الله ليخلصوا البشرية من جحيم التتار وهمجيتهم ، وفي البادية كانت أحوال الفضول قد بدأت تضعف ، وبدأت قوة جديدة تظهر فمنذ نهاية القرن الثامن بدا أن مكانتهم قد بدأت تضطرب ، حتى إذا ما قتل آخر أمرائهم نفوذاً وقوة ، وهو نعير سنة ٨٠٨ هـ انتهى أمر الإمارة العربية التي ظلت ذات دور كبير في البادية (بادية الشام والحجاز والعراق) مدة طويلة من الزمن .

ومع كل أسف فإن تأريخ الحالة الاجتماعية والسياسية في هذه البوادي ظل شبه مجهول ، والأخبار قليلة ونادرة ، ولا تحلل كثيراً من الأحداث ، لذا كان لابد من الوقوف على أخبار العرب في بعض المدن التي كانوا قد شكلوا فيها عدة إمارات عربية .

كان العرب في المدن والبوادي يحاولون رد اعتبارهم ، ودعم الخليفة ، إلا أن القادة من الأعاجم كانوا يحولون بينهم وبين ما يريدون.

ومن قوي أمره من العرب ، اكتفى بإقامة دويلة تحتاج الى مباركة الخليفة الواقع تحت سلطان هؤلاء الأعاجم ... وقد بدا لهؤلاء الأعاجم أن قيام تلك الدويلات العربية في البوادي،والأطراف سيكون لصالحهم، إذ أن تلك الدويلات ستكف عنهم شرّ عرب البوادي ، وستجعلهم منضوين تحت حاكم منهم .

---

(١) الحوادث الجامعة : ص ١٠٢ .

ومنذ القرنين الرابع والخامس الهجريين ، قامت دول مستقلة عن جسم الدولة العباسية على نحو معين ، يقصه المؤرخون والباحثون كثيراً ، ففي حلب :

قامت دولة لبني كلاب على أنقاض الدولة الحمدانية ، قام بها صالح أبن مرداس الكلابي (١) .

وفي الموصل قامت دولة بني عقيل سنة ٣٨٠ــ٤٨٩ هـ ، على يد أبي محمد بن المسيب العقيلي ، وكانت الكوفة وباديتها تحت حكمه (٢) .

إلا أن الدولة التي كان لها صلة ببحثنا هي دولة الحلة .

ففي الحلة قامت دولة بني مزيد الأسدي (٤٠٣ ــ ٥٤٥ هـ) .

وقد هيأ لها الأمير الحسن بن مزيد الذي كان يتولى حماية جزء من أرض العراق للخلافة العباسية ، ثم جاء بعده ابنه علي ، ثم ابنه نور الدين دبيس بن علي ثم ولي بعده صدقة بن منصور بن دبيس الأسدي ، وهو الذي بنى مدينة الحلة سنة ٤٩٥ هـ (٣) .

وكانت الكوفة قد خرجت من حكم بني عقيل وأسندها العباسيون الى بني خفاجة ، وأول من استلمها والياً للعباسيين هو الأمير أبو طريف

---

(١) انظر تاريخ ابن خلدون ج ٤/٢٧١ ــ ٢٧٥ . وانظر أعلام النبلاء في تاريخ حلب الشهباء : ج ١/٣١٥ ــ ٣٤٤

(٢) تاريخ ابن الأثير ج ٩/٢٨ .

(٣) تاريخ ابن الأثير : ج ١/١٣١ .

عليان بن ثمال الخفاجي سنة ٣٧٤ هـ ، وقد قلده الخليفة حماية الكوفة (١) .

وكانت الحروب تقوم أحياناً بين هذه الإمارات كما حدث بين قرواش العقيلي أمير الموصل ، وبين بني أسد وبني خفاجة حين اجتمع دبيس بن علي بن مزيد الأسدي أمير الحلة مع أبي الفتيان الخفاجي أمير بني خفاجة بالكوفة وجمعا عشائرها ، وانضم إليهما جيش بغداد لقتال أمير الموصل (٢) .

وعلى مايبدو فإن الخلافة العباسية كانت تشجع هذا القتال أحياناً بتحريك من العناصر غير العربية في قصر الحاكم العباسي ، ليظل أمر العرب ضعيفاً في شأن الولايات التي تحت حكمهم ، فلا يستفحل أمرهم ، ولا يتوسع نفوذهم .

وأحياناً تقع الحرب بين أفراد القبيلة الواحدة، بين أمرائها كما حدث بين نور الدين دبيس الأسدي ملك الحلة وأخيه ثابت . فهزم دبيس وخرج من بلده وسرعان ما ساعده جزء من بني خفاجة وبني أسد لاعادته ملكاً (٣) .

وقد استمر القصر الحاكم في بغداد ، أو القاهرة فيما بعد بإسناد إمارة بعض المدن ، وما يلحق بها من براري الى القبائل العربية القوية كي يستطيع هذا الأمير بما له من نفوذ في عشيرته وقبيلته أن ينشر الأمن والطمأنينة في المدن التي يحكمها ، وفي البراري التي ينتشر فيها الأعراب

---

(١) المصدر السابق : ج ٩/ ١٥ .

(٢) المصدر السابق : ج ٩/ ١٣١ ـ ١٣٢ .

(٣) المصدر السابق : ج ٩/ ١٦٣ .

لاسيما على طرق الحج ، ويشترط في هذا الأمير أن يكون قوياً بشخصيته وبقبيلته وبقدرته على جمع القبائل حوله •

وقد ظل شأن بني مزيد في الكوفة في علو الى أن مات علي الثاني آخر أمرائهم سنة ٥٤٥ هـ • ثم جاء الخليفة العباسي المستنجد بالله فأمر بإبادة بني أسد الموجودين) بكثافة في العراق فقتل منهم سنة ٥٥٨ هـ أربعة آلاف رجل فاضطر الباقون للنزوح عن حوض الفرات ، وجاء بنو المنتفق (المنتفك) من البطيحة فاحتلوا بعض أماكنهم ، على أن سيطرة الحكم قد انتقلت من بعدهم الى بني زنكي (١) •

ولايستطيع الباحث أن يتجاهل دور السلاجقة والأعاجم عامة في مضايقة القبائل العربية والايقاع بها ، وسترى هذا منتشراً منذ القرن السابع الهجري مع بني مزيد الأسديين والدولة البويهية الى آل القشعم والدولة العثمانية •

ففي البداية كان سند الدولة أبو الحسن علي من بني مزيد من ولاة آل بويه ، ثم شق عصا الطاعة على بهاء الدولة البويهي سنة ٤٠٣ هـ ، فاضطر سلطان الدولة البويهي الى الاعتراف به ، فتأسست دولة بني مزيد •

ثم اتخذ سيف الدولة صدقة الأول ، الرابع من بني مزيد مقر حكومته في العراق في الطرف الآخر من مدينة جامعان على نهر الفرات بالقرب من خرائب بابل القديمة حيث بنى مدينة الحلة سنة ٤٩٥ هـ ـ ١١٠١ م فسميت حلة بني مزيد، ولما مات والد صدقة ، أبو كامل منصور

(١) الدول الاسلامية ، ستانلي لينابول القسم الاول ص/٣٤٨ ، مكتب الدراسات الاسلامية بدمشق •

سنة ٤٧٩ هـ كان قد اعترف الخليفة العباسي المقتــدي بالله بإمارة بني مزيد ، ولماذر الخلاف بين السلطان السلجوقي بركيارق وأقربائه ووقعت الحرب بينهم ، انتهزها صدقة فرصة في توسيع حكمــه على قسم كبــير من العراق، وأضاف إليها هيت، وواسط، والبصرة مستولياً عليها جاعلاً أمير تكريت كيقباذ بن هزارسبي تحت طاعته وذلك سنة ٥٠٠ هـ •

ولكنه سقط سنة ٥٠١ هـ قتيلاً في الحرب التي دارت بينه وبين سلطان السلاجقة • ولما مات تولى ولده دبيس الثاني الذي اشتهر كثيراً الى أن قتل سنة ٥٢٩ هـ من قبل السلطان مسعود من سلاجقة العراق • ثم دب الخلاف بين أولاده الى أن قتل ولده علي الثاني ٥٤٥ هـ [1] •

وقد استعرضت شيئاً من تاريخ ملوك الحلّة من دولة بني مزيد لأبيّن للقارىء الكريم مدى الصراع الذي كان بين العرب والسلاجقة ، ومع كل أسف فقد كان كثير من خلفاء بني العباس المعاصرين لسلاطين السلاجقة واقعين تحت تأثيرهم وسطوتهم •

وقد استولى السلاجقــة عــلى العراق إلى سنة ٥٩٠ هـ يوم توفي طغرل الثاني ، ومجيء شاهات خوارزم • هــذا في بغــداد بينما بقيت الحلّة تحت إمرة بني زنكي • ولا نريد أن نخوض في أحداث تاريخية بعيدة عن مقصودنا ، بل نكتفي بما ذكرناه عن الحلة وننتقل الى القرون التالية لنستعرض أولاً تسلسل الخلفــاء العباسيين في مصــر بعد أن وقعت بغــداد تحت سنابك خيول التتار سنة ٦٥٦ هـ • وهذا جدول بأسماء هؤلاء الخلفاء عن كتاب الدول الاسلامية لستانلي لين بول :

---

(١) المصدر السابق ص ٢٤٧ •

اسم الخليفة	الهجري ٦٥٩ـ٩٢٣	الميلادي ١٢٦١ـ١٥١٧
المستنصر بالله أبو القاسم أحمد	٦٥٩	١٢٦١
الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد الأول	٦٦٠	١٢٦١
المستكفي بالله أبو الربيع سليمان الأول	٧٠١	١٣٠٢
الواثق بالله أبو إسحاق إبراهيم	٧٤٠	١٣٤٠
الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد الثاني	٧٤٠	١٣٤٠
المعتضد بالله أبو الفتح أبو بكر الأول	٧٥٣	١٣٥٢
المتوكل على الله أبو عبد الله محمد الأول	٧٦٣	١٣٦٢
المعتصم بالله أبو يحيى زكريا	٧٧٩	١٣٧٧
المتوكل على الله الأول (مرة ثانية)	٧٧٩	١٣٧٧
الواثق بالله عمر الثاني	٧٨٥	١٣٨٣
المعتصم بالله (مرة ثانية)	٧٨٨	١٣٨٦
المتوكل على الله الأول (مرة ثالثة)	٧٩١	١٣٨٩
المستعين بالله أبو الفضل العباس	٨٠٨	١٤٠٦
المعتضد بالله أبو الفتح داود الثاني	٨١٧	١٤١٤
المستكفي بالله أبو الربيع سليمان	٨٤٥	١٤٤١
القائم بأمر الله أبو البقاء حمزة	٨٥٥	١٤٥١
المستنجد بالله أبو المحاسن يوسف	٨٥٩	١٤٥٥

اسم الخليفة	الهجري ٦٥٩ـ٩٢٣	الميلادي ١٢٦١ـ١٥١٧
المتوكل على الله أبو العز عبد العزيز الثاني	٨٨٤	١٤٨٩
المستمسك بالله أبو الصبر يعقوب	تقريباً ٩٠٣ـ٩١٥	١٤٩٧ـ١٥٠٩
المتوكل على الله محمد الثالث	تقريباً ٩١٥ـ٩٢٢	١٥٠٩ـ١٥١٦
المستمسك بالله	تقريباً ٩٢٢ـ٩٢٣	١٥١٦ـ١٥١٧

مرة ثانية عن ولده المتوكل

ثم جاء سلاطين آل عثمان من سنة ٩٢٣ هـ ـ حين دخل السلطان سليم الأول وصار خليفة للمسلمين .

ولكن الأتراك هـم الذين كانوا حكاماً فعليـين للبلاد منذ سنة ٦٤٨ هـ أيام المعز عز الدين أيبك التركماني الى سنة ٧٨٣ هـ أيام الصالح صلاح الدين حاجي الثاني ثم جاء برقوق من المماليك الشراكسة سنة ٧٨٤ هـ وبعـده منصور الصالـح صـلاح الدين حاجي مرة أخرى ، ثم عاد برقوق مرة أخرى فاستولى المماليك الجراكسة الى سنة ٩٢٣ هـ أيام الأشرف طومان باي الذي سلمها للعثمانيين .

الأمير ثامر بن قشعم [1]

وما كاد الملك الظاهر يقتنع بالمشيخة العربية الجديدة ، حتى أسرع الاتصال بأميرها الشيخ ثامر بن قشعم على أنه البديل المنتظر ، وأصدر

(١) تاريخ ابن الفرات مج ٩/ج ٢/٣٤٢ ـ ٣٤٣

مرسوماً سلطانياً بتأميره ، وبرفقته الخلعة السلطانية ، وزاد في إكرامه أنه أرسلها إليه دون أن يستدعيه • وقد كان ذلك سنة ٧٩٥ هـ (١) •

ويبدو أن الأمور استقرت لثامر الى أن توفي الظاهر برقوق سنة ٨٠١ هـ وكان الأمير نعير خلال تلك المدة دائم الثورة ، على السلطان ، وحاول أن يستغل وفـاة الملك الظاهر ليعود الى منصبه بشكل رسمي ترضى عنه الدولة في مصر، ولكنه لم يوفق في صلحه مع القصر المملوكي، وعاد الى مقاتلته مرة أخرى ، فتوجه إليه الأمير (جكم) فجرت بينهما وقعة كُسِرَ فيها نُعَيْر ، وجيء به الى حلب ، فقتل فيها ، وقد نيف على السبعين ، وبموته انكسرت شوكة آل مهنا (٢) واستمرت قوة آل قشعم في البادية بين نجـد والشام والعراق ، ولكن المصادر التاريخية لا تعطينا أخباراً أخرى عن مـدة حكم ثامر ، ولا عن الأمراء الـذين جاؤوا بعده •

وتمر مئة وخمسون سنة وتزيد، فنقف عـلى أخبار القشعم سنة ٩٥٣ هـ يخوضون حرباً مع العثمانيين في العراق ، بعد عشر سنوات من دخول هؤلاء بغداد • وتغيب أخبارهم تاريخياً الى أن يظهر فيهم ناصر بن مهنا آل قشعم ، وهو ناصر الأول الذي لقب بالملك العربي ، وبالأمير العربي، وبشيخ العراقين (٣) •

(١) الضوء اللامع : ١/٢٠٣ ، إعلام النبلاء ٥/١٤٧ ، صبح الأعشى ٤/٢٠٨

(٢) لا يعرف متى تاريخ مشيخته لكن الرحالة الانكليزي (بدرو تكسيرا) ذكره سنة ١٠١٣ هـ وربما كان قد تأمر سنة ٩٩٣ هـ والله أعلم •

والباحث المتتبع لأخبار خلفاء بني العباس المتأخرين يجد سلطتهم اسمية وشكلية في الغالب ، وأن المتنفذين الحقيقيين هم الأتراك ، والمماليك في العراق والشام ومصر •

وقد بقيت إمارة الفضول المتنقلة وغير الرسمية ، تابعة لمصر مدة طويلة ، وكان القصر في مصر هو الذي يصدر مرسوماً سلطانياً مرفقاً بخلعة الى الشيخ الذي يختاره السلطان من آل الفضل ، أو يأتي الشيخ الى مصر فيخرج بالمرسوم والخلعة •

ويحدث أحياناً أن يتحالف أمير الفضول مع أحد الولاة الثائرين على السلطان فيصب هذا الأخير جام غضبه عليه لأنه خرج على الدولة ، وساعد الثائرين عليها من الولاة ، ويزداد الأمر خطورة حين يتعاون الأمير مع عدو خارجي للدولة ، كأن يتعاون مع المغول أو التتار !••

وهنا تزداد الأمور خطورة ، ويفكر السلطان في نقل الإمارة من آل الفضل بشكل نهائي وتام ، ووضعها في قبيلة أخرى لا تقل عنها قوة أو نفوذاً بين القبائل ولم تكن خاضعة للفضول في الأصل •

وهذا ما حدث في نهاية القرن الثامن عندما ثار أمير الفضول نُعَيْر على السلطان برقوق ، وتحالف مع والي حلب المنشق عن السلطان ، ثم تعاون مع التتار !•• وكان قد ولي الإمارة بعد أبيه سنة ٧٧٧ هـ ، وجاء في وصف خصاله المعنوية أنه كان كثير الغدر والفساد (١)

(١) الضوء اللامع ١٠/٢٠٣

ويبدو أن الملك الظاهر برقوق كان ينتظر الفرصة المناسبة للتخلي عنه ، ولا شك أن الفرصة المناسبة كانت تكمن في أمر واحد من الأمور التالية :

١ ـ ازدياد ضعف الأمير نعير بازدياد ضعف عربه .

٢ ـ ازدياد قوة جيش الظاهر ليسلط قسماً منه على نعير وعربه .

٣ ـ ظهور مشيخة عربية جديدة لا تقل قوة عن آل مهنا .

ومع ذلك ، لم يكن خلع نعير سهلاً ، ولذا فقد ورد في ذكر خلعه أن الظاهر قد خدعه ليخلعه (١) .

الملك العربي ناصر بن مهنا (٢) آل قشعم

يأتي ناصر بن مهنا بعد ثامر بن قشعم من حيث المكانة التاريخية ؛ فثامر استلم الإمارة سنة ٧٩٥ هـ ، وناصر بعده بما يزيد على مئتي سنة ؛ وهو على ذكر بعض الرواة ناصر بن مهنا بن سعد بن غزي ، فهل غزي من أولاد ثامر أم أنه من أحفاده لا أعلم ...

---

(١) المصدر السابق ، وأعلام النبلاء ١٤٧/٥ ، وصبح الأعشى ٢٨/٤ والأعلام مج ١١١/٦

(٢) هكذا ورد لقبه في الكتب التالية :

أ ـ عالم آراي عباسي . لاسكندر بك تركمان من رجال القرن الحادي عشر ، مطبوع ، طهران ١٣١٤ هـ ـ ١٨٩٦ م .

ب ـ ذكره الأوربي تكسيرا فنعته بملك عربي ، في رحلته المترجمة الى الانكليزية ص ٥٣ :

جـ ـ انظر مباحث عراقية ص ٥ .

والمهم في هذا الجانب أن الرحالة الانكليزي بدرو تكسيرا وصفة بملك عربي في كتابه المطبوع في لندن سنة ١٩٠٢ ص ٥٣ ، حيث قال في معرض حديثه عن كربلاء ، والنجف : (إن هذه البصرة (كربلاء) ومشهد علي (النجف الاشرف) هما تابعتا للأمير ناصر ، وهو ملك عربي رافد للأتراك كان يعيش في أعالي تلك الاراضي) •

وقال في ص ٧٢ : « بتاريخ ١٣ كانون الأول سنة ١٦٠٤ (١٠١٣هـ) وبعد أن سرنا فرسخاً ونصف فرسخ حططنا لدفع الرسوم التي يجب دفعها للأمير ناصر ، وهو ملك عربي من عشيرة ابن مهنا ، وهو حاكم مشهد علي ومشهد الحسين » •

وذكر ناصراً أيضاً ديلا فاله Della Valle في رحلته الشهيرة (١٦١٦ ـــ ١٦٢٥ م) في عدة مواضع جاء فيها في سنة ١٦١٦ (١٠٢٥ هـ) ما تعريبه في رسالته السابعة عشرة المؤرخة في ١٠ كانون الأول سنة ١٦١٦ م : فبتنا في بئر النص (أي بئر النصف بين بغداد والحلة) وبعد مرورنا بيومين نهبت قافلة هنالك أو بمقربة من ذلك المكان ، نهبتها جماعة قوية من الأعراب ، أما أنا فلحسن حظي ـــ فضلاً عن أني لم أر أحداً من هؤلاء ـــ لقيت أحد كبار قواد بغداد كان قدم الى هنا قبلي بأمر من الباشا ومعه نيف ومائتا فارس ليستميل شيخاً ويصحبه الى بغداد ، وهذا الشيخ هو قائد من قواد الأعراب ـــ وإن شئت فقل أميراً من أمرائهم ـــ وإني لأظنه أميراً لأنه من عداد الذين يهمّون الأتراك في النفع والغرض من طلب مجيئه الى بغداد هو حشد القوى فيها للشروع بعدئذ بمحاربة ملك فارس ، وقد أكثر قائد بغداد من فرسانه زيادة في تعظيم هذا الشيخ ، وكان يسمى هذا الشيخ أو الأمير ناصر بن مهنا

لأنه ابن مهنا أو أنه من ذريته [1] .

وذكر المؤرخ اسكندر بك وديلا فاله أن لناصر ابناً اسمه أبو طالب. وقال ديلا فاله ، انه كان قد قام مقام أبيه المتقدم في السن .

وذكر روسو قنصل فرنسا في بغداد في رحلته سنة ١٨٠٨ م من بغداد الى حلب ص ١٣٦ ، ما تعريبه :

« فمررنا بقبة على الفرات .. فرأينا على الضفة المقابلة جبل اردى وعلى منتهاه شيء كالقبة قيل انه قبر ناصر المهنا ابن قشعم ، ويعتقد الأعراب أنه من أصحاب الكرامات » .

* * *

من خلال هذه النصوص يتبين لنا أن ناصر بن مهنا آل قشعم قد كان حاكماً فعلياً على كربلاء ، والنجف ، بالاضافة الى الحلة وبادية العراق ، وأنه كان يأخذ الرسوم والأتاوات ، وكان ولاة بغداد يسترضونه ، ويرسلون له مئات الجنود بقادتهم لاستقدامه الى بغداد كرامة له وزيادة في الاحترام والتوقير .

وثمة نقطة أخرى مفادها أنه كان موالياً للأتراك ، ونحن نعلم أن الأتراك دخلوا بغداد سنة ٩٤٣ هـ وهذا يعني أنه كان مؤازراً لهم . وربما كان والده قبله مؤازاً لهم لأنه استلم الامارة بحدود سنة ٩٩٣ هـ تقريباً ، ويبدو أنه عمّر طويلاً لدرجة أنه سلّم الملك في حياته لولده أبي طالب .

---

(١) انظر مباحث عراقية ص ٥

كما أن قبره ظل الى مدة قريبة معروفاً ، وعليه قبة [1] ، وله هيبة في نفوس الأعراب . وهو من ملوك العرب ، وأمرائهم القلائل الذين جاء ذكرهم في رحلات الأوربيين القدامى .

ذكر أمراء آل قشعم في العراق حسب الترتيب الزمني :

رأينا أن آل قشعم في العراق ، هم العمود الفقري لهـذه القبيلة الكبيرة ، قبل أن ينتقل الشيوخ ومعهم بعض الأفخاذ من الذين يسمون (عمد المضيف) الى المملكة العربية السعودية ، والكويت وهذا لا يعني أن آل قشعم في العراق ، فقدوا شيوخهم ، بل إن شيخهـم في العراق الآن (١٩٨٥ م ــ ١٤٠٥ هـ) هو عبد الله الناصر .

وقد تحدثنا في غير هذا المكان عن أخبار القبيلة، وأسباب وجودها في العراق،ومتى انتقلت من جنوب الجزيرة الى شمال نجد الى جنوب العراق. والغرض هنا تتبع أخبارهم حسب تسلسل تاريخي قد يساعد الباحث على اكتشاف أشياء مفيدة ، كما يساعدنا في الوقوف على أخبار آل قشعم في لواء الحلة الذي كان مركز تجمعهم الرئيسي على مدار عدة قرون ، وسنلجأ الى جدول توضيحي يفصل لنا الأمور نعتمد فيه ذكر السنة ، والحوادث التي جرت فيها والشيخ الذي كان يرأس القبيلة فيها ، وقد لا نذكـر السنة ونكتفي بذكر الحوادث التي جرت مـع الشخصيات الحاكمة في العراق ، لعدم ذكر المؤرخين لها ، إلا أننا نستنبط العام من ذكر ولاية الحاكم .

---

(١) يعتبر البناء على الأضرحة من البدع التي ينكرها الدين الاسلامي .

الرقم	العام	الحوادث	المصدر	ملاحظات
١ -	٧٩٥ هـ	جرت في هذه السنة حوادث كثيرة، ذكرها تاريخ ابن الفرات جاء فيها خبر ثامر بن قشعم وهذا كان قد تألم من الأمير نعير أمير طيء ومن حكومة الشام، فأمر عربانه بالرحيل الى جهة نعير ، فجازوا على أملاكه بالبصرة فاستولوا عليها ونهبوها •	تاريخ ابن الفرات مج ٩/ج٢/٣٤٢ـ٣٤٣ تاريخ ابن الفرات مج٩ الجزء ٢/٣٤٢ و ٣٤٣	أول أمير من آل قشعم يؤمّر بمرسوم سلطاني في رأي بعض الكتاب أن هذه الحادثة تعد أول علاقة للقشعم بالعراق ولثامر أميراً • ويرى بعض الكتاب أيضاً أن ثامر هو أول رئيس عرف من القشعم

الرقم	العـام	الحوادث	المصدر	ملاحظات
٢ ـ	٩٥٣ هـ	وقعت حرب بينهم وبين إياس باشا والي بغـداد ، وذكرهم الشاعر فضولي البغدادي بقصيدة صور فيها انتصار الوالي عليهم • ثم توالى ذكرهم في حوادث عديدة •	تاريـخ العراق بين احتلالين • ج ٤ : ٥٠ و ١٤٤ ج ٥ : ٢١٧ ـ ٢٤٥ ٢٦٠ ج ٦ : ٢٩٣ كما ذكر هـذا الخبر المؤرخ التركي كلشن خلفا •	
٣ ـ	١٠١٣ هـ	علا نجم هذه القبيلة ببروز رجل كبير المقـام والشان فيها ، وصار علماً معروفاً كتب عنه باللغات العربيـة والتركيـة والفارسية والفرنسية والانجليزية • ذلك هو الملك ناصر بن مهنا الذي حكم كربلاء والنجف • وكان يأخذ الرسوم •	١ـ بالتركية: (كلشن خلفا) مؤلفه نظمي نظمي زاده مرتضى أفندي • ٢ـ بالفارسية : (آراي عباسي) لاسكنـدر بك تركمـان ، طبع	ظهـور أول شيخ من القشعم يلقب (ملك).

الرقم	العام	الحوادث	المصدر	ملاحظات
			طهران • ١٣١٤هـ ـ١٨٩٦م ٣ـ بالانكليزية : تكسيرا في رحلته المترجمة الى الانكليزية ؛ ٤ـ بالفرنسية : ذكره ديلا فاله في رحلته • ٥ـ بالفرنسية أيضاً ذكرى قنصل فرنسة في بغداد في رحلته سنة ١٨٠٨ م من بغداد الى حلب •	
٤ ـ	١٠١٨ هـ	قاد القشعم حملة ضد الوالي الانكشاري مصطفى باشا الذي حاول الاستيلاء على حكومة بغداد •	تاريخ الحلة السياسي القسم الاول ١١٦ •	كان الملك ناصر على وفاق تام مع السلطان العثماني فلما قام أحد

الرقم	العام	الحوادث	المصدر	ملاحظات
		ويبدو أن الامور لم تستقر فقد بدأت متاعب القشعم بعد ذلك مع ولاة بغداد الذين حاولوا الانفصال عن السلطان العثماني والحفاظ على مناصبهم في بغداد ، وبدأ القشعم بشن غارات خاطفة وسريعة على القوافل ، وذلك لاضعاف مركز الوالي •		الانكشاريين وهو مصطفى المذكور الذي حاول الاستيلاء على بغداد لم يوافقه ناصر فما كان من الوالي إلا أن قاد عليه حملة كبيرة من بغداد •
٥ —	١٠٢٥ هـ	اضطر والي بغداد أن يستميل الملك أو الامير ناصر ابن مهنا كما لقبه مؤرخ آخر في فأرسل أحد قواد بغداد الى البادية ومعه نيف ومائتا فارس ليستميل ناصر بن مهنا ويصحبه معه الى بغداد ، لأنها لا تستطيع أن تخوض حرباً ضد ملك فارس دونه ، فهو من عداد الذين يهمون الاتراك في النفع •	مباحث عراقية (يعقوب سركيس) عن كتاب ديلا فاله في رحلته الشهيرة •	ملك فارس المقصود هو نادر شاه •

الرقم	العــام	الحوادث	المصــدر	ملاحظــات
		وقد أكثر قائد بغداد فرسانه زيادة في تعظيم ناصر بن مهنا •		
٦ –	—	مدة حكـم (أبو طالب بن ناصر) وهي مع الاسف مجهولة • ويذكر مصدر (دليل الخليـج) أنه خاض حرباً مـع الموالي الى جانب أبيــه الأمير ناصر •	ذكره المؤرخ اسكنــدر بك ، كمـا ذكره ديلا فاله وقال : أنه كان قد قام مقام أبيه المتقـدم في السن •	ولا أملك مصدراً يحدد لنا مدة حكم(أبو طالب ابن ناصر)
٧ –	١٠٧٥ هـ	عــين السلطان العثماني لفتح مدينة الاحســاء الأمير يحيى آغــا وكنعان أمير القشعم فسارالىالاحساء فقاتلا بني خالــد ثم هرب أميرهم براك •	غاية المرام في تاريـخ محاسن بغداد دار السلام (مخطوط) لياسين بن خير الله العمري	
٨ –		ثار القشعم والخزاعل في أطراف الحلة ضد حسين باشا والي بغداد ، ولكنه كافحهم وقضى على ثورتهم •	تاريخ الحلة ص ١٢ •	لا نعلم شيئاً عن أميرهم

الرقم	العـــام	الحوادث	المصـــدر	ملاحظـــات
٩ ـ	١١١٨ هـ	في هـذا العام ثارت قبائل شمر ضد الوزير خليل باشا والي البصرة، فانتصـر عليهـم ، ثم إنه رجع الى بغـداد وخرج لاستقباله العلمـاء والأمراء ‥ ثم انصدعت صخرة الائتلاف بين القبائل ، وأتى لشكاته الحال شيخ القشعم شبيب ، وسائر الاعراب ، من فعل آل غزية ٠ فلما بلـغ الوزير هذه الشكاية بقي بين مصدق ومكذب ومسفه راي شبيب ، ومصوب الى أن أتـاه من ضابط الحلة رقعـة تتضمن أخبار أولئك المفسدين ، في تلك البقعة ، وأن خبره طبق خبر شبيب ، وإنما نصح الوزير به نصح حبيب قريب ، فسار الى أعراب الحلة فأدبهم ونهب	حديقة الزرداء في سيرة الوزراء ٠ عبد الرحمن السويدي، بغداد ١٩٦٢ ص ٤٣، رص : ٤٥	أمير القشعم آنذاك هو الشـيخ شبيب استـلم الشيخـة بقرار حكومي بدلا من أخيـه الشيخ عبد العزيز ولكن قسماً كبـيراً من العرب بقي مع الشيخ عبد العزيز فقدمت الحكومة جيشاً أو فرقـة من الجنـد تحت امرة شبيب ٠

الرقم	العـــام	الحوادث	المصـــدر	ملاحظـــات
١٠-	١١٤٦ هـ	ثار القشعم مرة أخرى ، فقام أحمد باشا والي بغداد الذي تولى بعد وفاة أبيه بارسال قوة أخمدت ثورتهم ، وأدبتهم(كذا النص أدبتهم)	المصدر السابق ص ٢٣	
١١-	١١٥٠ هـ ١١٥٢ هـ	ثار القشعم مرة ثالثة بقيادة صقر الأول ابن حمـود ضد والي بغداد أحمد باشا ، فسار بين بغداد بالعساكر ، وحاربهم حتى كسرهم ، ولكن والي بغداد أحمد باشا حمى بيت صقر من النهب إكراماً لمنزلته، ثم تصالحا ، وعفى عنه الوالي • وقد مدح السيد عبدالله فخري الوالي أحمد باشا بقصيدة عدد أبياتها ٢٣ بيتاً جاء فيها بيت حـوى الطباق والتورية والكناية.		

الرقم	العام	الحوادث	المصدر	ملاحظات
		عقاب الوغى لما بدا طار صقرهم لدى حيث ألقت رحلها أم قشعم وفي رواية أخرى للشيخ عبد الله السويدي تصحيح للواقعة ضبطها في آخر بيت من قصيدة له امتدح بهـا الوالي أحمـد باشا على ما جاء في مختصر حديقة الزوراء ، قال :	غـاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دارالسلام (مخطوط لياسين بن خير الله العمري •	
		إن يضق رحب الصحارى ارخوا هل بصقر في صحاري الهول وكر ٣٥، ٤٢٠، ٩٠، ٣٠٩، ٧٢، ٢٢٦	التحفة النبهانية ج ١٠ ص ٧٦	
		ومجموع هذه الارقام يساوي ١١٥٢		
		منهم ثم أخضعهم وعـاد ، ثم أمّر شيخ القشعم شبيب على ألفي فارس وأرسله الى (هور نجم) بكل بطل حارس لتأديب آل معدان حين نجم		

الرقم	العام	المصدر	الحوادث	ملاحظات
		منهم العصيان ، فأغاروا من محلهم، ودخلوا الهور بكلهم وهجموا على أولئك العصاة ، وأحدثوا بخيام الطغاة البغاة ، ودارت الحرب بينهم قدر ساعة ثم افترشوا تلك الجماعة، واغتنموا الأموال ، وقتلوا الرجال ولحقوا بالوز يرفي أهنأ حال • فلله دره من بطل مغوار طأطأ رؤوس أولئك الفجار • (والوصف للأمير شبيب أمير القشعم) •		
	١٢١٤ هـ	أتت عنزة الى العراق للاكتيال ونزلوا مقاطعة الطهمازية فيضواحي الحلة ، ثم تطاولوا على الاهلين ، فتوجه اليهم الكتخدا علي باشا ، ولما وصل جسر الهندية ضبطه ، ولم يكن طريق غيره لعبور عنزة ،	خمسة وخمسون عاماً من تاريخ العراق • دوحة الوزراء •	

الرقم	العام	الحوادث	المصدر	ملاحظات
		فالتجاوا الى قبائل قشعم والأسلم والرفيع فأخضعوهم ، ثم حضر مشائخ القبائل الثلاث الى الكتخدا ، وطلبوا منه العفو عن عنزة ، الاستمالة ، وإلباس الخلع ثم عاد الى الكتخدا عنهم • ومصدر آخر يقول: لم ينل مرامه منهم فاضطر الى الاستمالة وإلباس الخلع ثم عاد إلى الفالوجة، فراسل آل قشعم بغداد. وفيها غزا الكتخدا علي بك آل قشعم والديلم، فأغار أولا على آل قشعم فلم يظفر بهم لانهزامهم، فلما انهزموا جد في طلبهم حتى وصل إلى شفاثى، ثم عطف على الديلم، فانهزموا، فغنم من أغنامهم وعاد إلى الفلوجه، فراسل آل قشعم ثم الديلم وصالح كلا منهم، فرجعوا إلى ديارهم وعاد هو إلى بغداد.		

-١٢	١٢٢٦ هـ	في هـذه السنة سار عبد الله بن سعـود بن عبـد العزيز بالجنـود المنصورة عـلى عساكـر الأتراك من جهـة محمـد علي برئاسة ابنه أحمـد طوسون وقـد انتصر عليه سعود بن عبد العزيز نصراً ساحقاً ، ثم قصد ناحية العراق ، وأغار على عربان آل قشعم ورئيسهـم يومئذ ناصر بن قشعم وأخذ محلتهـم ، وكان مـع الوادي عسكر من الروم (الأتراك) فأخـذ بعض مخيمهم ، وقتل عليهم عدة اقتلى ، وهـم قرب بلدة الحلة المعروفة في العراق •	عنوان المجد في تاريخ نجد ج١/٢١٠ ، ط ٢ ١٣٩١ هـ ـ ١٩٧١ م	
-١٣		وفي مصدر آخر ، قال المؤرخ : نحن الآن كأنا في حصـار والأعراب الى الآن ماانصرفوا••(يقصد أعراب عنزة الحاملين لواء دعوة التوحيد فقد	تاريخ الحلة عن صاحب (مفتاح الكرامـة) • ص/١٣٢ •	وهو (تاصر) ناصر ابن حبيـب أي ناصـر الثاني •

		كانوا محاصرين النجف) وهـم من الكوفة الى مشهـد الحسين بفرسخين أو أكثر • والخزاعـل متخاذلون مختنذون كما ان آل بعيبح وآل قشعم يتقاتلون •	
١٤-	١٢٣٦ هـ	لم تر الحلة في عهـد (الولاة المماليك) راحة الا في فترات قليلة لا تعـد شيئاً ، الثورات الاهلية في الحلة وأريافها على قدم وساق، تارة على الحكومة ، وأخرى على العشائر مثل عقيـل وآل قشعم وخفاجـة والخزاعل، وغير ذلك من صد غارات الوهابيين عن مدينتهم حـين غزوها بعد غارتهم على كربلاء ويأسهم من الاستيلاء على النجف •	تاريخ الحلة : ص١٢٤
١٥-	١٢٤٠ هـ	كان محمد آغا الكهيه ناقماً على داود باشا ، وعزم على القيام بثورة،	

وكان محمد آغـا شخصية قوية بين المماليك ٠

فرأى الحلة أحسن محل يبذر منه بذور الثورة ، فاستولى عليهـا عام ١٢٤٠ هـ ٠ وكان القشعم معه ضد داود باشا الذي أرسـل اليه جيشه الأول فكسره ، ثم أرسل جيشاً آخر وجعـل قيادته لحاج طالب ، فسار الحـاج طالب بجيشه الى الحـلة ، فقابله محمد آغا بجيشه فاستعمل الباشا سلاح الدعاية ٠

فانفض عن محمـد آغـا بعض القبائل مثـل القشعم ٠٠ وكانت المعركة بين الطرفين كرّ وفرّ حتى أدبرت قبيلة القشعم،فوقعت الهزيمة في جيش محمد آغا ، ودخـل جيش داود باشا الحلة ، وحـين خرج منها

		نحو سنة واحدة ١٢٩٠ هـ ـ ١٨٧٣م فقيل أنه قام بأعمال كثيرة منها إسكان العشائر • ولم يتحقق منها شيء ، ولا عرف أن عشيرة بدوية استقرت في محل خاص ، وقيل عن عشائر (عنزة) والقشعم ، وعشائر الدغارة ، وعشائر السماوة ، وعشائر الجاف أنه قام بإسكانها •	تاريخ العراق بين احتلالين • العهد العثماني الأخير • عباس العزاوي ص ١٨ •

		الجيش ، أبقى فيها حامية من العقيليين •	
١٦-	١٢٤٠ هـ	جعل داود باشا من العقيليين حامية للحلة ، وكانوا بدواً سذجاً ظلموا الاهلين ، فرفع أهل الحلة راية العصيان على الحكومة ، وحرروها من ولاة العثمانيين ، ولم يبق للسلطنة العثمانية فيها أثر يذكر • ثم إن داود باشا جهز جيشاً من بغداد الى الحلة ليستولي عليها ، وقد قاوم أهل الحلة وكادوا ينتصرون ، إلا أن الحرب انتهت بدخول داود باشا الى الحلة ، ففعل فيها الأفاعيل من الحرق والنهب والهدم ، وبعض من خرج من أهل الحلة نزل على قبيلة القشعم وكانت	المصدر السابق ص ١٣٧

١٧	يومئذ تنزل بجوار الحلة غير أن هذه القبيلة لم ترع ذمة الجوار ، فاستعملت يد النهب والسلب فيمن لجأ إليهم من أهل الحلة . ثم إن داود باشا عفا عن أهل الحلة وأذن لهم بالرجوع الى بلدهم، ولما رجعوا أخذوا ينتهزون الفرص للايقاع بالقشعم ، واتفقوا مع الحكومة . زحف الوزير عبد الله باشا بعسكره الى أن نزل قريباً من عرب المنتفق ، واشتبك في قتال ضار مع حمود أمير المنتفق ، وطعن برغش حمود بن ثامر بعد ما روّى سنانه من الابطال ، وحمل علي بن ثامر ، وقتل نجماً بن عبد الله المنصوب الجديد (الذي نصبه وزير بغداد)	حديقة الوزراء ص : ١١٧ ـ ١١٨ بتصرف

		على المنتفق) ولما كادت عشيرة حمود تول الادبار انهزم آل قشعممن جانب عسكر الوزير ، فقويت شوكة المنتفق وانتصروا على عبد الله ، الذي طلب الأمان فأمنه حمود ، ولكنه قتل ومن معه نتيجة غدر المنتفق .		
١٨	١٢٤٢هـ	في أول ربيع الاول خرج عقيل شيخ المنتفق بعد حمود عن بغداد متوجهاً الى وطنه سوق الشيوخ ، وفي أثناء ارتحاله مر على سليمان بك المير آخور محاصراً الأقرع (وهو شيخ فرقة من الجبور من سبيع ومع الأقرع آل قشعم ، ومحمد بك الكتخدا العاصي القديم ، ومعهم رستم خان رئيس الروافظ ... وما كان مع سليمان بك إلا قبيلة	**المصدرالسابقص:١٦٤**	

		زبيد ، وكان عسكره عشر عسكر الأقرع والقشعم ، ولكنه مزود بالمدافع والأسلحة الحديثة ، فلما التقى الجمعان ، فرّ الأقرع ومعه القشعم ، وقتل منهم مقتلة ظلت الجيف مطروحة في محلها أشهراً ، ويقال أن القتلى أكثر من ألفين وتمكن أهل الحلة من الايقاع بهم ، فحاربوهم وأجلوهم عن أراضيهم واليوم لم وأجلوهم عن أراضيهم واليوم لم يبق لهم في لواء الحلة بقية، وصاروا كأمس الـدابر ولا يزال ••• البو براطم ينزلون بجوار الحلة •	
١٩ـ	١٢٩٠هـ	بقي والي بغداد رؤوف باشا	تاريخ الحلة السياسي

شيخ الشيوخ ابن قشعم :

هذا اللقب له دلالة كبيرة على منزلة ابن قشعم بين العربان أيام كانت حياة العرب قائمة على الحل والترحال يضربون في عرض الجزيرة العربية وطولها ، وما زال لهذا اللقب دلالة كبيرة في حياة العرب المعاصرين •

وقد سمعت كثيراً من الناس يتجادلون في هذا اللقب فمن قائل بأن شيخ الشيوخ هو ابن قشعم ، ومن قائل بأن شيخ الشيوخ هو ابن هذال، وطالما جرت مشاددات في هذا الموضوع ، وطالت نقاشات بعضها ينتهي الى حل ، وبعضها لاينتهي الى حل ، ويمكن تلخيص جلسة في هذا الموضوع شهدتها في الكويت •

في بيت الأستاذ الشاعر طلال السعيد قال قائل بأن شيخ الشيوخ ابن قشعم ، وقال آخر اسمه (مثقال مطني بن حلاف) بأنه سمع أن ابن هذال هو شيخ الشيوخ ، وسمع من العرب كذلك ان ابن قشعم هو شيخ الشيوخ ، وعلا المجلس بالضجيج ، وأجابوا ابن حلاف بأن شيخ الشيوخ ابن قشعم ، ومنهم (عوض حالوب الخالدي) ومنهم (محمد المخيشم الشمري) قال أنا رجل عمري سبعون سنة أدخل على الله يا ابن حلاف طول عمرنا نسمع بابن قشعم شيخ الشيوخ ، وكان في المجلس ابن مجلاد العنزي ، ولم أسمعه يعترض على الكلام ، ولكني رأيته رجلاً وقوراً محترماً جداً والحقيقة أن هذا اللقب ربما اشترك فيه أكثر من واحد ولكنه ينطبق على ابن قشعم للأسباب التالية :

١ ـ أن عرب ابن قشعم الذين التفوا حوله مجموعة من القبائل

ولكل قبيلة منها شيخ ، معروف ، وهم في مجموعهم شيوخ . يرأسهم شيخهم ابن قشعم ، ولذا فهو شيخ الشيوخ ، أي أن التسمية منطبقة على المسمى .

٢ ـ ان منصب الشيخة في العراق كان يصدر من قصر الحكم ، وفي كثير من الأيام يصدر أمر بإلغاء شيخة شيخ وتنصيب آخر بدلاً منه ، وأن كثيراً من قبائل أسلم والرفيع وغزية وآل أجود كانت تدفع الزكاة أو الجزية لابن قشعم ، وهي قبائل عربية لكل منها شيخ معروف ، وشيخ هؤلاء جميعاً ابن قشعم في مرحلة من المراحل .

٣ ـ هذا اللقب كان معروفاً على مستوى رجال الدين ، وقد كان لشيخ الشيوخ في المدن ديوان كبير ينزله القادمون من كل مكان يتلقون فيه التكريم وحسن الضيافة . وقد كان منزل ابن قشعم في البادية مقصداً للناس من كل حدب وصوب ، وحكايات ثويني في هذا الميدان كثيرة ، وبعضها تغالبه صور خيالية كثيرة .

وكان لابن قشعم لقب آخر عرف به ، وهو شيخ العراقين . ويراد بالعراقين عراق العرب ، وعراق فارس ، وفي معجم البلدان (العراقان الكوفة والبصرة) وقد مرّ بنا أن الملك ناصر بن مهنا حكم النجف الأشرف وكربلاء ، وربما امتد حكمه الى البصرة مادام يحكم باديتها أيضاً . والمتعارف أن عراق آشور يسمى (العراقين) . ويذهب يعقوب سركيس الى القول بأن بعض الأعراب يعلل سبب تلقيب ابن قشعم بشيخ العراقين توسعاً يوم كانت فارس مستولية على العراق .

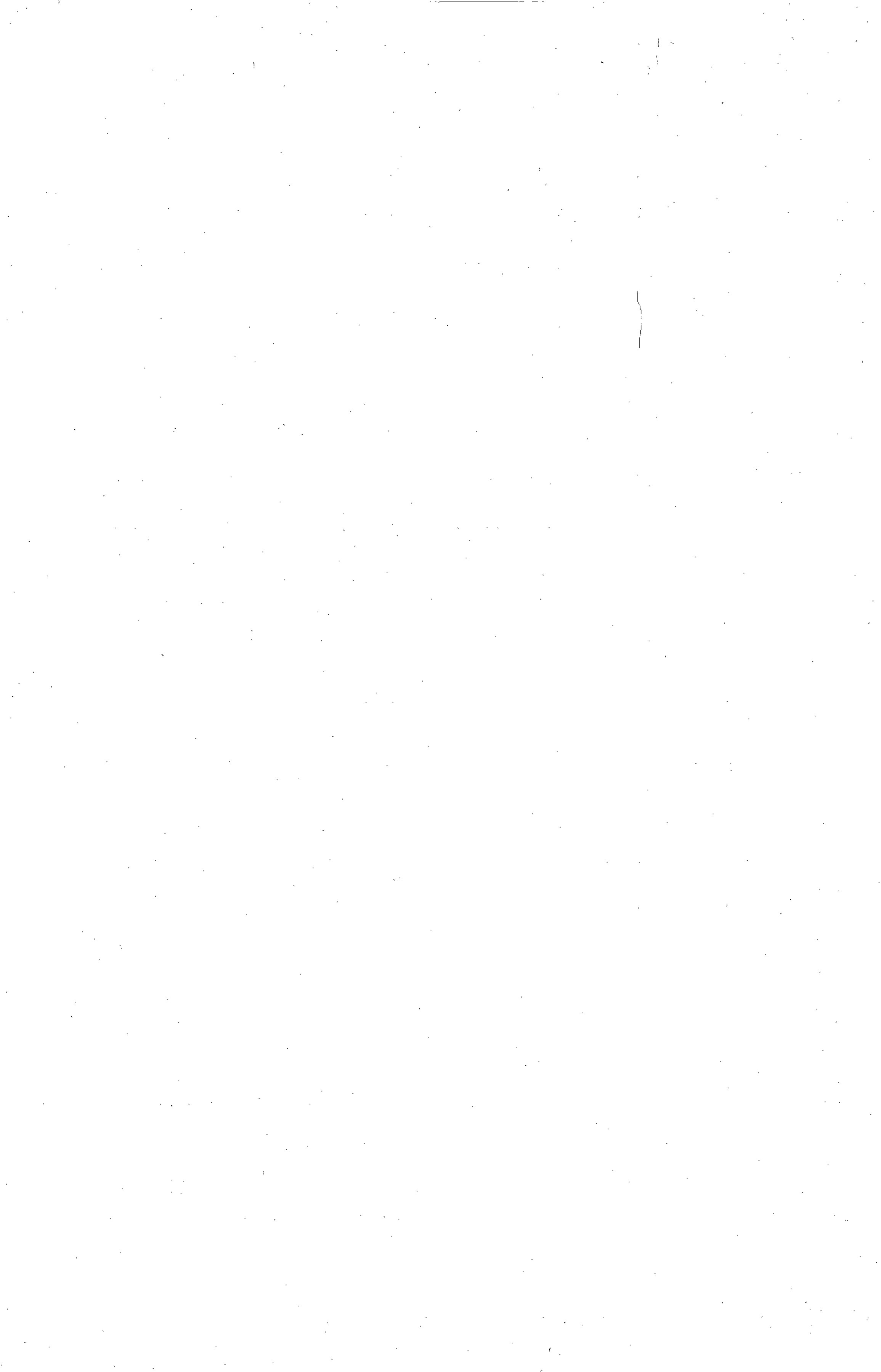
وعلى وجه آخر أنه أريد بهذا اللقب أنه شيخ برية الكوفة والبصرة واقعة لعلها حدثت في غارة على البصرة كان له فيها الظفر والغلبة، وغيرهم أطلقوا عليه هذا اللقب الضخم لما كان له من السلطة والنفوذ ولاسيما على ضفتي الفرات وبالأخص الغربية منهمـا حسبما روته كتب التاريخ العربية والتركية والفارسية (١) •

ووقد بقي على الفرات لهـذا البيت رسم من تلك الأيام الغابرة حفظته النسبة للأرض الزراعية المسماة (المهناوية) الواقعة في لواء الحلة وهي مربوطة بقضاء مركزه عنانة الواقعة هنالك وقد كانت لهم أيضاً (٢).

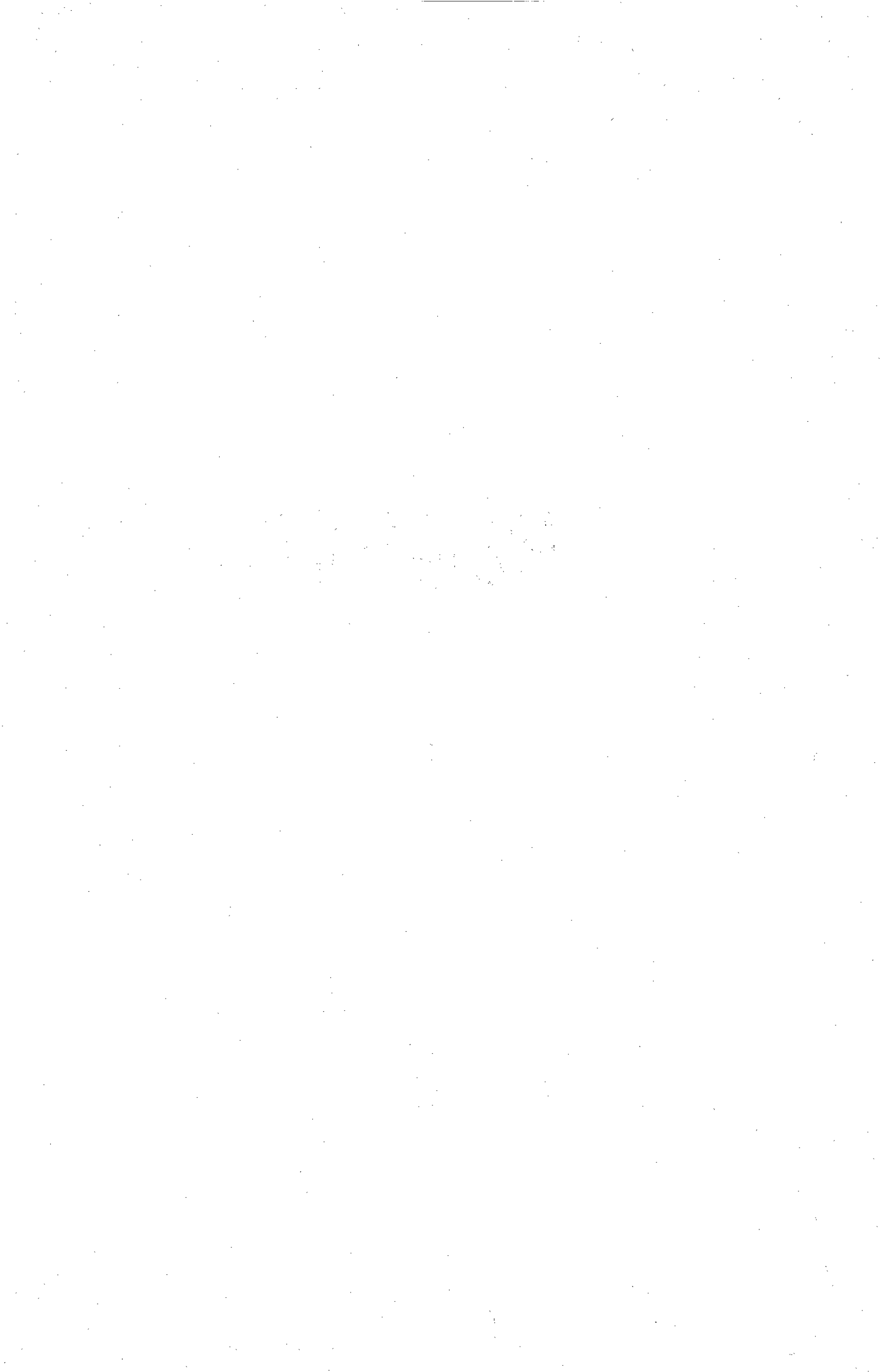
---

(١) يعقوب سركيس مباحث عراقية قشعم في التاريخ •

(٢) المصدر السابق •



الثويني شيوخ القسم



الثويني

الثويني شيوخ القشعم ، الشجرة الأم التي يلتف حولها آل قشعم، وهم ينتسبون الى ثويني وهو: ثويني (١) بن عبد العزيز (٢) بن خبيب(٣)

(١) ربما كان قد توفي سنة ١٢٩٠ هـ

(٢) عزل عن مشيخة العشيرة سنة ١٢١٤ هـ بأمر من حكومة بغداد جاء فيه أنه عزل « بناء على مقتضيات المصلحة العامة » دوحة الوزراء : ص ٢١٠

(٣) حبيب هو والد عبد العزيز ، وحمود جده ، وبعض من رأيتهم يعتقد أن حمود هو والد عبد العزيز والحقيقة أن حبيب هو والد عبد العزيز وابن صقر ، وأن أولاده الثلاث شاخوا ، وحكموا :

الأول : هو ناصر بن حبيب (ناصر الثاني) • وهو أول من شاخ من اخوته ، والثاني : هو عبد العزيز بن حبيب ، وقد عزلته حكومة بغداد كما رأينا • والثالث : هو شبيب بن حبيب ، وقد وضعته الحكومة بعد عزل أخيه عبد العزيز ، الا أن قسماً قليلاً من القشعم كان معه ، والقسم الآخر ظل موالياً لعبد العزيز ، فوضع والي بغداد تحت تصرفه ألفي جندي قادهم بمن معه من العرب الى هور نجم حيث قاتل المتمردين على بغداد ، وعاد منتصراً • انظر دوحة الوزراء ص : ٢١٠ •

وقد جاء فيه : « انقسمت عشيرة القشعم الى فرقتين ، فرقة بقيت توالي الشيخ المذكور (عبد العزيز) والثانية التزمت أخاه شبيب الحبيب وانتبه الى قوله التزمت أخاه شبيب الحبيب ، فعبـد العزيز هو أخو شبيب وهو ابن جيب، وهكذا يكون عبدالعزيز بن جيب بن صقر بن حمود؟

ابن (١) صقر بن حمـود بن محمـد بن مانـع (٢) بن كنعان (٣) بن أبو (طـالب) (٤) ابن ناصـر (٥) بن مهنـا بن ثامر

---

(١) كان حياً سنة ١١٥٢ هـ وأخباره مذكورة في أغلب كتب التاريخ التي ذكرناها وحادثته المشهورة هزيمته أمام أحمد باشا ذكرها عبد الله فخري زادة ، ومنها :

عقاب الوغى لما بدا طار صقرهم   لدي حيث ألقت رحلها أم قشعم

(٢) محمد بن مانع ورد ذكره في كتاب غاية المرام ص (١٧٩ ـ ١٨١) وفيه ضمن أخبار ١١٣٨ هـ (وفي هذه السنة عصى أمير قشعم محمد بن مانع ، فحاربه والي البصرة عبد الرحمن باشا) ويذكر له سعدون بن محمد ابن مانع ، ولعل المؤلف قد أخطأ في هذا إذ ربما كان سعدون أحد أمراء السعدون وقد أشرت الى هذا أثناء ذكر كتاب غاية المرام ، والله أعلم ٠

(٣) كنعان هذا الأمير مشهور ، والعامة تذكر شيئاً اسمه (سدرة كنعان) وان الأمير ناصر بن مشهور قطع سدرة كنعان ، وهب لنجدة الظفير وأما الكتب فتذكره شيخاً قائداً لعرب القشعم في موقعة الاحساء سنة ١٠٧٥ هـ ذكره صاحب كتاب غاية المرام ٠

(٤) أبو طالب ٠ هذا الأمير لاتكاد أخباره تذكر عند البدو ، ولكنه مذكور في كتاب (آراي عباسي) لاسكندر بك تركمان من رجال القرن الحادي عشر مطبوع في طهران سنة ١٣١٤ هـ ـ ١٨٩٦ م ٠ كما ذكره كتاب معاصر (دليل الخليج) ضمن تاريخ العراق ، وذكر أن اسمه طالب ، وأنه خاض حرباً مع شيخ الموالي البوريشة في بادية سلمية ٠

(٥) ناصر نال أعلى لقب بين شيوخ وأمراء القشعم ، فقد عرف بلقب (الملك العربي)وقد مر قولنا بأن بيدور وتكسيرا الأوربي ذكره في رحلته المترجمة الى الانكليزية ص ٥٣ ٠ عد الى النص كاملا في فصل (قشعم في دراسات المعاصرين) ضمن كتاب مباحث عراقية ٠

مانع بن غزي بن سعد[1] بن زيد بن عامر بن قشعم[2].

وحسب روايات شفوية متناقلة سمعتها أن ثامر هو ثامر بن مانع ابن غزي بن سعد) وربما كان الأصل ثامر بن مانع بن سعد بن غزي ابن سعد بن زيد بن عامر بن راشد بن قشعم بن راشد بن عجيل بن راشد بن ضيغم . وهذه مسألة تاريخية تحسم كثيراً من المسائل المعلقة ، فآل ضيغم أخبارهم معروفـة ومدوّنة في كتاب (طرفة الأصحاب) ، وقد سبق ذكرهم ، ومناسبة السياق تدعو الى العودة إليهم مرة أخرى ، بل العودة الى ما يخص نسب القشعم منهـم هنـا . وربما كان سعد قد تكرر .

لقد مرّ بنا أن راشد بن ضيغم خلف أربعة أولاد . وعلى هـذا فعجيل هو ابن راشد بن ضيغم بن منيف بن ضيغم بن منيف بن جابر ابن علي بن عبد الرب بن ربيع بن سليمان بن عبد الرحمن بن روح بن مدرك بن عبد الحميـد بن مدرك ... [3] . وقـد مرّ ذكر ذلك في الحديث عن الضياغم ، وهذا توضيح زائد .

(١) سعد حوله قصص لاوجود لها في الكتب ، وهو معروف عند بعض البدو باسم سعد راعي الذلول ، وقد ذكرناه في موضع آخر على أنه ربما هاجر وحيداً . إلا أنني أميل الى أنه من أحفاد ثامر بن قشعم ، والله أعلم ، وليس عندي الا هذا الحل ، لا وثائق ، ولا تاريخ ، وكلام شفوي لا يؤبه الى كل مافيه .

(٢) ثامر بن قشعم أول أمير يؤمّر بمرسوم سلطاني ، وقد ذكره ابن الفرات في تاريخه وسبق قولنا في هذا الموضوع، وربما توفي بحدود سنة ٨٢٢ هـ ، وهو من الضياغم .

(٣) انظر طرفة الأصحاب ص ١٢١ .

ويكون بهذا نسب ثويني قد صار ثابتاً متصلاً ، والله أعلم وأستغفره من كل ذنب ، وكل خطأ .

وثويني ، يعرف بـ (أبو قريحة) ، وفيه يقول رجل برطماني يقال له عساف البرطماني :

البرطماني زبن خيل هواديد
يكلط لي جاست عيون الرجال

يا ابو قريحة ما يلحكك منّي مناجيد
كود الدّبر يلحك فقار الغزال

أوصيك لا تجني عيال مداويد
و (عبيد ثبّت) [1] لا تحط مكاني

لها بقية ، ولها قصة ، ملخصها أن البرطماني انضاف يوماً فذهب إلى أغنام الشيخ ، يأخذ منها ذبيحة لضيفه ، فمنعه الراعي عبيد ثبّت ، فما كان من الرجل البرطماني إلا أن ضربه فجرّحه ، وأخذ بغيته ، وذهب الى بيته ، فغضب الشيخ ثويني لفعلته ، وأمره بالرحيل ، وتجهز راحلاً ، ثم مرّ على ديوان الشيخ ، فأنشد قصيدته تلك ، فأمره بالعودة ، فعاد .

وقد كان للشيخ ثويني شاعر لا يكاد يفارقه ، وهذا الرجل كان قد سجل كثيراً من أعمال ثويني وأفعاله شعراً إلا أن أغلبه سقط ، وبقي

(١) اسم راعي غنم الثويني .

منه في صدور الرجال تنف يرويها أحدهم ، فيعترض عليه الآخر مبدلاً له روايته وهكذا .

هذا القاصود اسمه فدغم السرداح ، ولا بأس أن نذكر له قصيدة نبطية يتحدث فيها عن عادات وتقاليد قشعمية ، ويرسم بكلماته صوراً ذات معاني طيبة ، ويذكر أخاً لثويني اسمه بندر ، وتذهب احدى الروايات الشعبية الى أن بندراً هذا كان قد ناصب ولاة العثمانيين العداء ، فطلبوه ، فالتجأ الى شبيب السعدون ، ولكن شبيباً لم يمنعه منهم ، فغضب منه ، وخرج ثائراً ، ثم استطاع فدغم أن يصور منهم هذا الموقف ، ورواية أخرى تذهب الى أن بعض القبائل انتهزت فرصة ذهاب ثويني في مخيم مع بعض الخاصة بعيداً عن عربه ، فكانت فرصة لمهاجمته ، فهاجمه شنان بن ذايب قائداً لآل رفيع ، معه كامله ، وساعده ، فقال فدغم يصور تلك الحادثة :

أوصيك يا شمشير لا تتنى فزعهم
يقدمون عبيد ، ويتلون أحرار

يوصون ريحان (١) المضيف بجارهم
يقولون حقه من اللحم السمين فقار

ياتي عزامهم تقل حواله
حواله .. (٢) روم ما تفيد اعذار

(١) ريحان : خادمهم في المضيف .

(٢) جندرمه ، أي عسكر الدولة .

ياتيك ويستـــدرجك مـــن وسط بيتك

استـــدراج خلـــوج تحض حـــوار

بندر (١) ذخـيرتهم لغـــاب شيخـــهم

حصـــان سبـوك وموقط بســـدار

تزحزح مـــن دار الشبيي (٢) وغـــرب

كما شويعي (٣) شاله حمـــل وسار

ظنـــوة مهنا شـــاله الغيط والطنـــا

عيـــا يـــوالـــف دون داره دار

أشوق خـــد بندر بالعجـــاج المربـــرب

يتطايـــر مـــن الوجنـــات شـــرار

بنـــدر لشـال الـــرديني بصـــدره

يســـوي بجـــل المسرجـــات دمـــار

بندر ما كـــلا (٤) الذخـــيرة في بيتـــه

إلا يجيبـــها للمضيـــف جهـــار

---

(١) أخو الشيخ ثويني •

(٢) شبيب السعدون •

(٣) قارب صغير •

(٤) اكـل

وقدكان ثويني استلم الشيخة بعد أبيه عبدالعزيز،وعمه شبيب بشكل مباشر فاجتمعت عليه كلمة القشعم بعد فرقة ، ولذا فقد علت مكانته جداً، ومازال مثار فخر وعز لكل القشعم يفتخرون به ، ويتحدثون عنه ولا ينتهون .

ومن خلال قصيدة فدغم السرداح نستشف أنه كان يجالس الولاة العثمانيين وتجمعه بهم مجالس مشتركة ، مما يدل على علو مكانته . وينتهز فدغم السرداح فرصة مراهنة مع بعض أبناء عشيرته الذين قالوا له عن فروة ثويني الجديدة المهداة له من الوالي ، فيمدحه معرضاً . ويفهم عليه الشيخ بسرعة ، فيهبه الفروة ، لقوله :

جلـد الطلـي مايلبسه عـالي الصيت

ولا يلبسه شيـخ يجالس الأروام (١)

وفي واقع الحال تتواتر الأخبار عن كرم ثويني تواتراً يكاد يكون تاماً متواصلاً غير متناقض أو متناقص ، الى الحد الذي تختلط فيه أخبار كرمه مع أخبار حاتم الطائي وأهم مافي هذه الأخبار عن كرم ثويني صارت مثلاً معروفاً عند البدو .

فقد كان ثويني في الليلة الباردة يخرج يده من رواق البيت أو طرفة يتحسس برودة الجـو ، فيراها باردة تحتـاج الى ما يطفيء برودتهـا فيأمر بذبح جزور حـايل وبخروف يبحث فيهـا الآكلون عن الدفء والحرارة ، وما زال كثير من القشعم يقلدون شيخهم في الليلة الباردة ، وينشدون مع من أنشد عن الليلة الباردة :

---

(١) الأروام الروم يقصد العثمانيين .

شـرته شـروت مـن ليالـي ثوينـي

يكعـم شـرورها بخـروف وحايـل

وتذهب حكايات الكرم الثويني مذهباً غريباً ، فهذه ذبيحة يقدمها خادم مضيفه بأمر الشيخ لدرويش نـزل المضيف ، فيستنكر خـادم المضيف تقديم الذبيحة مدعياً أن السمن واللبن والتمر يكفيه ، ولكن الشيخ ثويني يجيبه (اذبح له ياوليدى لعله شيخ الدراويش) • واغرب من هذا أمره بالذبح لكلب غريب عن الحي ، قعد قبالة المضيف ، فيأمر الشيخ بإكرامه (لعله كلب أجواد) •

وقد وصف فدغم السرداح (وهو من البعيج) كرم الشيخ ثويني ، فقال (١) :

أنهـا ليـا منّي توازيت واحـديت

واحتـاج لقطاع الحقـب (٢) والبطاني

ثوينـي إليـا جابـوا طريـاه وتّيت

ولـي طلبتـه حاجـة مـا قـال ماني

مـن عقبهـم زرع جليـل النّماميت

مـن متبنه يحفي كفـوف (٣) المثاني

(١) وتنسب الأبيات لشيخ من شيوخ زبيد •

(٢) شداد البعير •

(٣) يشنون للمواشي •

أنا أشهد أن الكـــرم والطيب والصيت

للـــي تحــدر جدهــم مـــن عثمـــان

ويلاحظ القارىء أن البيت الأخير يشير الى صلة القربى مع قشعم عثمان ، وقد مر ذكر ذلك .

وهنـــاك روايات شفوية كثـــيرة تتحدث ، عن حروب وقعت بين القشعم والعثمانيين ، وأغلبها مدوّن في كتب التاريخ التي وقفنا عليها في هذا البحث أيضاً،ويروي بعض البدو حكاية سنوات سبع من القتال، هلك فيها الناس وجف الضرع والزرع ، ومازال شيخهم يقاتل بهم الى أن سمع من يقصد :

يا عمي يا ابوعكـــــلة ما نبي الخـــلال

أبـــو دود نــــبي ديـــرة العربــــود

وديرة الخلال ، هي الديرة التي هاجروا إليها هرباً من العثمانيين ، والعربود الديرة الأولى ، وعكلة هو أحد أولاد ثويني . وكان لهذا الأمر وقعه في نفسية الشيخ فأرسل يصالح ، وقد تم له ذلك رأفة بجماعته .

وتذهب روايات أخرى تتحدث عن طيب ثويني ، وسعة حلمه وشدة كرمه الى أنه كان يرسل منادياً يدعو الناس الى طعامه ، وفي هذا يقول الشاعر :

الـــدار دار ثويني منقـــع الطيب

اللي عـــلى عيشــه نادى المنـــادي

والشاعر يعاتب الشيـخ صفوك الجربا لوقوفـه مع العثمانيين ، وعدم مساندته لأبناء عمه ، فيقول :

ياصفوك قلبـك مالجيلـه جـواذيب
عيّـا عـلى طك الزريف زنادي

وللبيت بقية أبيات طريفة أيضاً لم أستطع جمعها بالشكل المقبول ، فتركتها •

وقد كان الشيخ ملاذاً يؤوي إليه الضعفاء من كل مكان ، ويروى أن رجلاً حجازياً جاء اليه من الحجاز ، دخيلاً عليه ، فأجاره وأمّنـه وبقي عنده في بيته مدة ثماني سنوات ، الى أن سمعه خادم المضيف يوماً يعزف على ربابته ، ويقول :

يالشـيخ ابـن قشـعم المـدوح
مـن دون ربعـي عـوى ذيبـي

أبي ذلـول نبـي نـروح
ما هـو ردى مـن معـازيبي

فوصل النبأ الى الشيخ ، وسرعان ما لبّى رغبة قصيره ، فجهّزه وأرسل معه مجموعة من الفرسان يودّعونه الى ديرته التي جاء منها •

وقصص كثيرة مجموعة عندي ، مع شعر كثير يصلح بحثاً خاصاً • الا أنني لست من مشجعي هذا النوع من الشعر ولا أراه الا وقد وخطه العيب ، فحاجتي منه محدودة وهي ما ذكرته منها •

أولاد ثويني :

ترك ثويني مجموعة من الأولاد ، هم :

١ ــ عجيل ، وأولد شعلان ، وشعلان أولد (صفوك) .

٢ ــ أبو الهادي . وقد انقطع .

٣ ــ بدر ، وقد انقطع أيضاً .

٤ ــ صقر وأولد ولدين عقاب وصطام . أولد عقاب ولداً واحداً هو عبد الله ، ولعبد الله ثلاثة أولاد هم صقر ومحمد وحمود وأما صطام، فقد أولد ولداً واحداً اسمه مشل توفي دون خلفة ، وسنعود الحديث عن عقاب مرة أخرى .

٥ ــ عقل ، وأولد خمسة أولاد، هم :

أ ــ صنيتان .

ب ــ حميدي .

جـ ــ جاسر وأولد حبيب ، وعبعوب ، ودغيم وقد حمل لقب باشا وتعلم في استانبول . ومسير ، وصقر وبندر وعبد الله وعقل وأولد :

١ ــ عبد اللطيف وأولد (منصور ، وبندر ، ومشعل) . وأولد منصور ــ وهو مهندس ــ وأولد (طلال وفيصل وعبدالله). وبندر ، أولد عبد اللطيف . ومشعل ما زال عزباً .

٢ ــ عبد الرزاق ، وأولد (خالد ، ونواف ، وعقل) .

٣ ــ وعبد الله .

٤ ــ وعبد العزيز .

٥ ـ صقر •

٦ ـ حبيب •

٧ ـ مسير •

٨ ـ جاسر •

د ـ خليوي ، وأولد حمود ، وخلف وأولد بدر وكاسب ، وحمد وأولـد مهنا ، وسعد ، وصقر ، وساري ، ومانع ، وسالم ، وجاسر ، وعرار •

هـ ـ حاجم ، وأولد غصاب •

٦ ـ عقله ، وأولد عنبر ، وناصر ، وذياب •

أ ـ عنبر ، وأولد منشد ، وحواس ، وكحيط ، وأولد كحيط أربعة أولاد :

١ ـ عشوى ، وأولد حميد ، وخالد ، وحمود •

٢ ـ سعد ، وأولد بندر ، وعمر ، ومحمد ، وأحمد •

٣ ـ فهد ، وأولد عنبر ، وعجيل ، وثويني •

٤ ـ سعود ، وما زال عزباً •

ب ـ ناصر ، وأولد عبد الله وعبد الهادي ، وقد أولد عبد الله : حمود ، وعلي ، ومهنا ، وسعد ، وعكلة •

وأولد عبد الهادي : سنافي ، وذياب ، وناصر ، وعبد العزيز وعقل ، وسعد ، وعلي • ولنا عودة الى الحديث عن الشيخ ناصر والشيخ عبد الله ان شاء الله •

جـ ــ ذياب ، انقطع .

٧ ــ سنافي ، وله بنت عند العريعر ، أم محمد الزمام .

٨ ــ هزبر ، انقطع .

٩ ــ جديع ، وأولد نايف ، وحمد ، وحمود (منهم من انقطع ومنهم من مات) وتركي ، وأولد :

أ ــ الــدوشي مات (عزباً) .

ب ــ فيصل وأولد غازي .

جـ ــ عزيز ، وأولد يوسف ، وتركي ، وحمود ، وحسين ، ومحمد ، وهادي ، وسعود .

د ــ راشد ، وأولد نايف ، وعقل وحمد .

هـ ــ مرشد ، وأولد ثويني ، ولورانس ، وعزيز (١) .

ولابد من وقفة عند الشيوخ من آل ثويني دون تفضيل أو تفصيل فهم كخيول الرهان ، وأكرم الناس عند الله أتقاهم ، ولابد للباحث من ذكر شيء عن مشايخهم بالوقت المتأخر والمعاصر .

الشيخ عبعوب بن جاسر بن عقل بن ثويني :

وقد اشتهر بأنه شيخ وعقيد (فارس مجرب) ، وهذا ما سمعته من القشعم وقد توفي عن ذكر حسن وصيت شائع رحمه الله ، وحل محله أخوه الشيخ عقل رحمه الله ، ولنا عودة الى ذكره ان شاء الله .

---

(١) هؤلاء مجموع الثويني ، وأرجو الله ألا يكون قد فاتني شيء وعذري لكل من لم يرد اسمه ، فأنا رجل آجمع من أفواه الرجال في هذه المسألة .

الشيخ عقاب بن صقر بن ثويني :

كذلك اشتهر بأنه شيخ وعقيد (فارس مجرب) ، وهذا ما سمعته من القشعم وقد توفي عن ذكر حسن وصيت شائع بعد عشرين سنة من الشيخة رحمه الله .

الشيخ ناصر بن عكلة بن ثويني:

وقد اشتهر بالحلم وسعة الصدر ، وحسن ملاطفته لمن حوله وقد توفي عن ذكر حسن وصيت شائع بعد عشرين سنة من الشيخة رحمه الله تعالى .

وأما الرعيل الثاني من شوخ القشعم من الثويني ، فهم :

آ ـ في الكويت الشيخ عبد الله العقاب بن صقر بن ثويني . وقد جلست إليه ورأيت فيه رجلاً عربياً تبدو عليه سمات الشجاعة والشهامة .

ب ـ وفي الكويت أيضاً الشيخ سعد بن كحيط بن عنبر بن عقلة الثويني ، وقد جلست إليه ورأيته رجلاً عربياً ذكياً شهماً تبدو عليه سمات الوقار ، وقد بذل جهداً مشكوراً في مساعدتي فجزاه الله خيراً .

ج ـ وفي الكويت كذلك الشيخ حمد الخليوي بن عقل بن ثويني ، وهو رجل مسن جلست إليه فأدركت أنني أمام تاريخ صامت إلا أنه تاريخ وصدر عامر بالأحاديث ، وهو رجل حصيف متحفظ فطن ، ذكي بارع الذكاء .

د ـ في العراق الشيخ عبد الله الناصر وهو شيخ القشعم هناك ومركزه في الركي على الحدود الجنوبية للعراق ، ولم يتح لي أن أجلس

الى هذا الرجل لسوء حظي ، إلا أنني سمعت ذكراً طيباً عنه وقد وصفه لي الشيخ عبد اللطيف بصفات كثيرة وطيبة ، ووصفه لي بمكارم الأخلاق ، وطيب المنبت وبالأصالة والعراقة . وجمع الى النسب الكريم الحسب الرفيع . وقد سمعت قصيدة طيبة في مدحه ، قالها حمد عساف الشمري .

هـ ـ في السعودية ، كان الشيخ عقل بن جاسر بن عقل بن ثويني صاحب هجرة الشعيبية [1] . وقد وصفه لي بعض من اتصلت بهم بأنه رجل شجاع جداً ، وكان بعض القشعم يؤكد لي أنه رجل جبار بكل معنى الكلمة ، والجبار صفة من صفات الله ، استنكرتها عليه وأجبته بهذا ، فاستغفر الرجل ربه ، وقال : عقل بن جاسر رجل عجيب تتوفر فيه صفات النباهة ، والحدّة والذكاء والشجاعة ، والشدة فهو رجل شديد جداً . وقد خاض معركة السبلة الى جانب الملك عبد العزيز رحمه الله ، فأظهر بطولة وشجاعة . وكان صاحب دين يلتزم بكل تعاليم الإسلام ، وعلى هذا أنشأ أولاده .

وولده عبد اللطيف هو الآن الشيخ العام الذي يحمل خاتماً حكومياً توقع عليه إمارة الرياض .

الشيخ عبد اللطيف بن عقل بن جاسر [2] بن عقل بن ثويني آل قشعم .

---

(١) وهي هجرة تابعة لحايل من قراها ، تبتعد عنها قرابة ١٣٠ كيلا نحو الشرق بين بقعا والنفوذ وكان ذلك سنة ١٣٤١ هـ

(٢) كتب عنه فهد المارك قصة (قلب فارس في جسد فتاة) في كتابه (من شيم العرب) الجزء الأول الطبعة الثانية ص ٢٦٤ . وهي قصة طريفة تعلل كثيراً من تصرفات الشيخ عقل فهو ابن بطل فارس وفارسة شجاعة .

عرفت الشيخ عبد اللطيف معرفة عمرية ، فقد حللت معه ، ورحلت ، ورافقته في السفر والحضر ••• وخالطته مدة سنين ، وعرفت بيته من خلال معايشتي له في ديوانه العامر ، وعايشت معه أخاه الشيخ عبد الرزاق وأخاه الآخر عبد الله ، وعايشت معهم الاستاذ المهندس منصور بن عبد اللطيف فنسيت معهم الغربة والبعد عن الأهل ، وكانوا العوض والسند •

وهذا ما يدفعني الى القول بأني عرفته المعرفة العمرية ، فكنت أعرف مداخله ومخارجه ، وكنت رفيقاً له في السفر ، ومعاملاً له بالدرهم والدينار •

وقد رأيته يتحمل الكثير من البعيد والقريب ، ورأيته لبقاً متحدثاً ، ذكياً ، فطناً جمع الى هذا كله حب الآخرين ، وعلا شأنه في الكرم ، والنباهة والدين المتين •

وقد زينه الله بالتدين والتعفف ، فهو صاحب دين سليم من البدع والخرافات والأوهام والضلالات ، كما أنه مثقف بارع الثقافة ، حاول أن يتم تعليمه الجامعي حقوقياً ، ولكنه لم يوفق الى هذا لكثرة مشاغله ، ومتاعبه ، وما يحمله من أعباء العشيرة والحياة •

أعماله الكثيرة في سبيل عشيرته ، شيّخته وجعلته وجهاً اجتماعياً بارعاً ، لم يقل كان أبي وكفى ، بل قام بفعل •

وطيب جداً أن يكون شيخ القبيلة في القرن العشرين مثقفاً واعياً متمسكاً بدينه وتراث أمته • ولعل هذا الأمر ظاهرة في كل شيوخ قبائل المملكة العربية السعودية ، فمنذ أن رفع الملك عبد العزيز رحمه الله راية الإسلام فوق كل راية ، وجاهد لتكون كلمة الله هي العليا ، راح شيوخ القبائل يقتدون بإمامهم ،

ويسيرون على نهجه ، ولـذا صار عرفاً بين المسلمين والعرب أن يلتزم شيخ القبيلة بدينه ، وأن يجعل رضاء الله هدفاً له في كل أعماله • وكأن هذا الأمر قد أوجد مواصفات جديدة لشيخ القبيلة ، يمكن ذكر بعضها تلخيصاً بما يلي :

١ ــ يجب أن يكون شيخ القبيلة ملتزماً التزاماً إسلامياً كاملاً يقيم أركان الدين ، ويحلل الحلال ، ويحرم الحرام يتقي الله في أفراد عشيرته ويخلص الإخلاص كله لإمامه المسلم ، وكذلك عليه أن يقدم لهم كـل خدمة يحتاجونهـا أو أمر يريدونه ، وهو قادر عليه ، ولـذا فقد كان شيوخ القبائل مسؤولين أمام الملك عبد العزيز رحمه الله ، وأمام أبنائه الملوك من بعده ، منذ أن أقام فيهم شريعة الله •

٢ ــ يستحب لشيـخ القبيلة استحباباً يكـاد يكون موجباً أن يكون مثقفاً واعياً ، مدركاً لمجريات أمور قبيلته •

٣ ــ شيخ القبيلة منذ القدم حمّال هموم القوم من أفراد قبيلته يسعى بأقدامه الى المسؤولين يشرح قضاياهم ، واحتياجاتهم •

٤ ــ إذا كان شيخ القبيلة قـدوةً صالحةً صَلُح أمر قبيلته ، وكان وأمثاله من شيوخ القبائل جُنّة للإمام يقدمون أنفسهم وأفراد قبيلتهم للدفاع عن دينهم ومليكهم ووطنهم •

٥ ــ ونحن عـلى أبواب القرن الحادي والعشرين لا بد لشيخ القبيلة من اعتراف رسمي بمشيختـه من قبـل دولته ، فتزوّده بختم خاص يقضي فيه كثـيراً من الأمور الرسمية التي تحتاجهـا الدولـة من الناس •

وعود على بدء فقد وجدت كل هذه الخصال متوفرة في شخص الشيخ عبد اللطيف بن عقل القشعم ، وقد عايشته ثلاث سنوات ، كانت كافية لأن أحكم على ما رأيت بعيداً عن الإعجاب الذاتي والأمور الخاصة ،وكما بدأت بحثي بالتنبيه الى مسؤولية الكلمة ، أختمه بتذكير نفسي بهذه المسؤولية ، فالناس الى ربهم ماضون ، والحياة رحلة قصيرة لا ينفع المرء فيها شيء يأخذه إلى آخرته إلا العمل الصالح ، فإذا مات انقطع عمله إلا من ثلاث : « حسنة جارية ، وولد صالح يدعو له ، وعلم ينتفع به » • وقد رأيت الشيخ عبد اللطيف كما قال الشاعر الشمري المعروف بالأديب ، خفيج عبد الله بن رمال :

يا مرحبا بعداد ما هل همّال

اليا نثرته زاجرات الرواعيه

بالشيخ أبو منصور (١) كساب الأنفال

شيخ ولد شيخ مضى له مواريه

وفي قصيدة أخرى ، يقول في الشيخ عبد اللطيف وأخيه الشيخ عبد الرزاق :

يا لجشعمي ما قلت بأمجادكم زور

أو نرسم بفعل أول والأمجاد نيشان

أفعالكم تخبر بالأعوام وعصور

يوم العرب ما بين طاعن وطعّان

(١) منصور هو الأستاذ المهندس منصور بن عبد اللطيف القشعم ، نجله الكبير •

*** *** ***

بابو منصـــور القشعمي ما بك قصــور

متورّثٍ بالطّيـــب من فرع جـــدانْ

وحديث الشعر طويل ، وهذا ليس موضعه إلا أن بعض الشعراء كان يطلق عليه لفظ شيخ الشيوخ مقتدياً بجـده القديم ابن قشعم ، قال الشاعر محمد مرضي المسعود الشمري :

المــــدح يزهــا لابو منصــــور

شيـــــخ الشيــوخ القـــديني

اللـــي أحجاجـــه يشـــــع النــور

والجنيـــه ما يشبـــــه الصيــــني

ويعرّج الشاعر على الخصال المعنوية عند ممدوحه فيراه متأصلاً بالطيب ، ومشهوراً بالأعمال الخيرة ، ويمدحه بزينة العقل وبالتدين ، فيقـول :

بالطيــــب وزين النبـــا مشهـــور

وخيـــــار بالعقــــــل والـــــديني

والشيخ الى جانب هذا كله مهتم بأمر الثقافة في بيته فيركّز كثيراً على تعليم أبنائه وبناته وأسرته عامـــة ، وقد سرّني أن يذكر كثـير من القشعم على مسامعي المستويات العلمية الجامعية التي فيها بناتهم ، فهذا

يبشّر بخير عام للمرأة المسلمة إن شاء الله . والشيخ يشجع أبناءه على التعليم والتعلّم باستمرار.

والى جانب الشيخ عبد اللطيف جناحه الأيمن ، أخوه الفد الشيخ عبد الرزاق ، أبو خالد . وقد شرفني الله بالتعرف على هذا الرجل فهو رجل حصيف ناضج ، حاد الذكاء كالصقر العربي جلله حياء المتدين ، وزيّنه إيمان المسلم الوجل من الله ، تهمه أمور دينه كثيراً ويسعى دائماً الى تحكيم الامور بالشريعة .

هادىء رزين ، عميق التفكير ، مبتسم في وجه الضيف والصديق ، محبوب يذكّرني بقول فدغم السرداح (شاعر الثويني) وهو يصف بندراً أخا الشيخ ثويني :

(بندر ذخيرتهم ليغاب شيخهم)

فهو ذخيرة القشعم بعد أخيه الشيخ العام عبد اللطيف . وله من الأولاد خالد ونواف وعقل . وخالد كبيرهم .

وأما الأستاذ المهندس منصور بن الشيخ عبد اللطيف ، فهو رجل ذكي وهادىء ورزين ، ويقوم بخدمة القشعم ، أراه دائماً وقد حمل حقيبته ليخرج منها ختم الشيخ ، فيقضي الاعمال التي يحتاجها بعض أفراد القبيلة ، وهو الى هذا نشيط ، وله من الأولاد طلال ، وفيصل وعبد الله .

وعبد الله العقل شاب نابه مؤدب ، مثقف ، مندفع لعمل الخير . وهو ضابط وقور يخدم دينه ودولته بإخلاص وأمانة .

وقد كان للبحث الـذي هيّأ له الشيخ عبـد اللطيف في الكويت صدى كبيراً ، وكان لآل صران القشاعمة اهتمام كبير بالبحث ، وهذا يدل على وعيهم ، وشدة اهتمامهم بأمور قبيلتهم ، وقضاياها التاريخية ، وبمناسبة تلك الزيارة قال الشاعر حيال بن صران القشعمي قصيدة نبطية طريفة قدم لها بقوله :

« بمناسبة زيارة الشيخ عبد اللطيف القشعم للكويت ونظراً لما يقوم به من جهود مضنية لجمع الحقائق والمصادر التاريخية الخاصة بقبيلة القشعم لإعداد وإصدار كتاب بذلك فقد جاشت قريحتي بهـذه الأبيات المتواضعة لعل وعسى أن أكون قـد أعطيت الشيء القليل بما يكنه صـدري ، وصدور جميع أبناء القبيلة من العرفان بالجميل لكم ولجميع من ساهم بهذا العمل الجليل ، كما لا يفوتني أن أخص بالشكر وعظيم الامتنان سيادة الدكتور الأخ علي الشعيبي الذي تبنى على عاتقه الأمانة التاريخية لإظهار وإحياء تراث القبيلة الى النور » . ثم قال :

مشكور يا بو منصوو ما جيتْ بقصوُور

يا لطيـب اللي من أرجـالٍ حمايـل

أحييت مجـداً بالتاريـخ مـدثور

طلعت تاريـخ الرجـال الأصايـل

بذلت مجهـودٍ وأنا أقول مشكـور

شيء بذلتـه من كبـار الدلايـل

عساك دايـمْ من لياليـك مسـرور

يا لطيـب اللـي وافي بالخصايـل

وكتابك اللـي فيـه يطلـعْ لنا نور

تاريـخ القشعـم يوم شب الفتايـل

عسـاك من كـل العواثير ماجـور

حيـث أنت راعي للوفـا والكمايـل

يا شيخنا اللـي بالمواجيب مشهـور

يا للـي أفعالك كـل أبوها جمايـل

أنتـه ذرانا وأنـت في ليالينا نـور

تفخـر بذكـرك يا عريب السلايـل

وهـذا الذي قلناه من كـل ميسور

وأرجو السموحـة بالبيوت القلايـل

واتسـني عساك بنية الخـير مذكـور

ولا هي خسارة فيك بـدع المثايـل

قلتهـا وجـدي بالمهمـات مخبور

وقت الحـروب يشيـل كـل الثقايـل

أفراد القبيـلة تحـيي اليوم دكتور

وتشكر جهـوده في جميـع الرسايـل

وصـلاة ربـي عـد نهـران وبحـور

عـلى النبي المبعوث راعي الرسايل

وللأديب الشمّري خفيج قصيدة طريفة في مدح الشيخ عبداللطيف وأخيه الشيخ عبدالرزاق، وفيها تصوير لمجلس القشعم، ووصف للأخوين يضفي عليهما مدحاً معنوياً يتناول القيم الرفيعة التي اكتسبها الأخوان من الأجداد، ومن الأعمال، ويخصّ الأمير ناصر بن مهنا بالسيادة على بر العراق من الهور (الأهوار) في الجنوب إلى سنجار في الشمال الغربي، وهي قصيدة طريفة جاء فيها:

جئنا محلَّ الجَشْعمي وافي الاشبار
عبداللطيف اللى تعلاّ أشْنُوْرَه

وعبد الرزاق اللى تعلاّ بالاطيار
نَدّ يتمشى برسم أخوه ليث النّمُوْرَهْ

مجلس شرف والعش ماظننتي بار
بالمجلس اللي قابلينه طُيوْرَهْ

طيرين من طير تربىٰ بالافخار
من الماكر العالي ربَوْ فِي وكُوْرَهْ

من أول نسبهم مابهم شط شبشار
أهل الثنى والمجد من أول عصُوْرَه

جدّ لجدّ مابهم واحد خسار
عسىٰ مبانيهم تعدَّل جسُوْرَه

وناصر حكم بالهور ليا خشم سنجار
واصغوا وزكّو له بليّا مَشْوْرَهْ

وساد العراق وتكّزه ليث الانمار
الجشعمي ماصار مثله بدُوْرَهْ

وكــم مــن عــقــيــد ذوّقــه ســمّ الامــرار
وغــيــث لجــاره مــثــل هــاتــف مــطُــوْرَهْ

لــيَــا قــطّــبــو سِــرْد الــرُّمَــك والــدّخــن ثــار
ضــديــدهــم لازم يــذوق المــرُوْرَهْ

يــعــل عُــوْدٍ راح منهــم لــلابــرار
بــالجــنّــة الــعــلــيــا يــقــطّــف زهُــوْرَهْ

كريدي بن ردعان الشليهمي القشعمي:

يعتبر كريدي الردعان القشعمي شاعر القشعم بلا منازع وهو يقول الشعر النبطي يرتجله ارتجالاً، ويبتدعه ابتداعاً، وقد جالسته مدة من الزمن فرأيت فيه غزارة شعر، ونباهة شديدة، وذكاء خارقاً، وحساسية مرهفة، وهو شاعر مشهور له صيت ذائع بين القبائل في السعودية والعراق والكويت وسوريا والأردن حيث يستقرّ الآن، ويمتاز بألفاظه القوية، وقوافيه الصعبة، وله قصائد كثيرة يمكن جمعها في أكثرمن ديوان، ولكنني أنتقي منها قصيدتين، الأولى كتبها للشيخ عبداللطيف وأرسلها مسجّلة على شريط من عمّان، يقول:

دن الــقــلــم واكــتــب عــلــى جــنــب وضّــاح
للــشــيــخ ابــن جــشــعــم عــزيــز الــقــبــيــلَــةْ

عــبــداللــطــيــف الــشــيــخ كــســاب الامــداح
شــيــخ لــنــا وإن صــار عَــدْلَــه ومــيــلَــهْ

شــيــخ الــعــصــاة[1] الــيــاكــل لــبّــاح
زبــن الــضــعــيــف الــيــاتــرِدّى حــصــيــلَــهْ

وعــذروب جــدّك يــوم يهــدون الارواح
يــثــنــي وراهــم الــيــاتــردّى زمــيــلَــهْ

---

(١) العصاة نخوة القشعم ولقبهم.

والياصار عند اقطيهن عج واصياح
يردّ هامردا سهن بالدّبِيْلَهْ

وَجْدي على القشعم ذَرى كل تراح
وجدْ الخلوج الياتعشوا فصيلَهْ

ياشيخ ياللي لاسمن الحيل ذبّاح
حق على مثلك يعزّ القبيلَةْ

واليا قامت النكبا تصفق بالارياح
عادات أهلكم يذبحون الجليلَةْ

أنا بذراكم يافتى الجود مرتاح
ولو صارت الغربه علينا طويلَهْ

وطيبك على الرجال الردين فضّاح
ريف هشّال توازاه لِيْلَهْ

عين حرّ شو لحولهُ بشولاح
ويوم اصطفق يرمي عنود الحَميلهْ

وثقل الحمل لمتون الاجواد طرّاح
وجظّت يابو منصور من ثقل شيلَهْ

وعقلي يابومنصور في حبكم ساح
بالي عطياكم بنات الكحيلةْ

وقبل الفجر ينباح لك نجر ضباح
ينده مناعير النشاما تجيلَهْ

وصلاة ربي بكل مسيّه ومصباح
على النبي معطي العطايا الجزيلهْ

والقصيدة الثانية بث فيها هومه، وآلامه، وما أصابه وانتابه بعد مفارقة الثويني إلى الأردن، وفيها يخاطب الشيخ عبداللطيف أيضاً، يقول :

البارحة بالليل قمت اتنزّا
أخيل براق سراء وين يازي

من دون ربعي فرجةٍ مجرهزّا
ابى العزا عنهم ولاني بعازي

قلبي يابومنصور قام يتمزا
عِدّك تجد معلّقه بالقزازي

من عقب ماني بعز قمت اتلزا
عقب الثويني أهل الرباع الملازي

مثل الفطيم اللي فقد دِرْبزا
فقدت أنا قوم اكرام اعزازي

وجموع القشعم يوم قامت كزا
شيوخ على بعض المشايخ ميازي

اليا ركبوا الطوعات والفعل لزّا
سووا على بيوت المعادي معازي

اليا شرّعوا زرق الرماح البلنزا
يتلون ابن قشعم على الضد غازي

اليا ركب حمراه وهز العرنزا
حرّم على خيل الضديد المغازي

الغش عن قلوب القبايل تنزّا
ومن فضل ابن مقرن(١) نسينا البرازي

ياالجنبي كانك بغيت المعزّا
انص القشاعم جارهم مايهازي

يتلون ابومنصور بالفعل فزا
شبه حرّ شابطٍ بالبغازي

وصلاة ربي بكل مسيّه وحزّا
على محمد عِدْ وَبْل الرّزازي

وتكثر قصائد الفخر والاعتزاز بالقيم المعنوية التي يعتزبها العرب في كل مكان، وزمان، الكويت والسعودية والعراق، تفتخر بهذه القيم العربية، فمن الكويت كتب الشاعر طراد الشبيل القشعمي، يقول:

عبداللطيف العقل يامنبع الجود
والشمس مايِخْفِى ضواها الغمامي

فكره محيط وله العزم بالود
وهو الذي يروي العطاشا الضوامي

شيخ الشيوخ اللي له العلم مردود
نسل الذي بالبيد عشى الخلاوي

ريح وريحان مع طيبة العود
واليا نصيته ذيب عَشْوى تمامي

أصله عريب بالتواريخ موجود
يطرح علم من فوق راس الغمامي

---

(١) الملك عبدالعزيز.

وربعه عصاة القوم إن قيل بارود
ودخيلهم يبقى قرير المنامي

وموقافنا في موقف الطيب ماكود
ياما روينا الضاد طيب الكلامي

وهذا بربعي ياعرب عِلْم معهود
وهم في جبين المجد أعلى وسامي

فالشاعر يفتخر بالجود، والعقل، والكرم، والمشورة، والمجد ثم يفتخر بالقبيلة كلها (العصاة)، وأنهم حماة للدخيل، وهم قوم مشهورون، وأعمالهم مخلّدة بطيب الكلام.

ومن السعودية يضفي حمد بن عساف الشمّري، على القشعم وشيخهم عبداللطيف مثل تلك القيم المعنوية، ويبدأها بذكر الله، ويختمها بالدعاء لآل سعود أن يعزّهم الله، ويفتخر بهم لأنهم حكموا كتاب الله وشريعته، يقول:

بديت باللّي خالق كلّ الاكوان — هو خالق الدنيا وعالم أسرارَهْ
تنظر باللي قضى لياليه سهران — سهران كل يوم يمز افكارَهْ
وعينه جزت عن نومها الحد الأذان — حتى عمود الصّبح بيّنْ حمارَهْ
قم يانديمي واكتب أبيات وألحان — اكتب كلام ماالقينا قراره
أبيات شعر مانبيعه بالاثمان — ماقولها لُوهِي بزايدْ اسعارَهْ
أقولها باللي قديم لهم شان — قولي صحيح وظابطين اسطارَهْ
ولا جيت بيت الاجودي عد ماكان — الشيخ اللي بالضيق نزبن لدارَهْ
عبداللطيف اللي على الطيب شفقان — راعي العلوم الطايله والسطارَهْ

أنـا اشـهـد انك من سلايل كحطان — الـشـيـخ اللـي مـبـعـدات اخـبـارَهْ

أبـوك قـبـلـك يـشـبـه الذيب سرحان — يـافـرحـت اللـي جـاه والآاسـتـشارَهْ

أبـوك قـبـلـك يـوم روغـات الاذهـان — نـطّـاح سـربـات تـزايـد غـتـارَهْ

عـقـل اللـي يـوم اللوازم بـلـيهـان — كـم خِـلْـفِـةٍ جـابـه يحـدّه حـوارَهْ

مـن راس فـرسـان وعـقـيـد فـرسـان — يـزيـن وجـهـه لـيـتـخـالـط اغـبـارَهْ

ابـن ثـويـنـي مـن قـديمـات الازمان — حـلاّلـت الـكـايـد بـسـاعـة اعـسـارَهْ

يـاشـيـخ يـاللـي لـلـصـعـيـبات ولهان — يـاللـى بـدرب الـطـيب باتت اخبارَهْ

أبي اشتكى لك حاجتي وانت فهمان — قـولـي صـحـيـح ولابـقـولـي قـارَهْ

أمـسـيـت فـي غـبـات الايـام حيران — مـاغير أبـرّد هـاجـسـي بـالـزّقـارَهْ

يـاشـيـخ ماجيتك على نقص ميلان — يـالـشـيـخ بن الـشيخ ذيب السعارَهْ

افـطـن لمـن يـنـخـاك ياذرب الإيمان — فـكّـاك بـوبٍ مـقـفـلاتٍ إعـسـارَهْ

وبـنـيـت بـيـتـك لـلأجـاويد ديوان — وانـتـه يـابـو مـنـصـور شـبـيت نـارَهْ

ودرب المراجل ماتجي بضحك الاسنان — يـاكـود مـن هـو عـارفـه واسـتـدارَهْ

والله لايـضـيـع تـعـب كـل تـعـبـان — والله يـعـز اللـى عـلـيـنـا شـعـارَهْ

ابـن سعود الي حكم بصدق وإيمان — وعـدل الـشـريـعـة قـايم فـي ديـارَهْ

الله لايـغـير عـلـيهـم بـنـقـصـان — ويـنـصر حمـاة الـديـن بـكـل تـارَهْ

والقصيدة طويلة، ولكنني اجتزأت منها كثيراً، وعذري أنني لا أريد أن أطيل في الحديث عن هذا النوع من الشعر، كما أنني أريده بحثاً علمياً صافياً، ولولا صلة تلك القصائد في البحث لما ذكرتها.

وكنت قد قمت بمعية الشيخ عبداللطيف بز يارة إلى ديوان ابن عبيكة، فوجدنا عنده الأديب الشمرّي خفيج عبدالله بن رمال. ثم كان لابد لي من الحديث عن طبيعة البحث الذي أقوم به، وصرت إلى القوم أسألهم بعض الأسئلة، فجادت قريحة الأديب الشمري بقصيدة نبطية جميلة، فيها أخبار تاريخية، يقول :

« الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله بمناسبة زيارة الشيخ عبد اللطيف بن جشعم والدكتور علي أبو صلاح علي ابن عبيكة قلت هذه الكلمات :

جانا ابن قشعم والدكتور أبو صـــلاح
اللـــه يحييهـــم تحيـــة وتزويـــد

يا مرحبا بعـــــداد ما هـل همـــال
اليا ترنّـــه زاجـــرات الرواعـــد

بالشيـــخ أبو منصور كساب الأنفـــال
شيـــخٍ ولد شيـــخٍ مضى له مواريـد

جـــده تمركز بالحساء يوم الأفعـــال
يوم الصيـــال ودور وقت المجاريـــد

وثامـــر تبـــين يوم للرمـــز زلزال
وأسس لنا بالقـــاع رسـم ومجاويـد

والجـــد الثاني للمناعـــير مدهـــال

عليـــه ثكلات النضى لـه مواريـــد

على غـــدير الشيخ سوس له أميـــال

بخشـــم الرعن تأتيه الأنضى جهـــاديد

وســاد العراق الجشعمي طلق الأشبـــال

وساقوا له الجزية عـلى كيف ما يريـــد

واصغـوا وزكـوا له شغاميم الابطـال

بالسيف طـوع ناقلـين البواريـــد

بالسيف الأرخـــم أودع الناس ذلال

وذلت له صعول الرجـــال الصناديـد

القشعمي جبـــار وللراي فتـــال

حلحيـــل صعصيـع يخيف الأضاديـد

أو يفعـــل ويرسي وللثقيلات شيـــال

أو جـــدٍ لجـــدٍ يكسبون التحاميد

تاريخهـــم مفهـوم بماضي الأجيـــال

من قشعـــم الاول لضيغـم معاويـــد

ولأبو ربيعــة معدل الشيل اليا مـــال
اليا أصفرن مزن الرجـــال الرواعيـد

من خشـــم سنا زاع من غـــير دلال
من أيمن خميس امشيط وذيك انجلاميد

أو زاعت جهامتهـم عـلى غرب وشمـال
وأقفت جهامتهـــم كما جايـل الصيـد

أو نجـد انفضوها أو غر بن مع شفا الجال
جالن أو زاعن مع صحاري هاك البيد

ومروا جبــل سلمى وفاتـوا على الفـال
وتمركـزوا بـوادي لـه مسـانيـــد

بين الجبـال اللي لهن مجـد وظـلال
وتحالفـــوا مـن بينهـم بالمواكيـــد

وتحالفـوا مـن بينهم بـرد الأقـــوال
زوبع وعبـــده واسـلم بالتـراديـــد

وزتـوا بهيج زتـــة تطنـى الحـــال
وخـلى جباله والنخيـــل شمخ الغيـد

وأقفى غشيش وينثر الدمع هلال

وفض للعراق وقال مابه مقاعيد

أو زوبغ وعبده واسلم لهم تمثال

يوم الرماح ودور وقت المهانيد

أو من زارهم اسقوه سم وسلال

وعنهم كبير الجمع يحيد تحاييد

والياوتو هم من الأضاديد عيثال

عادات شمر يزهمون الاضاديد

هذا ونختمه على حسن الأعمال

تنشر علمنا يوم ناشدو تنشيد

هذا الذي قلنا بهم وهم يستأهلون أكثر من ذلك وبه وصفنا أجداده عندما أتوا من سنا من جنوب الجزيرة العربية الى وادي حائل والسلام عليكم » .

وكان الشاعر خفيج عبد الله بن رمال ، قد قال قصيدة أخرى بالشيخ عبد اللطيف واخيه عبد الرزاق ، وفيها أيضاً معلومات تاريخه عن قبيلة القشعم قديماً مما هو محفوظ في صدور كبار السن ، وفيها يقول :

شهر الحساني فات بسعود وسرور

شهر التهاني والحساني والايمان

عسى نعوده بالسلامات وزهور

آمين يارب الملا عالي الشان

والعيد الثاني شوفتك يابو منصور

يالقشعمي نغليك بأول وذلوان

أبفعالك نزود وأول الفعل مخبور

من دوركم الأول اليا دوركم لآن

يالجشعمي ما قلت بامجادكم زور

أو لرسم بفعل أول والامجاد نيشان

أفعالكم تخبر بالاعوام وعصور

يوم العرب مابين طاعن وطعان

ورسوم جدك بالعلامات مذكور

بالدور الأول يوم للفعل ميدان

سعد شهر بالفوز والفعل مشهور

وانشد غدير الخيل ينبيك ماه كان

يوم العرب ما بين جازر ومجزور

وياما نحا عن شيخ الخور فرسان

ويرعى من الخيان اليا حـــدابا لقــور
وترعى به الفطّـــر مـــداريج الأمزان

ويــامــا نحا مــن دونها كــل مـــطور
بمصقـــل الهنـــدي ومــذرب الزان

وزكى العــراق وطوعــه بكل مجــرور
ومــذ لعقــات تــودع العــي بنهـــان

وأصغوا وزكــوا له وغــدا لهم ســور
وهــو من وراهــم كنــه السبع ضرمان

بحمايتــه يرعون عن كـــل مخطـــور
وغــدا لهــم أبٍ وســـورٍ وسلطــان

وعنهـــم نخا بالسيف من كــل مــرور
وزادوا بعــز عــن طواريــج الأوهــان

وياما افتــرج مــن سبته كــل معســور
وبيته لهشـــال الخـــلا صـــار ديوان

وبيته مــزار لراكــب الهجــن والكــور
ويذري الضيــوف ومــن تنصّاه بلشبــان

ونذكر بفعـــل فـــات والفعـــل ماثور

ولا هرج إلا ولـــه تواريـخ وارهان

يابو منصـــور القشعمي مـــا بك قصـــور

متـــورث بالطيب مـــن فـــرع جـــدان

عساك تسلـــم من حـــدث كل عاثـــور

وياليت من جنسك مـــع الناس صـــدقان

واطلـــب لك التوفيـــق وأقـــول ماجـــور

بحمايـــة المعبـــود بـــدار الأحســـان

عساك بالله مـــع هـــل الخـيـر مـــبرور

اليا سيقت الأمـــه وطـــارن الأذهـــان

وصلاة ربي عـــد مـــا أقعـــد ومـــاثور

عـــلى الذي يـــشـــفع لنـــا بعفـــو وغفـــران

وكان الشاعر محمـــد مرضي المسعـــود الشمري ، قـــد سجّل هجينيّة [1] ، صور فيها خصال الشيخ عبد اللطيف ابن قشعم ، وذكره باللقب الذي كان يطلق على أجداده ، فقال :

---

(١) وهي القصيدة التي يقولها الشاعر على ظهور الابل ، ويرددها خلفه زملاؤه ، لون من ألوان الشعر النبطي .

المــدح يــزهـــا لأبـــــو منصــور

شـــــيخ الشيــوخ القـــديمينـــي

اللـــى أحجـاجـنـه يشـع النــــور

والجنيــــــه مـــــا يشبـــــه الصيني

بالطيــب وزيـــــن النيا مشـــــهور

وخيـــــار بالعقـــــل والديـــــي

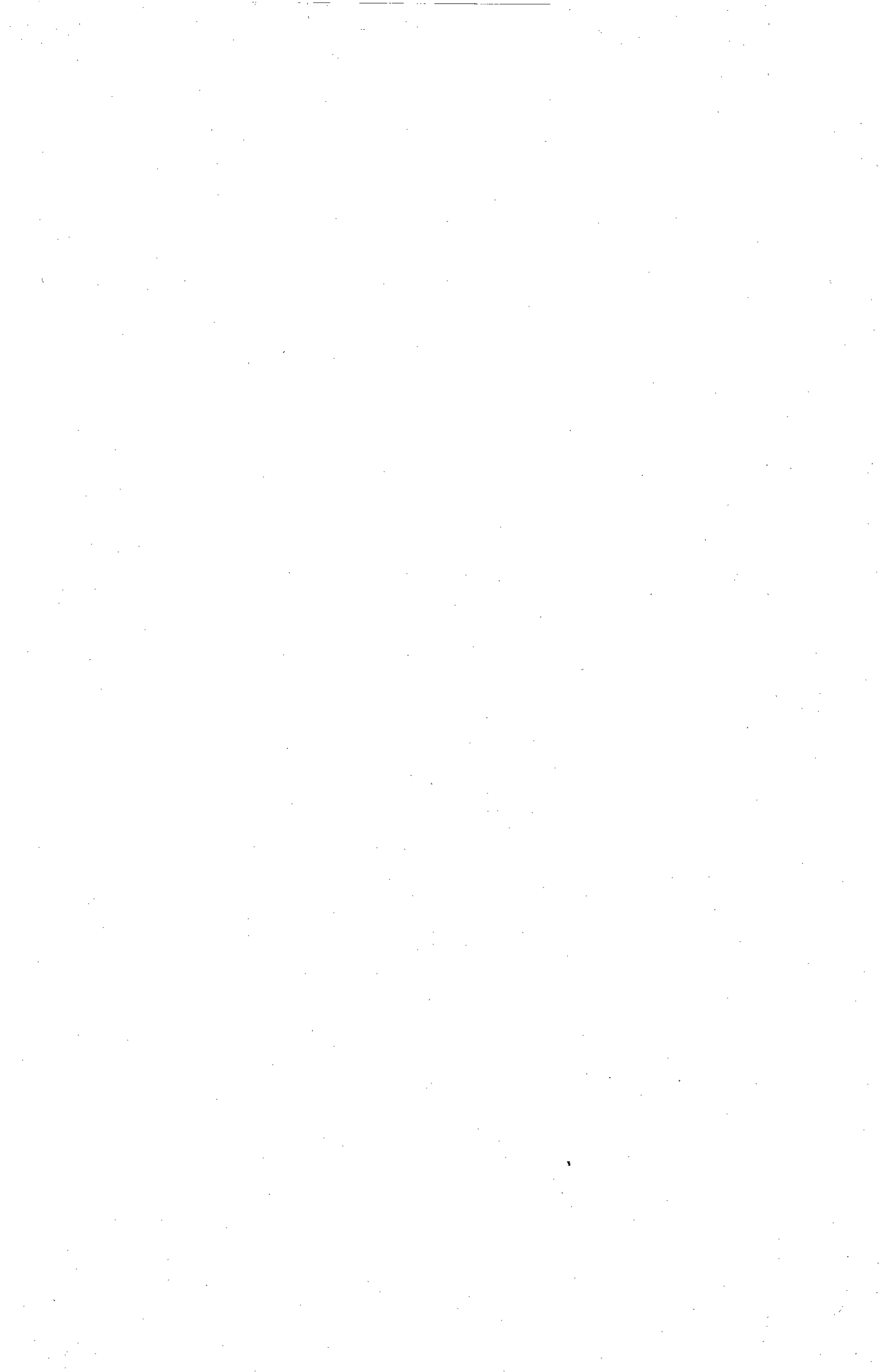
قلتـــه وأنـا خاطـــري مســـرور

والله مـــا أقصـــد بهـــا شـــيني

والله يفكـــــه مـــــن المحـــــذور

ويسلمــــه أعمــــور وسنينــــي

لو كنت مشجعاً هذا النوع من الشعر، وهذا الأسلوب من القول لجمعت ديواناً كاملاً فيه أخبار تاريخية، وأغراض شعرية متنوعة، ولكنني لا أميل إلى كل شعر بعيد عن الشعر العربي الفصيح، وأرى الفخر والمدح الشخصي في رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفيمن والاه وسار على نهجه في الأقوال والأفعال فمعذرة مني إلى القارىء الكريم لأنني اجتزأت القصيد النبطي واقتضبته.



من عبير المسك



من عبير المسك

قال تعـالى : « إن أكرمكم عنـد الله أتقاكم »(١) ؛ وقال رسوله الكريم : « كلكـم بنو آدم ، وآدم خلق من تراب ، ولينتهين قـوم يفخرون بآبائهم أو ليكونن أهون على الله تعالى من الجعلان »(٢) .

الناس اليوم يتصعّدون ، ولا يلوون على أحد ، والدعـاة كثر يدعونهم في أولهم وأخراهم ، وهم يثابون غماً بغم ، وأصبحوا وهم حزانى عـلى ما فاتهم ، وما أصابهم ، فـلا هم ظلوا على قيمهم وتراثهم وعاداتهم وتقاليـدهم ، ولا هم صاروا قادرين عـلى السير تحت نور الحضارة أو المدنية ، أو نهضوا من كبوتهم ، وصحوا من غفلتهم .

وقد تولى قسم منهم ، وهم عـلى غيهم هذا الى العصبية القبلية ، فعادت جاهلية ، أو هي كالجاهلية وتـولـى منهم قسم آخر وراء رحى الغرب أو الشرق ، من المجتمعات التي تفككت أواصرها الأسروية ، ولم يعد الابن فيها يعلم شيئاً عن أبيه ، وإن أنسى فلن أنسى يوماً زرت فيه شاباً أسأله عن مسكن أهله ، وأنني أريد أن أقابل أباه ، فقال لي : والله لا أدري سمعت أنه خرج من بيته القديم ولم أقابله منذ سنة ، ولا أعلم عن بيته شيئاً ! ..

(١) النساء : ١

(٢) رواه مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله .

فيا أيّها الناس خذوا حذركم وانفروا من القطيعة والجفاء إلى الرحم والوصل ، والخير والمحبّة ..

ويا أيّها الناس خذوا حذركم وانفروا من العصبية القبلية الجاهلية، ومن النزعة الفردية الآليّة التي تمزق أواصر الرحم ، وتفكك المجتمعات، ولنعد إلى طاعة الله ورسوله في هذا الأمر أيضاً ، ولن نندم أبداً : (من يطع الرسول فقد أطاع الله ، ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا (١) .

أيها الناس نحن نحتاج إلى العمل الجاد ، والإخلاص والجهاد ، ولا بد للجهاد في سبيل العمل الخالص والإخلاص ، لا بد من جهاد الجاهلية ، فلا فخر بنسب دون عمل ولا بقبليّة على دين وإسلامية ، ورسولنا الكريم يذكرنا ، ويحذرنا قائلاً : « من بطّأ به عمله لم يسرع به نسبه » (٢) .

الإسلام أولاً ، وكل الأمور تأتي بعده ، وقد جعلنا الله أمة وسطاً في كل شيء ، فلا عصبية جاهلية ، ولا فردية تفكيكيّة ، والذين يتقون هم الفائزون ، والذين يعتصمون بحبل الله هم المتقون .

وقد صار وضع العرب اليوم صعباً جداً على كل منحى من مناحي الحياة ، وليس أمامهم للنهوض من غفلتهم إلا دينهم ، وقيمهم ، وتراثهم يستلهمون صبر وجلادة العلماء الأجداد ، لترسيخ أقدامهم في مسارات العلم والحضارة على ضوء من الهدي النبوي .

---

(١) النساء : ٧٩

(٢) صحيح مسلم مج ٩/٢٢

ولذا فإن العودة إلى العصبية الجاهلية أمر منبوذ ، وغير محمود والعودة إلى العصبية من بوابة الهدى النبوي ، أمر مقبول ، محبوب ومحمود وهو بهذا يكون للحق والخير ، والأخذ على يد الفرد من القبلية إن كان ظالماً ، وإيصاله الى الحق نصراً إن كان مظلوماً ، والدعوة إلى تماسك المجتمع • والعصبية إن كانت غير ذلك ، فهي الجاهلية ، والجاهلية طيش ونزق ، وقد تجاوزوها العرب منذ أن أشرق فجر الإسلام •

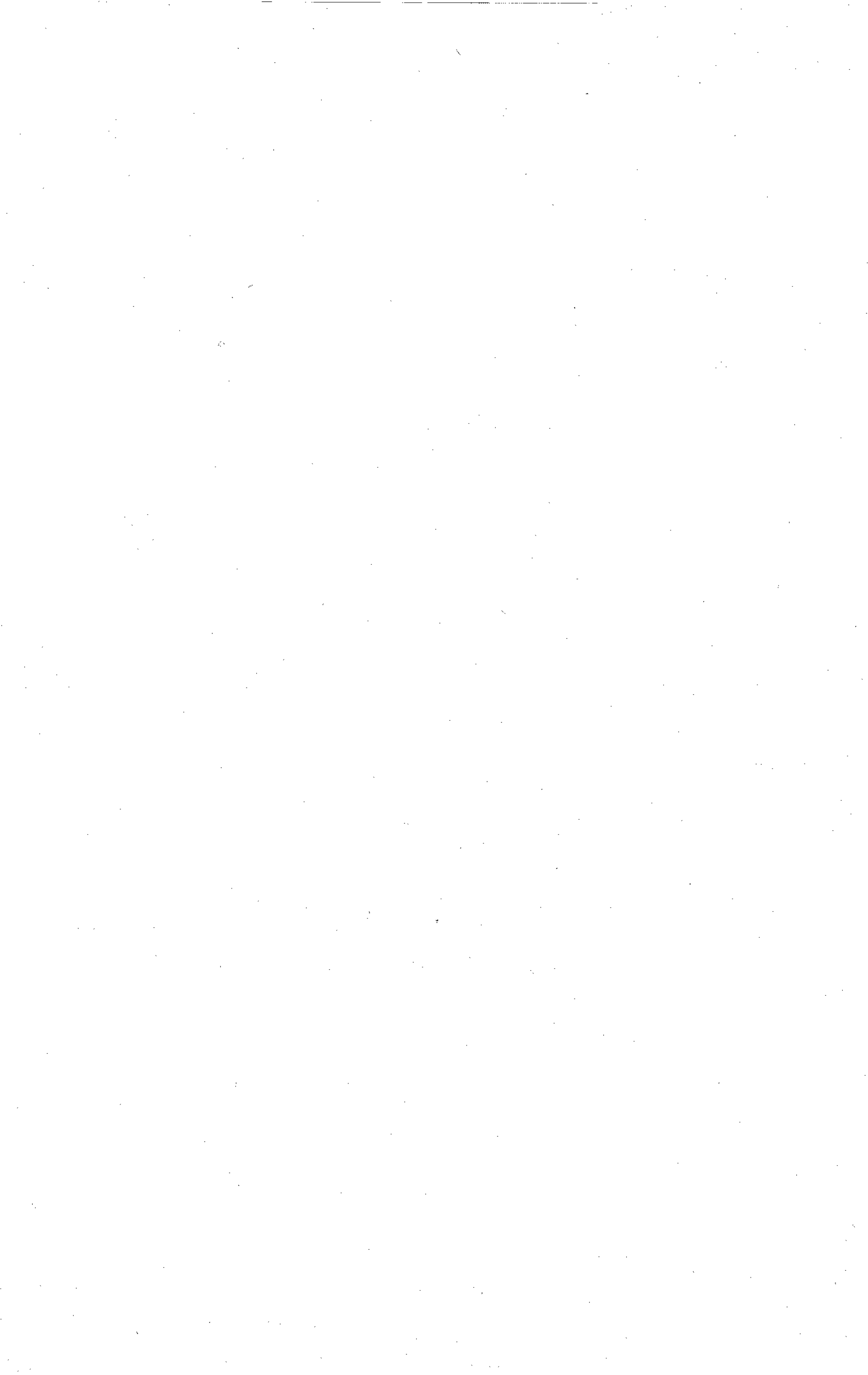
ولم تكن دراستي المتواضعة هذه سوى محاولة لتتبع جذور قبيلة ، كان لها دور في البوادي العربية ، في مرحلة زمنية ليست قصيرة، ولم يكن هذا الدور أقل من دور الفضول وأمرائهم من آل مهنا ، إلا أن أخبارهم طمست ، وآثارهم اندرست •

وقد حاولت قدر جهدي الابتعاد عمّا يؤذي النفوس ، فلا تفضيل ولا تبخيس ، كما حاولت قدر جهدي الوصول إلى حقائق تاريخية ثابتة ، فإن أفلحت فالحمد لله ، وإن لم أفلح فالحمد لله أيضاً ، وعذري أنني قد حاولت ، وأنني إنسان ، وقد خلق الإنسان ضعيفاً ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه ، وسلم تسليماً كثيراً •

كتبه لكم

الدكتور

علي شواخ إسحاق الشعيبي



المصادر والمراجع



- أ -

١ - آل الجربا في التاريخ والأدب ، أبو عبد الرحمن الظاهري ، دار اليمامة ، الرياض ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

٢ - أبطال من الصحراء ، السديري ، بيروت ، ١٣٨٨ هـ .

٣ - أدب الخواص في المختار من بلاغات قبائل العرب وأخبارها وأنسابها ج ١ ، إعداد حمد الجاسر ، النادي الأدبي ، الرياض ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .

٤ - الأدب المفرد، البخاري ،الإمارات،وزارة العدل ١٤٠١هـ-١٩٨١م .

٥ - أربعة قرون من تاريخ العراق .
ستيفن همسلي لونكريك ، ترجمة جعفر الخياط . بيروت ، دار الكشاف ١٩٤٩ م .

٦ - الأزهار النادية من أشعار البادية . نشر محمد سعيد كمال ، القاهرة .

٧ - أسد الغابة ، ابن الأثير ، طبعة دار الشعب ، القاهرة .

٨ - الاشتقاق ، ابن دريد الأزدي ، المطبعة المصرية ، القاهرة .

٩ - الإصابة في حياة الصحابة ، ابن حجر العسقلاني ، دار النهضة مصر ، القاهرة .

١٠- الأعلام ، خير الدين الزركلي ، الطبعة الثانية ، والطبعة السادسة .

١١ـ الأغـاني ، أبو الفرج الأصفهـاني ، الهيئة المصـرية العامـة ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠ م •

١٢ـ الألطاف الخفية من السيرة الشريفة السلطانية الملكية الأشرفية • نشر موبرغ ، ليبزغ ١٩٠٢ م •

١٣ـ أنباء الغمر بأبناء العمر • ابن حجر العسقلاني ، تحقيق د. حسن حبشي ، القاهرة ١٩٦٦ م •

١٤ـ الانتصار لواسطة عقد الأمصار • ابن دقماق ، إبراهيم بن محمد ابن أيدمرت ٨٠٩ القاهرة ، بولاق ١٣١٠ هـ •

١٥ـ أنساب العرب ، سمـير عبد الرزاق قطب • دار مكتبة البيان ، دار القاموس الحديث ، بيروت ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩ م •

١٦ـ أيام العرب في الجاهلية والإسلام ، محمد أحمـد جاد المولى ، وعلي البجاوي ، وأبو الفضل إبراهيم ، القاهرة •

١٧ـ الإيناس بعلـم الأنساب ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، منشورات دار الكتاب اللبناني ـ المصري ، القاهرة •

ـ ب ـ

١٨ـ بدائـع الزهور • ابن إياس ، أبو البركات ، محمـد بن أحمد ت ٩٣٠ هـ • القاهرة ، بولاق ، ١٣١٢ هـ •

ـ ت ـ

١٩ـ تاريخ ابن الفرات ، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم ت٨٠٧هـ• تحقيق قسطنطين زريق ، بيروت ١٩٣٨ م •

٢١ـ تاريخ بعض الحوادث الواقعـة في نجد من القرن ٩ ـ ١٣ هـ • إبراهيم بن صالح العيسى ، تحقيق حمد الجاسر •

٢١ـ تاريخ الحلة (القسم الأول في الحياة السياسية) يوسف كركوش الحلي ، الطبعة الأولى ، النجف ، المكتبة الحيدرية ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٥ م •

٢٢ـ تاريخ حوادث بغداد والبصرة من ١١٨٦ ـ ١١٩٢ هـ • السويدي ت ١٢٠٠ هـ • حققه وقدم له ، د. حمـاد عبد السلام رؤوف ، وزارة الثقافة ١٩٧٨ •

٢٣ـ تاريـخ الـدول الإسلامية في العراق • علي ظريف الأعظمي ، بغداد ١٩٢٨ م •

٢٤ـ تاريخ شرقي الأردن وقبائلها • فردريك ج بيك تعريب بهاء الدين طوقان ، دار الأيتام الاسلامية ، القدس ١٩٣٤ م •

٢٥ـ تاريخ الطبري ، محمد بن جرير ، القاهرة ، دا رالمعارف •

٢٦ـ تاريخ العراق الاقتصادي من القرن الرابع الهجري ج ٢ و ج ٣ ، عبد العزيز الدوري ، بغداد •

٢٧ـ تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا الى نهاية حكم مدحت باشا ، عبد العزيز سليمان نوار ، القاهرة ، دار الكتاب العربي •

٢٨ـ تاريخ العراق في ظـل الحكم الأموي والسياسي والاجتماعي والاقتصادي • علي حسن الخربطلي ، القاهرة •

٩٢ـ تاريخ العراق في العصر السلجوقي ، حسين أمين ، بغداد •

٣٠ـ تاريخ العراق بين احتلالين • عباس العزاوي ، بغداد ١٩٣٥ م ـ ١٣٥٣ هـ •

٣١ـ تاريخ العرب المطول قبل الاسلام • د. جواد علي ، بيروت •

٣٢ـ تاريخ نجد وملحقاته • أمين الريحاني ، بيروت ١٩٧٣ م •

٣٣ـ التبر المسبوك • السخاوي ، محمد بن عبد الرحمن ت ٩٠٢ هـ • القاهرة ، بولاق ١٨٩٦ م •

٣٤ـ التحفة النبهانية • النبهاني الطائي ، المطبعة المحمودية ، القاهرة ١٣٤٤ هـ •

٣٥ـ تحفة النظار في غرائب الأمصار • ابن بطوطة ت ٧٧٩ هـ ، بيروت ، ١٩٦٤ م •

٣٦ـ تحفة المستفيد بتاريخ الإحساء في القديم والجديد•محمد عبد الله آل عبد القادر ، طبع بإشراف حمد الجاسر ، الرياض ١٣٧٩ هـ ـ ١٩٦٠ م •

ـ ث ـ

٣٧ـ ثمار القلوب ، الثعالبي النيسابوري • القاهرة ، دار نهضة مصر ١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٥ م •

ـ ج ـ

٣٨ـ جزيرة العرب في القرن العشرين • حافظ وهبه ، القاهرة ١٣٦٥ هـ ـ ١٩٤٦ م •

٣٩ـ جمهرة أنساب الأسر المتحضرة ، حمد الجاسر ، دار اليمامة ، الرياض ١٤٠١ هـ •

٤٠ـ حديقــة الزوراء (مخطوط) • تأليف أبي الخــير زين الدين عبد الرحمن بن عبد الله بن الشيخ حسين مؤسس البيت السويدي • منه نسخة في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة ، وأخرى في خزانة المتحف البريطاني بلندن •
ونشر جزء منه في بغداد ، المجمع العلمي العراقي • ثم نشره كاملاً د. صفاء خلوصي ، بغداد ١٩٦٢ م •

٤١ـ حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة • السيوطي ، القاهرة ، ١٢٩٩ هـ •

٤٢ـ حياة الصحابة ،للكاندهلوي ، بيروت ، دار المعرفة ، لا تاريخ ، وطبعة دار القلم •

٤٣ـ دراسات في تاريخ الأدب القــديم • د. محمــد بيومي مهران ، القاهرة •

٤٤ـ الدرر المفاخر ، ابن بسام ت ١٢٤٦ هـ • تحقيق ونشر سعود بن غانم الجمران العجيمي •

٤٥ـ دوحــــة الوزراء ، رسول الكركوكلي ت ١٢٤٣ هـ • بيروت ، مكتبة النهضة الحديثة ، بغداد دار الكاتب العربي •

٤٦ـ ديوان المتلمس الضبعي ، تحقيق حسن كامل الصيرفي ، القاهرة معهد مخطوطات جامعة الدول العربية ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠ م •

٤٧ـ ديوان المثقب العبدي ، تحقيق حسن كامل الصيرفي ، القاهرة ١٩٧١ م •

٤٨ـ الدول الإسلامية ، ستانلي لين بول ، مكتبة الدراسات الاسلامية دمشق •

- د -

٤٩ـ ذرائع العصبيات العنصرية في إثارة الحروب ، وحملات نادر شاه على العراق في رواية شاهد عيان ، تحقيق محمد بهجب الأثري ، بغداد ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م •

- ر -

٥٠ـ الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر• تحقيق ونشر د. عبد العزيز الخويطر ، الرياض ١٩٧٦ م •

- ز -

٥١ ـ زيد الخير ، عبد العزيز الرفاعي ، الرياض ، منشورات تهامة •

٥٢ـ سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب • السويدي ، محمد أمين ، القاهرة ، المكتبة التجارية الكبرى ، لا تاريخ •

٥٣ـ السلوك لمعرفة دول الملوك• المقريزي، أحمد بن علي ت ٨٤٥ هـ• تحقيق محمد مصطفى زيادة ، وسعيد عبد الفتاح عاشور ، القاهرة •

٥٤ـ شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ، خير الدين الزركلي ، بيروت ، ١٣٩٢ هـ •

٥٥ـ الشعر العراقي ، أهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر ، يوسف عز الدين ، بغداد •

٥٦ـ صبح الأعشى ، القلقشندي ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٣٣١ هـ ـ ١٩١٣ م .

٥٧ـ صحيح مسلم ، دار الفكر ، بيروت ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م .

ـ ط ـ

٥٨ـ طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب ، الملك الأشرف الرسولي ت ٦٩٦ هـ . دمشق، مطبعة الترقي، من مطبوعات المجمع العلمي العربي ١٣٦٩ هـ .

٥٩ـ الضوء اللامع ، القاهرة ، مكتبة القدس ١٣٥٥ هـ .

ـ ع ـ

٦٠ـ عامان في الفرات الأوسط ، عبد الجبار فارسي ، النجف ، مطبعة الراعي ١٣٥٣ هـ .

٦١ـ عالم آراي عباسي ، اسكندر بك التركمان (من رجال القرن الحادي عشر ، طهران ١٣١٤ هـ ـ ١٨٩٦ م.

٦٢ـ العرب في الشام قبل الاسلام ، محمد أحمد باشميل ، بيروت ؛ دار الفكر ١٣٩٣ هـ .

٦٣ ـ العسجد المسبوك،اسماعيل بن العباس بن علي الأشرف الرسولي. تحقيق شاكر محمود عبد المنعم ، بيروت ، دار التراث .

٦٤ـ عشائر العراق القديمة البدوية و الحضرية . عباس العزاوي ، بغداد ١٣٥٦ هـ ـ ١٩٣٧ م .

٦٥ـ عشائر العراق (أهـل الأرياف) • عباس العزاوي ، بغـداد ١٣٧٤ هـ ـ ١٩٥٥ م •

٦٦ـ عنوان المجد في تاريخ نجد• (والفهارس الفنية) التابعة للكتاب• تحقيق عبدالرحمن آل الشيخ• وزارة المعارف السعودية ١٣٩١هـ•

- غ -

٦٧ـ غايـة المرام ، العمـري ت ١٢٣٢ هـ • منشورات البصـري ، بغداد ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨ م •

- ق -

٦٨ـ القرط على الكامل ، البطليوسي ، تحقيق د. أحمد أظهر جامعة البنجاب ، لاهور ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨٠ م •

٦٩ـ القصـد والأمـم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجـم ، النجف ، المطبعة الحيدرية •

٧٠ـ قلب جزيرة العرب • فؤاد حمزة ، القاهرة ١٣٥٢ هـ •

٧١ـ القول السديد في أخبـار إمارة آل الرشيد • (ملحق مع نبذة ضاري الرشيد) نشر دار اليمامة ، الرياض ١٣٨١ هـ •

- ك -

٧٢ـ كلش خلفـا ، نظمي زاده مرتضى أفنـدي ، نقله من التركية الى العربية موسى كاظم نورسي ، عضو جمعية المؤلفين والكتاب ، نشر بمساعدة المجمع العلمي العراقي ، بغداد •

- ل -

٧٣ـ لمـع الشهاب في سيرة الشيخ محمـد بن عبد الوهاب ، تحقيق د. مصطفى أبو حاكمة ، بيروت ١٩٦٧ م .

- م -

٧٤ـ مباحث عراقية ، يعقوب سركيس ، بغداد .

٧٥ـ مجلة العرب ، إصدار الشيخ حمد الجاسر ، مجموعة أعداد ، الرياض ، اليمامة .

٧٦ـ المحبّر ، أبو جعفر محمد بن حبيب ، المكتب التجاري ، بيروت .

٧٧ـ مسائل الجاهلية التي خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أهـل الجاهلية . محمـد بن عبد الوهاب ، وتوسع فيه محمود الآلوسي ، القاهرة ، المطبعة السلفية ١٣٩٧ هـ .

٧٨ـ مسيرة إلى قبائل الأحواز ، جابر جليل المانع ، البصـرة ، مطبعة حداد ، لا تاريخ .

٧٩ـ مطالع السعود في أخبار الوالي داود ، عثمان بن سند ١٢٤٢ هـ ، مخطوطة مصورة عن مخطوطة الشيخ حمد الجاسر عن مخطوطة الآلوسي .

٨٠ـ المعجـم الجغرافي للبـلاد العربية السعودية . محمد بن ناصر العبودي ، دار اليمامة ١٣٩٩ هـ .

٨١ـ معجم قبائل العرب . عمر رضا كحالة ، دمشق ١٩٤٩ م .

٨٢ـ مقدمة ابن خلدون ، بيروت ١٩٥٦ م وطبعة ١٩٦١ م .

٨٣ـ النجوم الزاهرة • ابن تغري بردي ت ٨٠٨ هـ •
القاهرة ١٩٢٩ ــ ١٩٥٦ ــ ١٩٦٣ م •

- ن -

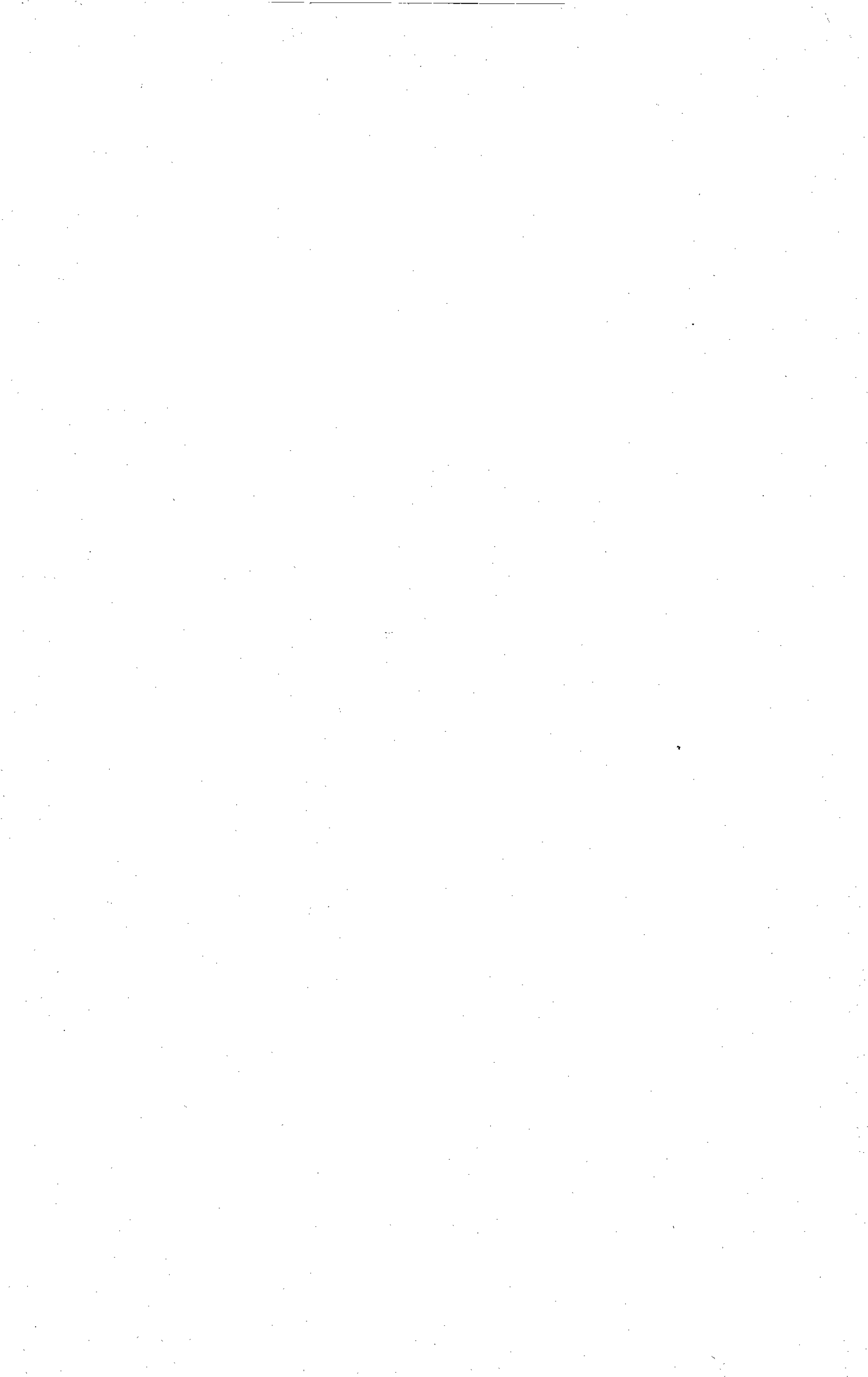
٨٤ـ نشأة إمارة آل رشيد • عبـد الله الصالح العثيمين ، الرياض ، منشورات جامعة الملك سعود ١٤٠١ هـ ـــ ١٩٨١ م •

٨٥ـ نهايـة الأرب في معرفـة أنساب العرب • القلقشندي ، بغـداد ١٣٧٨ هـ ـــ ١٩٥٨ م •

- و -

٨٦ـ الوثائق تتكلم • محمـد حسين زيدان دارة الملك عبـد العزيز ١٣٩٢ هـ •

فهرس الموضوعات



فهرس الموضوعات

للمؤلف

أ ــ في الدراسات الإسلامية.

١ ــ ماذا جول أمية الرسول صلى الله عليه وسلم (طبعتان).

٢ ــ إلى أين الرحيل؟.

٣ ــ معجم مصنفات القرآن الكريم. أربعة أجزاء.

٤ ــ المختار من أدعية الحج والاعتمار.

٥ ــ الوصايا القرآنية والنبوية.

٦ ــ قطوف محبة.

٧ ــ الإمام أبو حنيفة، وآراؤه التربوية.

ب ــ في الدراسات الأدبية :

١ ــ ربيعة الرقي. شاعر الرقة في العصر العباسي.

٢ ــ الإيجابية والسلبية في الشعر العربي بين الجاهلية والإسلام

٣ ــ آراء في الشعر الحديث.

٤ ــ الصالونات الأدبية.

٥ ــ أوراق الليل.

٦ ــ ملامح تربوية في الشعر الجاهلي والإسلامي.

٧ ــ ملامح اجتماعية في الشعر الجاهلي الإسلامي.

٨ ــ ملامح اقتصادية في الشعر الجاهلي والإسلامي.

٩ ــ ملامح فكرية في الشعر الجاهلي والإسلامي.

١٠ ــ التحرير (مسلسل تلفزيوني) أدبي تاريخي.

جـ ــ في البلاغة والصرف :

١ ــ بحوث صرفية للجامعيين.

٢ ــ المورد البلاغي.

د ــ في الفلك :

١ ــ البتاني الرّقي.

هـ ــ في التاريخ (تحقيقاً) :

تاريخ الرقة ومن نزلها من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم للقشيري، المؤرخ.

و ــ في الأنساب :

القشعم من كبريات القبائل العربية.